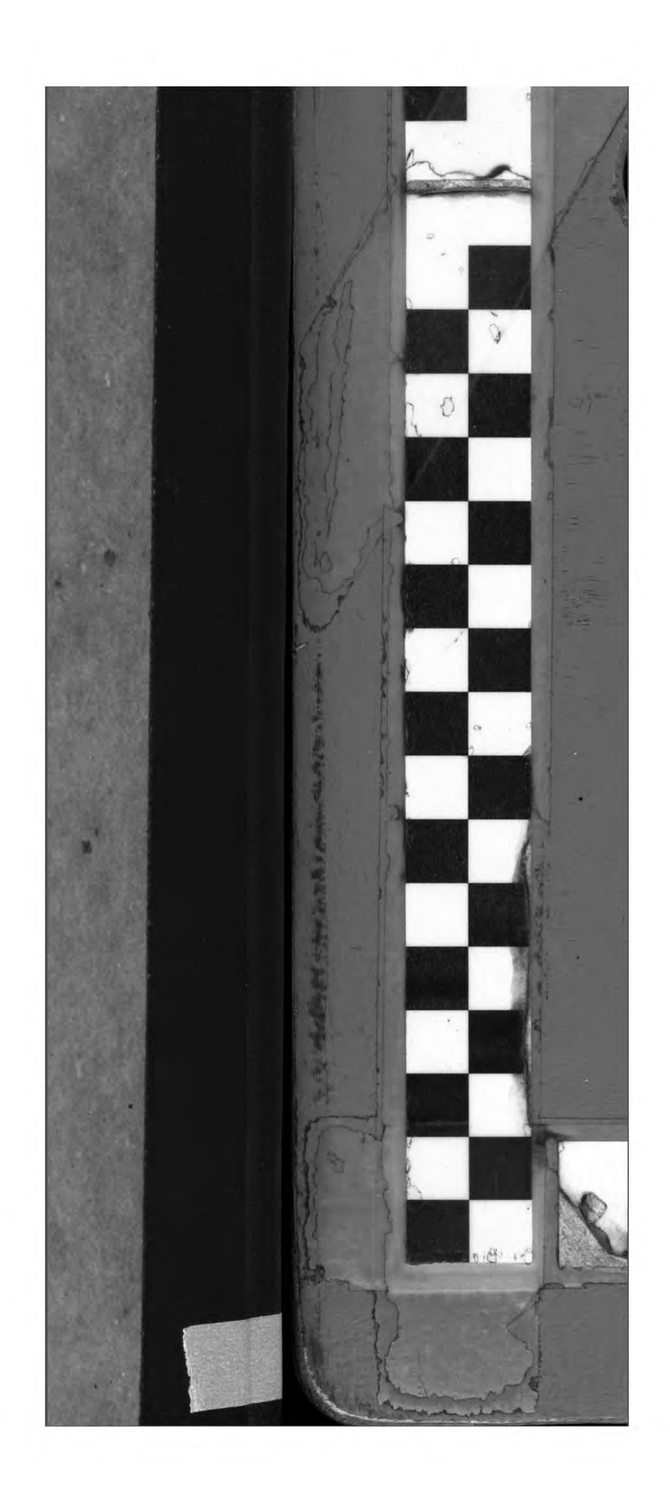
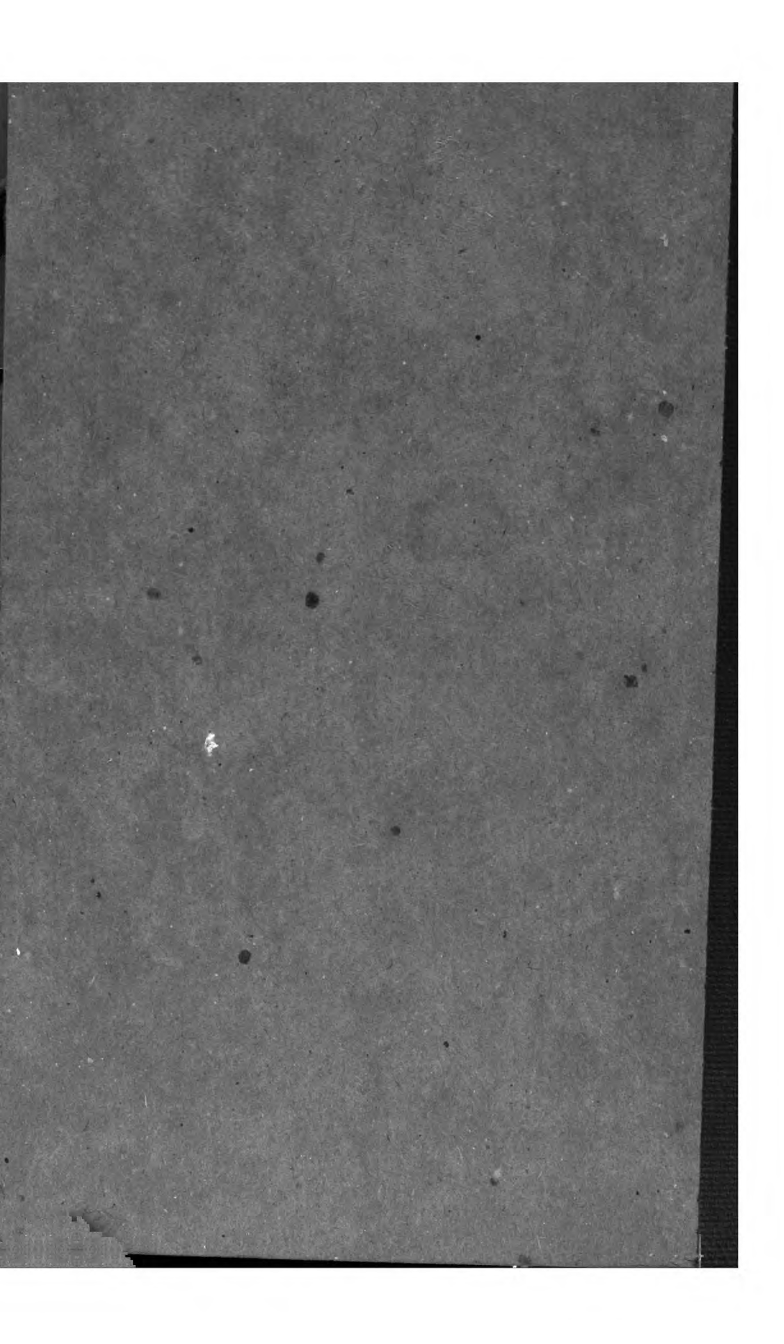
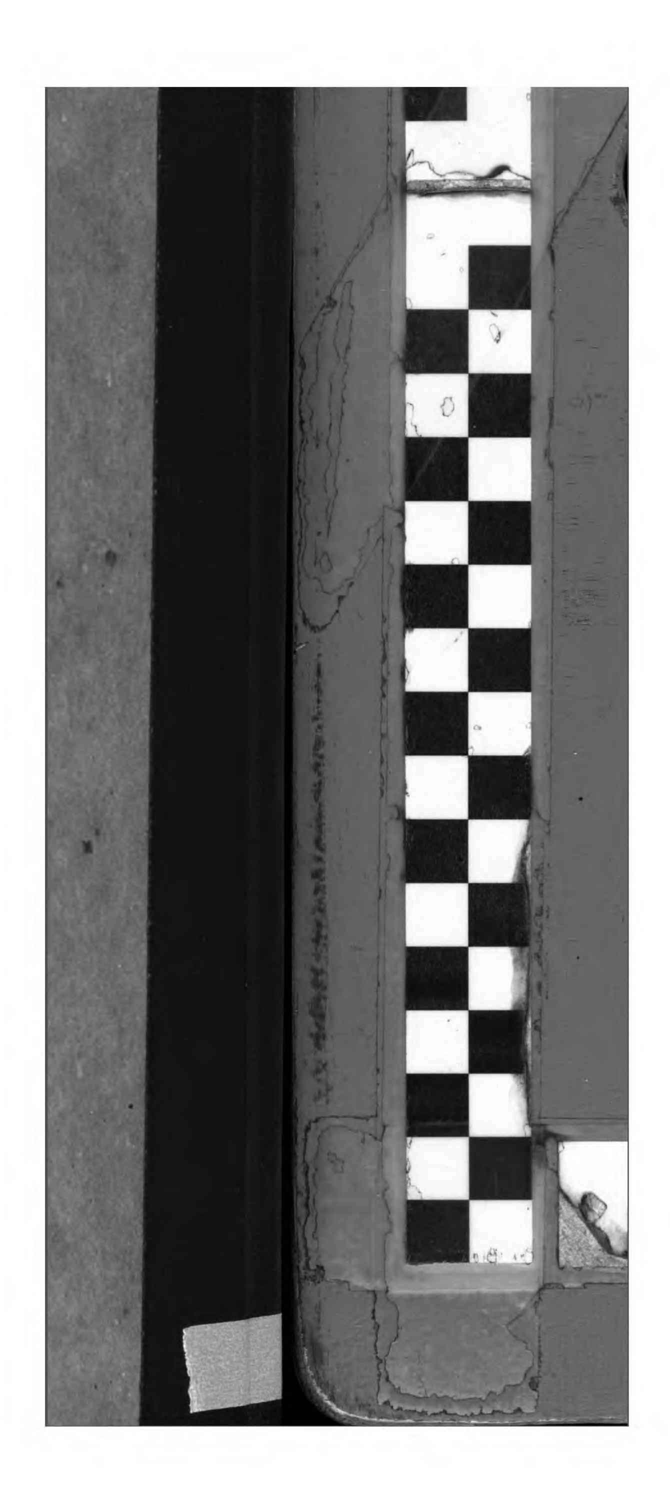
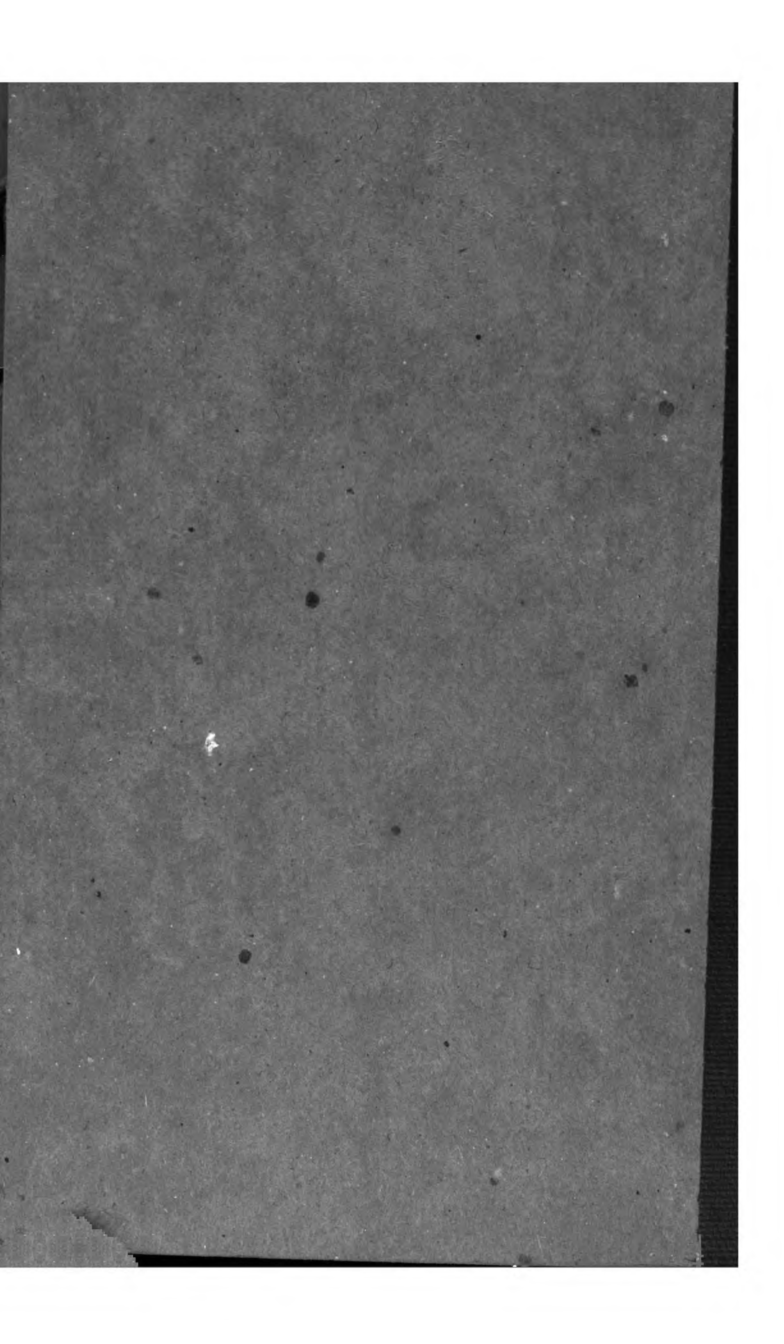










رواية

حسناء نيويرك

معربة عن الانكليزية

بقلم

— نجيب جرجس عبدالله —

اعتنى باصلاحها اسعد ملحم



طبع في مطبعة جريدة الهدى اليومية في نيويرك سنة ١٩٠٥
AL-HODA PUBLISHING HOUSE
81 WEST ST. NEW YORK CITY

رواية

حسناء نيويرك

معربة عن الانكليزية

بقلم

نجيب جرجس عبدالله



طبعت في مطبعة جريدة الهدى اليومية في نيو يرك سنة ١٩٠٥

AL-HODA PUBLISHING HOUSE

90 West Street, New York City. 1905

اهداء الرواية

سيدي الشاب الاديب والصديق الكريم خليل افندي
طنوس منصور الحلو لازلت بحراسة الله عزيزًا

هذه رواية طالعتها باللغة الانكليزية فرائت من تنسيق حوادثها وجودة تركيبها ما اغراني بتعريبها فنشطت للامر على ما فيّ من القصور وليس لي من أرب في طبعها غير نشرها بين ابناء الوطن الذين اصبحوا في هذا العصر وفيهم ولع بمطالعة الروايات التي يرجع الفضل في جودتها الى تفنن موءلفيها ولطف اذواقهم وقوة خيالهم

عربت الرواية كما استطاع قصوري وجريًا على العادة المألوفة من اهداء الكتب لم اجد بدًا من اهدائها الى من هو لي الصديق الاعز والخليل الاوفى وليس غير الخليل الكريم احق بان تهدى اليه روايتي وليس غير هذا الداعي احق بان

تفوز هديته بالقبول المأمول اذ انني اقدمها كشاهد على اخلاصي ودلالة على تقديري الولاء قدره فتفضل سيدي العزيز بقبول التقدمة وبذلك ايلائي الفضل الجزيل وعلى حصول الجزاء اكبر دليل حرسك الله للاصدقاء نصيرًا وبروضة الاداب غصنًا نضيرًا وانا لك اوفى من وفى واصدق من باخلاص الخليل اكتفى

الداعي

باخلاص

نجيب جرجس عبدالله



حسناء نيويرك

الفصل الاول

لهوى النفوس سريرةٌ لا تعلمُ ولكل عينٍ عبرةٌ لا تكتمُ
ما حدت عن طرق السلامة انما شزرًا نظرت وخلت اني اسلم

عند الساعة السابعة من صباح يوم شديد البرد من شهر كانون الاول وصل الطوف الذي يجتاز النهر بين بروكلن ونيويرك الى محطة فولتن احدى محطات الاطواف على رصيف المدينة الثانية ولم يكد يفتح مخرجه حتى اندفعت زرافات من الفتيات وجرين متسارعات بعضهن ليركبن القطار والبعض الاخر المركبات الكهربائية ومنهن من الففن بثيابهن وانطلقن مستعجلات بين ساعية وراء ايجاد عمل لها وبين ذاهبة الى عملها اليومي وقد آثرن المشي اقتصادًا لاجرة المركبة لما هن عليه من رقة الحاشية وكان بين هولاء الاخيرات فتاة تدعى

ليوني لاك وهي موضوع قصتنا هذه وكانت رشيقة القوام رائعة الحسن بارعة الجمال غير متجاوزة السابعة عشرة من العمر لابسة ثوبًا ازرق اللون وفوقه رداآء من الجوخ وبرقعها كان محسورا عن وجه نضير رسمت فيه للحسن آيات واضحات واظهر ما فيه من مجتلى الظرف خدان يستحيي لديهما ورد الجنان وعينان تخجلان بسوادهما وفتورهما ظباآء عسفان وشعرها كان كاسلاك ذهبية مسترسلا الى اعطافها وكانت ممسكة باحدى يديها نسخة من جريدة ,, الهرلد " تنظر اليها خلسة المرة بعد الاخرى وكأنها كانت مضطربة واجسة من فوات الوقت المعين لقبولها في العمل ويزيد قلقها كلما افتكرت في ان والدها يتقلب على فراش الاوجاع واذا لم يتيسر لها عمل يتسنى لها فيه تحصيل بعض المال هلك والدها جوعاً فلا عجب اذاً اذا تنهدت ليوني بمرارة حينما تفتكر فيما يكون من امرها اذا قدّر وعادت الى البيت خائبة فاسرعت في المشي وهي تلتفت الى اعلان في الجريدة هاك صو ته ,, نحن في حاجة الى بعض البنات للشغل في الخياطة وكل فتاة ترغب الاستخدام يجب ان تقدم اسمها الساعة الثامنة صباحاً في معمل لنكولن وكارليل عدد — برودواي "

وبينما هي تنظر في الجريدة معجلة الجري تصدّى لها شابٌ جميل المنظر اسود العينين طويل القامة وكانه كأن

يراقبها من محطة الطوف ويسارقها نظرات العاشق الولهان وقد فهم من الجريدة التي في يدها انها تطلب عملاً فاستوقفها بكلام لا شك انها عدته على جانب من الفلاظة قائلا · لماذا انت مسرعة يا عزيزتي في هذا الصباح

فرشقته بنظرة الازدراء وتحولت لمتابعة السير فزلت بها القدم ووقعت على الثلج امام ذلك الشاب الغريب وطار برقعها الى جهة والجريدة الى جهة اخرى اما هو فوثب ومد يديه الغليظتين الى خصرها الرقيق وانهضها محدقا نظره بعينيها ثم خاطبها قائلاً ·

انني احمد الحظ الذي اسعد ذراعي بفتاة بديعة الحسن مثلك ولا اطلب جزاء تعبي الا قبلة منك وعلى الدنيا السلام ·

فحركت ليوني انفة النفس لدى سماعها هذا الكلام وثارت في احشائها نيران الغضب فحدجته بعينين ممتلئتين غيظاً ونفرت من بين يديه كالظبي الشارد قائلة · ان الشرف والمروءة يتبرآن منك ومن امثالك هات الجريدة والبرقع واتركني وشأني ·

— اما البرقع فلا بد لي من حفظه كذخيرة ثمينة لانه مس محياك البهي وتجلى فيه بدر وجهك الوضي واما الجريدة فيغنيك عنها جمالك الباهر الذي يكفل لك المعيشة

وبوجوده لا تحتاجين الى شيء ٠

فاستولى على ليوني انزعاج شديد وتأججت في قلبها نار من الغضب اصعدت الى رأسها بخارا ترقرق على وجنتيها دموعاً غزيزة الا انها ولته قذالا واسرعت في سبيلها

— الوداع الوداع ايتها الحسناء قال الشاب انني ساكتشف محل اقامتك عند سنوح الفرصة واذا صدق ناظري فهذا اسمك مكتوب على ذيل هذه الجريدة ٠ الوداع يا ليوني على وعدي الثابت باننا سنلتقي فيما بعد اما لخير واما لشر

اما ليوني فانها سمعت ما قال ولكنها لم تلتفت اليه وودت لو كان بينها و بينه البحر المحيط ٠ ولا يخفى انها تأسفت كثيرًا على فقدان الجريدة واشد من ذلك اسفها على خسارة البرقع الا انها كانت حفظت في ذاكرتها نمرة المحل المقصود وبعد زهاء خمس دقائق استعجلت فيها ما استطاعت وصلت دون انتباه الى محل لنكولن وكارليل وكما سبقت وقدرت وجدت عشرات من البنات ينتظرن هناك ولما اقبل كاتب المحل لم يقع اختياره الا على ليوني وانصرف البنات البواقي وقد داخلهن الحسد وقلن في نفوسهن ان على محياها آية يفسرها الحظ السعيد

دخلت ليوني تابعة الكاتب الى محل العمل وما كادت تطأ العتبة حتى تحولت اليها الابصار من كل جهة واخذ الجميع يتأملون في محاسنها وكانت في المحل فتاة تدعى كيت هارتي

لها من حسن الطلعة وملاحة الجملة نصيب كبير وهذه الفتاة كانت مديرة العمل وعندما دخلت العاملة الجميلة التفت الموجودون اليها ثم الى كيت هارتي هذه ليقابلوا بين الاثنتين و يروا ايتهما اكمل حسنا وارق معنى فتبين لهم ان ليوني بين ربات الجمال كانما يشير اليها من قال ٠

اذا ما بدت بين البنات بمحفل

فطلعتها كالبدر بين الكواكب

وكانت بالقرب من كيت هارتي فتاة احبت مداعبتها فقالت٠ هل تقدرين ان لا تميلي الى هذه الغادة الحسناء٠٠ فالتفتت كيت الى ليوني شزرا وقالت للتي سألتها انني ما وقع نظري عليها حتى تحركت في باطني عوامل الكره والبغض لها ٠ فقالت الفتاة٠ انا اعلم سبب ذلك وهو خوفك على حبيبك من ان يشغف بها لانه اذا رآها ذهل عنك لا محالة أليس هذا ما اوجب نفورك منها تكلمي الصحيح ٠ فجاش غضب كيت والتفتت اليها قائلة ٠ انني اكون من الد اعدائها اذا سولت لها النفس التطوح الى هذا الحد واذا اضطرني الامر قتلتها٠ فضحكت الفتاة حاسبة ان هذا الكلام لا يخرج عن معرض الهزل وما علمت انه عين الجد وانها تضمر لها سوءا

و بينما هما في الحديث اذا بالباب قد فتح ودخل تشارلي هارت فبطل الرمز والهمس وعكفت الفتيات على العمل لانه

كان مدير الاشغال في معمل الخواجات لنكولن وكارليل وحينما وقع نظره على ليوني ابرقت اسرته فرحاً فتقدم ووقف بجانبها ينظر الى قطعة الفرو التي كانت تحت يدها ثم اتكأ على قائمة الكرسي وقال بصوت منخفض . أأنت هنا يا عزيزتي انني لم اكن اتوقع ان حظي يسعدني برؤيتك في مثل هذه الفرصة العاجلة واني لا شكر القدر الذي اتاح لي مقابلتك هنا . واذ سمعت هذه الكلمات اقشعر جسمها وتولاها الارتباك فوقع الفرو من يدها — ان هذا الرجل هو الذي تصدى لها في الطريق وكان من امرها معه ما كان

اما هو فقال لها لا تضطربي واعلمي ان جميع الفتيات ينظرن اليك متعجبات من فعلك وتحققي ان قوتي هنا عظيمة فلي الحرية في ان ابقيك او اطردك وليس من معارض وصعب عليك ان تجدي عملاً في هذا الشتاء وخصوصاً في نيو يرك .

فتورد خدا ليوني من الحياء والتهيج وتضاربت افكارها متشائمة من مخبر هذا الرجل الذي سيكون لها عدوا ظالماً ومن جهة اخرى رأت نفسها مضطرة الى البقاء في العمل ولو على الضيم الشديد نظراً لحاجتها الى الاجرة التي بدونها لا تقدر على اعالة والدها فسلمت الى حكم الضرورة الملزمة وعادت فجلست على كرسيها مستأنفة العمل

اما هو فتأثر من اعراضها عنه وتغير منظر وجهه وتحول ذلك الابتسام الى عبوسة فتقدم اليها وهمس قائلا · انت الان في قبضة يدي واذا حاولت طيرانا كسرت جناحيك ثم قال لها اذا ذهبت المساء الى مكتبي اعدت اليك البرقع ولكنه لم يصادف التفاتا ولا اعارته اذنا صاغية

وعند الساعة الخامسة انصرفت ليوني وكان الليل قد ارخى سدوله على المدينة و بينما هي منحدرة على السلم سمعت صوتا يناديها · ليوني · ارجعي فانك لم تحسني العمل الذي سلم اليك ·ارجعي لاريك اين اسأت صنعه والا فانني اسقط من اجرتك فجاوبته قائلة · افعل ما تشاء فانني غير عائدة اليك ولا انا ادخل فناء مكتبك لانني لم انس الاهانة التي اصابتني منك في هذا الصباح وادارت وجهها وقلبها يتقلب على جمر الغضب والحنق ·

فصاح تشارلي بلهجة الثائر الناقم قائلاً · لا ترجعي الى العمل غدا لان ليس لك شغل عندنا واذا كنت تريدين اجرة يومك فارجعي وخذيها الان و بعد الان لن تحصلي عليها

فلم تهتم كثيرا بكلامه وخرجت من البناية تحت ذلك الرقيع البارد وهي تتأمل في حوادث يومها وتفتكر فيما سيكون من امر الغد وكانت تمشي الهوينا حتى بلغت المحطة وهي كأنها في الحلم

— الفصل الثاني —

دخلت ليوني الطوف الذي كان على اهبة الجري وانزوت في جانب منه تتنازعها الافكار واذ حانت منها التفاتة وقع نظرها على تشارلي جالساً بالقرب منها وما لبث ان تقدم نحوها قائلا .

— انني كنت مصمما النية على عدم قبولك في المحل ولكن ما رأيته من جرأتك الجأني الى العدول عن عزمي لا سيما وان توفقك الى عمل في هذا الشتاء غير سهل . الا تعلمين ايتها الحبيبة ان في امكاني ان اصيرك مخندرة مزدانة بافخر الجواهر وعلى كل الاحوال ارجعي الى العمل غدا اذا كنت تريدين . وفي هذه الفترة دخل الطوف شابٌ طويل القامة ممتلئ الجسم ذهبي الشعر جعديه ووقف يراقب صنيع مستخدمه مع الفتاة التي كاد وجهها يقطر ماء الخجل والغضب من جراء فظاظة تشارلي وتحفزت للقيام فابتدرها بيد اثقل من الحديد مكرها اياها على الجلوس فقالت ليوني اتركني وشأني يا هذا فما بالك تعاملني هذه المعاملة السيئة . فهز

تشارلى رأسه ثقلا وغلاظة وامسكها من يديها البلوريتين اللتين كادتا تنهصران تحت يدين من حديد مريدا صدها عن الذهاب عنوة واذا بيد قوية وساعد متين دفعا تشارلي الى جانب وتقدم شاب لطيف بوجه باسم الى ليوني واخذ يلطف لها الكلام و يوءنب تشارلي وقال لها : اذهبي بسلام وساعمد الى الاقتصاص من هذا الذي اهانك وامنعه من ان يزعجك مرة اخرى ·

اما ليوني فلم تتفوه الا بهذه الكلمة (ثنكيو) اعني اشكرك ولكن نظرها كان يناجي ذلك الشاب المملوء مروءة وشهامة بكلام سري ·

اما تشارلي فان الذي كان ينظر اليه في تلك الساعة لا يتمالك من الضحك لانه وقف مبهوتاً ووجهه تخضبه الالوان المختلفة ولا شك انه ود لو انشقت الارض وابتلعته لان ذلك الشاب كان — كوردن كارليل الذي ما لبث ان التفت الى تشارلي وقال:انك غدا باكرا ستجاوب عن كل هذه الفعال لان محل لنكولن وكارليل يمكنه الاستغناء عن مدير على هذه الشاكلة فاذهب في الصباح الى مكتبي حتى اجري لك الحساب واعلم انني لو كنت اريد ان اتبع الهام قلبي لكنت اوسعك ضرباً جزاء ما ابديته لهذه الصبية الوحيدة الفقيرة · اذهب من امامي والا قرنت القول بالفعل

عند ذلك افاق تشارلي من غفلته وافتكر في نفسه قائلاً · ان هذه الفتاة كانت السبب لفقد مركزي وفي نصف هذا الشتاء ايضاً ولكنني بالله اقسم يميناً مغلظة انني ساكون لها عدواً شديد الكيد وسبباً لاتلاف حياتها وسادبر لها مكيدة قبل طلوع الشمس وفي الحال اخذ يفكر في نصب شرك يوقعها فيه تلك الليلة نفسها ·

وصل الطوف الى مرساه في بروكلن وكانت ليوني لا تزال منزعجة مضطربة وفيما هي على هذه الحالة من الخوف تتستر بين الجماهير المزدحمة اذا بالشاب الذي خلصها تقدم اليها رافعاً قبعته وقال · اذا كنت تسمحين لي بمرافقتك الى محل اقامتك كان ذلك آمن لك واسلم اذ لا يبعد ان يتبعك ذلك الشاب وانا قد عرفتك الان · ألست انت الصبية التي اتيت الى محلنا في هذا الصباح تطلبين عملاً · فانا احد شركاء محل كوردن وكارليل · وعندئذ ناولها بطاقته وفي اثناء ذلك كانا قد وصلا الى الشارع العمومي فاوما المستر كارليل الى عربة كانت هناك وتقدم نحوها باستعجال عاكفاً ذراعه على ذراع ليوني التي اظهرت التردد وقالت · انني احب المشي اكثر من ركب العربة

—لا لا يا عزيزتي · اجاب كوردن · ان البرد قارس والهواء يعصف بشدة فاذا كنت تريدين مقابلتي بجميل فليكن هذا

جميلك معي ٠

فسلمت ليوني برأيه دون ان تنبس ببنت شفة ولم تكن الا لحظة حتى اصبح الاثنان في العربة وبينما هما في الطريق كانت ليوني تقص عليه قصتها التي كانت بنوع ما مثل حكاية٠ اخبرته كيف انها قضت حياتها ما عدا الشهر الاخير في جبال البرتقال في احدى الكليات هناك وكيف ان والدها بعد تغيبه عنها كل تلك المدة عاد واخذ يتنقل بها من مدينة الى اخرى حتى وصلا الى نيويرك وكيف انه اي والدها الم به مرض قالت الاطباء ان الشفاء منه مستصعب ٠ ثم انها تنهدت قائلة ٠ انا لا تهمني نفسي بل لا يهمني الا ابي المسكين ولا انسى قوله لي مرارا عديدة وانا بجانبه ٠ يا ليوني يا حبيبتي انا لا يهمني شيء في هذه الدنيا الا انت واذا مت اتركك وحيدة فقيرة اه واه ما هذا الفكر الموءلم ٠ فلم يتمالك كوردن من البكاء عند سماعه هذا الحديث الموءثر فحول وجهه حتى لا ترى ليوني دموعه السخينة المترقرقة بغزارة ٠ اما هي فتابعت حديثها قائلة ولذلك تراني كنت افتش عن شغل ليلا ونهارا حتى تيسر لي عمل عندكم ولكن ما كدت اتعزى قليلا حتى فاجأني الكدر واليأس ثانية لانني رفضت من العمل ٠

فاجابها كوردن قائلا ٠ اريحي بالك من هذا القبيل فانا قادر على تدبير عمل لك عندي في مكتبي الخاص

فتكتبين على الطابعة الا انني لا احتاج اليك الا بعد اسبوع او اسبوعين ولكن ساعطيك اجرتك عن اسبوع مقدما لاتيقن انك صرت في خدمتي من الان وصاعدا وقبل ان تتفوه ليوني بكلمة جواب وقفت العربة امام بيتها في شارع هنري وكان كوردن في تلك اللمحة قد دس في يدها ورقة مالية فحاولت الاعتذار والرفض ولكن الجواد كان قد جرى خبباً والعربة اخذت تتواري عن نظرها • فوقفت برهة ناظرة الى تلك العربة ثم رفعت رأسها الى السماء قائلة: اشكرك يا الهي لانك افتقدتني برحمتك وارسلت الي هذا المحسن الذي فضلا عن انه خلصني من يد ذلك الجائر فقد انعم علي بما يساعدني على مغالبة العوز انا ووالدي • ثم انها افتكرت في والدها فاخذت تصعد السلم درجتين درجتين مسرورة بانها ستخبر والدها بما جرى لها وحين دخولها وجدته مضطجعاً على فراشه لا يتحرك وباحدى يديه قلم وبالاخرى ورقة مكتوبة الى نصفها تقريباً فتقدمت اليه ليوني وصرخت بابا بابا! ولكن لا حياة لمن تنادي • فتنهدت قائلة • ابي المسكين انه غارق في سبات عميق فلا تركنه نائماً وانا اذهب واستحضر له شيئا من الخمر لكي ينعش قلبه لاسيما والطبيب اشار بذلك وسانتم هذا قبل ان يستفيق وهكذا ارجعت قبعتها الى رأسها مفكرة كيف ان والدها سيكون مسرورا عندما يرى

الخمر ولكن مسكينة هذه الابنة فانها لم تكن تعلم ان والدها راقد رقدة ليس بعدها استفاقة فبالحقيقة انه كان قد جاد بروحه والورقة التي كانت بيده كانت مكتوبة عليها لمحة من تاريخ حياته الذي بقي الى ذلك الوقت مكتوما حتى عن ابنتـه ٠

تقدمت ليوني نحو باب الغرفة تجس الارض برفق خوفاً من ان تيقظ والدها من نومه ومـا كانت تضع يدها على المفتاح حتى قرع الباب من الخارج ففتحت واذا بصبي واقف وبيده كتاب ٠ فسبقهـا بالكلام قائلا : أأنت مس ليوني لاك ٠

— نعم وهل هذا الكتاب باسمي

— نعم هو لك ٠ اجاب الغلام ٠ وناولها اياه

فتناولته منه بيد مرتجفـة وفتحته باستعجال فاذا فيه ما يتلو :

ايتها العزيزة مس ليوني لاك ٠

هل تقدرين ان توافيني الى المحل الذي يرشدك اليـه الصبي ٠ ان لي معك كلاماً بشأن مصلحة لك وانا واحدة من السيدات اللواتي نظرنك في معمل لنكولن وكارليل فبحضورك تجلبين لنفسك نفعاً عظيما

س ٠ د ٠

فلم تنظر ليوني الى التوقيع والصحيح انها لم تكن تعرف

ولا واحدة من اولئك السيدات اللواتي نظرتهن في ذلك المعمل ولكنها مشت والصبي يتقدمها الى حيث لا تعلم ماذا خبأ لها القدر ·

كان الثلج في تلك الساعة ينهال انهيالا محاكيًا لتراكمه الضباب الكثيف ويكاد يحجب النظر فسارت ليوني على اثر الصبي حتى وصلا الى زاوية شارعي ستايت وهنري وهناك مال الصبي الى وسط السوق معوّلا على الاجتياز الى الجهة الثانية · فتبعته ليوني ولم تبصر ذلك الرجل الذي كان واقفاً هناك بجانب عربة يترقب قدومها وما دنت منه الا ومنطقها بذراعيه وانهضها الى العربة مقفلا عليها الباب وجرت الخيل بكل سرعة وبقيت ليوني محصورة كانها مختلة الشعور لا تدري اين هي وظلّ السائق مجهدا خيله يحث قواها للاسراع تاركا رجال الشرطة يستغربون سرعة العربة ولا يدرون بما تحتويه من الاسرار

— الفصل الثالث —

بقيت العربة تجري بسرعة تحت انهمال الثلج المتكاثف حتى وصلت الى بيت مبنيّ من الحجر الاحمر على جانب النهر

الشرقي وهناك وقفت وترجل السائق وفتح البـاب واحتمل ليوني بين ذراعيه الى البيت ومن شدة الرعبة استولى عليهـا السكوت وعند ذلك انفتح باب على أعلى الدرج وانتشر من داخله النور في ارجآء المنزل وظهر تشارلي على قمة السلم٠ وفي تلك اللحظة انتبهت ليوني الى الخطر الذي يتهددها فصرخت بكل قواها متراجعة الى الورآء تؤمل الفرار من امام ذلك الشقي ولكنها وجدت نفسها بين يدين قويتين قبضتا عليهـا وسمعت صوتًا يقول٠لا تفعلي هكذا ايتها الانسة فانك موتًا تموتين بل سلمي تسلمي وذلك اولى بك ٠

أأتيت بالصبية٠صرخ تشارلي من اعلى الدرج وهو ينزل رويدًا رويدًا وما لبث ان هتف ٠ آه ٠ السلام عليك ايتها الحبيبة اتحبين ان احتفي بك في فردوسي هذا الذي سيكون فردوسك انت ايضاً ٠ انني كنت منتظرا قدومك بذاهب الصبر وكنت متأكدًا ان كتابي سيقتادك بدون عناء ٠فقالت ليوني وشرار الغيظ يقدح من عينيها ٠ اذن انت هو صاحب هذا المعروف الواجب علي شكره ! لا ادري كيف اباح لك شرفك ومروءتك ان تنتزع فتـاة مثلي من جانب والدها المضطجع في حالة الاحتضار ٠ آه وابلوتي من هذه الاهانة٠ دعني انطلق والا صرخت وناديت رجال الشرطة ليـأتوا ويسوقوك الى السجن حيث تنال جزآء عادلاً على عملك هذا

فاستضحك تشارلي جواباً لها وجذبها بعنف محاولا ادخالها الى غرفته فتندّى وجه الفتاة بالعرق وزادت بهاءً على بهاءٍ والتفتت الى السائق قائلة ۰ اذا كنت انت عديم الرحمة والشفقة ۰ مشيرة الى تشارلي : فانني اطلب الشفاعة من هذا الرجل ۰ انت قد اغراك على التواطوء معه في الحيلة حتى اتيت بي الى هذا المكان فاسألك ان ترثي لحالي وترجعني من حيث جئت بي وانا اسامحك على ما سبق وتغنم رضى و بركة ابي المسكين ۰

ان ما تطلبينه ۰ اجاب السائق ۰ يخالف ارادة هذا المستر وهو الرجل الوحيد الذي يمكنك الالتجاء اليه اما انا فليس في امكاني اجراء شيء ۰

فكررت ليوني التوسل قائلة ۰ انت لو كان لك شقيقة او ابنة ووقعت في مثل هذا الخطر افلا تكون مدى العمر ذاكراً معروف ومروءة الرجل الذي يكون انقاذها على يده وانا ۰۰۰ فقاطعها تشارلي قائلا للسائق ۰ لا تسمع لها ۰ خذ هذه الدراهم وانصرف ۰

فصرخت ليوني ودموعها تجري مستغيثة بذلك السائق طالبة توقفه عن الذهاب ولكنه حوّل وجهه وخرج تاركا اياها كفريسة مسكينة في قبضة ذلك الذئب الخاطف وباقل من لمحة سمعت الباب الخارجي يقفل فتزايد خوفها و يأسها ورفعت

يديها نحو السماء قائلة يا الهي ليس لي نصير سواك فنجني من هذا العدو ولكن تشارلي كان قد امسكها من يدها وجرها مرغمة الى داخل غرفته ثم اقفل الباب بعجلة ووضع المفتاح في جيبه وقال لها · اجلسي هنا يا عزيزتي فانك كما ترين في حوزتي فدعينا اذاً نتحدث في امر السبب الذي من اجله اوقعتك في هذه الخدعة واعلمي ان حياتك متوقفة على كلمة من شفتيك

فانتهرته ليوني وقالت : افتح البـاب والا صرخت باعلى صوتي حتى يسمع صراخي الناس فيأتون لاغاثتي ثم انهـا اخذت تصرخ وتعول وتنادي حتى خارت قواها ولكن من اين لصوتها ان يخرق جدران ذلك السجن · وكان تشارلي جالساً على كرسي من القطيفة الحمراء يدخن سيكارا و يتبسم · فقال لها ببرودة : عندما تعلمين ان الصراخ لا يجديك نفعاً حينئذ تأتين اليّ صاغرة

فالتفتت اليه ليوني وفرائصها ترتعد من الخوف والغضب وقالت : اي سوء فعلته معك يا سيدي حتى استوجبت هذا العقاب · انني غريبة عنك ولم تنظرني الا في هذا الصباح فانا اتوسل اليك ان ترق لحالتي وتدعني اذهب الى والدي المريض الذي يقاسي نزع الموت · دعني اذهب اليه لئلا يموت وانا بعيدة عنه · اذا كان في قلبك ولو قليل

من الرحمة فانك تسمع توسل فتاة مسكينة فقيرة لا معين لها ولا نصير. دعني اذهب • دعني اذهب • وانطرحت امامه جاثية على ركبتيها تتوسل وتتذلل

ان القتيل مخضباً بدموعه مثل القتيل مخضباً بدمائه

فانتصب تشارلي واقفاً واخذ يتمشى في الغرفة قائلا •

تسألينني ماذا فعلت يا ليوني • فانا اجيبك انك فعلت بي ما لم تفعله فتاة سواك • انك قلبت حياتي كلها • وشقائي وهنائي يتعلقان الان على جواب منك انك سلبت قلبي وجعلتني احبك واهواك لا بل اعبدك • انت هي ملاكي • ارفعي عينيك اليّ وانظري تريني ذليلا ما بين يديك • الا تشفقين • الا ترحمين • فكما انك انت تطلبين الشفقة مني فانا اطلب الرحمة منك

ولانت انت على ملالك في الهوى

وانا بما القاه من وجدي انا

شديدا كان استغراب ليوني عندما سمعت منه تلك العبارات حتى انها لشدة تعجبها سهت عن الخوف ولبثت مبهوتة حائرة لا تتفوه بكلمة • فاردف تشارلي قائلا : لما علمتُ انني لا اقدر على اكتساب محبتك باللين والرأفة عمدت الى استعمال القوة لكي اجعلك لي — لي انا وحدي - وليس لاحد غيري وارجو ان تتذكري قول من قال واجاد •

ما عيشة المغرم الا جهاد

وكانت ليوني تنظر اليه نظرة المرتعب المندهش وقد غشي وجهها اصفرار الخجل والوجل وكانت في حالتها هذه اشبه بملاك نزل من السماء ·· وقبل ان تتكلم سبقها تشارلي وقال : لاتشككي يا ليوني في ما كشفتة لك عن حبي وغرامي لانني انا اريد ان اجعلك شريكة حياتي · اريد ان اجعلك زوجتي — اريد ان اجعلك مالكتي

كفى · كفى ! قالت ليوني وقد تعاظم ثوران غضبها وهياج خوفها · انت تجعلني زوجتك ! نعم انني فتاة فقيرة وليس لي من معين ولكن الاولى ان اموت — نعم اموت — ولا اكون كذلك · اهذا ما تحاوله من جرك اياي الى هنا ! انك تطلب محالا وتروم ما هو ابعد من الثريا منالا لانني ابغضك البغض كله واذا تراءى خيالك على الماء عفت شربه

فقابل تشارلي جوابها هذا بابتسامة خبيثة وامهلها ريثما تأتي على آخر ما عندها من الكلام ولكنها لم تزد على ما تقدم بل اسندت رأسها بانكسار الى يديها واستخرطت في البكاء فتحرك غضب تشارلي عندئذ والتفت اليها قائلا : ان نفارك مني واصرارك على كرهي مما يزيد استحكام حبك في قلبي ولكن دعيني اقول لك كلمة على سبيل النصيحة · انت تعلمين انه يوجد اسباب عديدة تسهل علي ان اتخذك زوجة لي بالرغم

عما تبدينه من الممانعة واول هذه الاسباب وجودك هنا في غرفتي هذه الليلة فهل انت غافلة عما يكون من تقولات الناس اذا عرفوا بهذا الامر . ان صيتك بعد هذه الليلة مثلوم لا محالة

لا . لا . قاطعته ليوني : انني ساعلن للملأ اجمع كيفية استعمالك الحيلة واتيانك بي الى هنا وعندئذ يعرف الناس من انا ومن انت وتكون مشجوباً على تصرفك المرذول فانك عذبتني واهنتني والحكومة ستعاقبك على ما فعلت

فاجابها تشارلي قائلا : لا يغرنك هذا الامر اذ من يصدق انك لم تأتي الي انت من تلقاء نفسك اذا اردت انا ان اقول ذلك ولدي شواهد عديدة

فاستوت ليوني واقفة على قدميها وهي ترتعد من الخوف والحنق وقالت : اعلم ان الله خلقني وهو وحده ينقذني . وكن علي يقين انني اترفع عنك . انني احتقرك واحب الي ان اموت من ان اكون زوجة لك . افهمت ام لم تفهم .

فاستشاط تشارلي غضباً عند هذا الكلام وتقدم نحوها مشهرا بيده سكيناً مرهفة الحدين وهو يقول . ومن حيث ان الامر هكذا دعيني ابين لك العاقبة وفي هذه الدقيقة سمعت طرقة على باب الغرفة فارجع السكين الى جيبه وارتد نحو الباب متذمرا متهددا وعندما فتحه صرخ مندهلا : أأنت هو ؟ كأنه لم يكن ينتظر قدوم الزائر في مثل هذا الوقت . واخذ الاثنان

يتحدثان بصوت منخفض حتى لا تسمعهما ليوني وفي أثناء ذلك اخرج تشارلي المفتاح من جيبه ووضعه في القفل وهو يقول : اياك ان تجربي حيلة لاجل الهرب وتذكري انني نبهتك لانك ان فعلت ذلك فحياتك لا تسلم من الخطر . وبعد هذه العبارة كان الباب قد اوصد وبقيت ليوني وحدها في تلك الغرفة او السجن المظلم تبكي وتندب حظها وتطلب معيناً واين منها المعين .

— الفصل الرابع —

وقفت ليوني في وسط تلك الغرفة متحيرة مرتبكة لا تدري ماذا تصنع وعبثاً كانت تضرب بيديها الناعمتين على ذلك الباب المتين المصفح بالحديد حتى تلاشت عزيمتها فخرّت على الارض جاثية ورفعت عينيها الى سقف الغرفة الذي كان يحجب عنها السماء وهتفت بخشوع وتذلل . يا الهي ليس لي من راحم سواك فانت رؤوف كريم . انت ناصري الوحيد يا ابتاه ارحمني . ثم تغلب عليها البكاء والنواح من شدة خوفها ويأسها في ذلك الليل الدامس . وفيما هي تلتفت يميناً وشمالاً وقع نظرها على شباك في صدر الغرفة فاسرعت نحوه وعندما

فتحته عصف الهواء في وجهها وتلاعب في الغرفة فحرك كل شيء فيها · فصرخت ليوني يا الله خلصني ودبرني برحمتك ثم انها شدت ثيابها وتحفزت للوثوب من ذلك الشباك الى اسفل ولكنها حينما اشرفت على حافته اقشعر جسدها وتراجعت قائلة ·أأقتل نفسي ؟ · ما العمل ! ولكن نعم· نعم اقتل نفسي ولا ابقى منتظرة رجوع هذا الشرير الذي يريد ان يجعلني زوجة له وفيما هي تتجسس على جوانب الشباك وقعت يدها على سلم الحريق فشكرت ربها واستبشرت بالخلاص· وعندما ابتدأت بالنزول· وفي تلك الدقيقة الحرجة سمعت وقع اقدام على الدرج الخارجي فضاعفت سرعتها لحسبانها ان الاتي هو تشارلي وقد طار قلبها شعاعاً عندما طرق اذنيها صوته وهو يقول · اين انت يا ليوني وقد اخذ بيده مصباحاً ولاحظ ان الشباك مفتوح وطفق يتطلع الى الخارج ولكن من دون جدوى لانها كانت حائدة من موقع نظره ولكنها مع تيقنها من ذلك لم يسكن خفوق قلبها ولاهدأ روعها اذ كانت تخاف ان يأتي مترصدا الى تحت الشباك قبل ان تكون بلغت الارض سالمة وفيما هي تستعجل في انحدارها زلقت رجلها فهوت الى الحضيض وهي تردد اسم الله الا انها لم تصب بضرر لان الثلج كان شديد الكثافة في تلك الليلة فنهضت وجرت مسرعة تطلب اقرب شارع كبير في الجوار

حتى تعلم اين هي وشديدًا كان تعجبها عندما رأت انها لا تبعد عن بيتها الا مسيرة نحو ثلاثين دقيقة

كانت ليوني تصعد سلم البيت وادّة لو كان لها جناحان لتطير وكانت تناجي نفسها قائلة · ابي المسكين : ترى هل استفاق من نومه ولم يرني ثم انها فتحت الباب بترفق خوفًا من ان تيقظه وعندما اقتربت من سريره وجدته في نفس الهيئة التي تركته فيها ماسكاً بيده الورقة المكتوبة الى نصفها والقلم بيده الاخرى فتنهدت قائلة · ابي ابي · قم وانظرني وانحنت عليه لتقبله ولكنها ما وضعت شفتيها على شفتيه حتى علمت انه ليس الا جسدا هامدا فصرخت بمرارة يا سماء ساعديني ووقعت على الارض مغمى عليها

. . . .

مضى على موت والد ليوني اسبوع وهي تتراوح بين الموت والحياة وعندما استفاقت من اثر هذه الضربة وجدت ان والدها قد تضمنه القبر وهجرها الى الابد وانها في بيت بعض الجيران الامناء وكانت دائمًا تنوح وتتفجع قائلة : انا وحيدة يا ابتاه فلماذا تركتني هنا اغالب الدهر الظالم · لماذا لم تأخذني معك · وكانت مرة ملقية رأسها المجلل بغدائر الشعر الذهبي ومتكئة على وسادة هناك فاستشعرت مقلتاها النعاس واستولى عليها نوم عميق ولو انها علمت ان حسنها الفريد سيكون

عدوها اللدود لكانت ودت نزعه واستعملت ما يمكن من الوسائط لخسرانه ولو انها عرفت بما يكتم لها الدهر بسببه لكانت تمنت الموت العاجل ولكنها الان موءالفة النواح ملازمة الشجون لا تهدس الا بوالدها فقط

كانت مسز وليم وهي صاحبة البيت مسرورة جدا في اليوم التالي عندما رأت ليوني جالسة بجانب الشباك على كرسي كبير من الحرير الازرق فتقدمت اليها وقبلتها قائلة · لك عندي مكتوب يا عزيزتي (وناولتها اياه) وقد اتى من مدة ثلاثة ايام انما لم ارد اظهاره مخافة ان يزعجك فخضب وجه ليوني الحياء واصبح خداها مثل الشقيق عندما نظرت ختم لنكولن وكارليل على الغلاف لانها علمت ان هذا الكتاب هو من الشاب كوردن وقالت في نفسها انه ارسل يستدعيني اليه ففضته بعجلة ولم تكد تأتي على اخره حتى اصفر وجهها ووقعت على الارض مغشياً عليها وهي تقول في نفسها بحسرة يا سماء رقي لحالتي انني كنت القيت اتكالي على هذا الشاب والان ضاع الامل · اما مسز وليم فحينما نظرت ليوني واقعة على الارض في حالة الاغماء هرعت اليها واخذت ترش الماء على وجهها حتى استفاقت والمكتوب لا يزال في يدها وفي هذه الدقيقة دخلت عليها ,,اما‘‘ وهي بنت مسز وليم وتقدمت نحو ليوني قائلة · ما بالي اراك سيئة الحال بادية البلبال

فتأوهت ليوني وقالت . آه يا ,, اما '' لو تعلمين ما هي حالتي الان وماذا طرأ علي لرثيت لي ورحمتني ثم ناولتها المكتوب لتقرأه فاخذته إما ونظرت فيه وهذه صورته

مس ليوني لاك - ايتها العزيزة

بعد النظر وجدنا اننا في غنى عن عامل على الطابعة بخلاف وعدنا لك وعليه نرجو ان لا تأتي في طلب الاستخدام عندنا

باخلاص

لنكولن وكارليل

وحينما اطلعت ,, اما '' على المكتوب التفتت الى ليوني وقالت . لا تيأسي يا ليوني ولا تخافي اني سابذل جهدي لاستصحابك غدا الى المعمل الذي اشتغل فيه وهو معمل قبعات وسافاوض المدير بشأنك وارجح انك تحصلين على مركز .

فالتفتت ليوني الى خارج الشباك متنهدة والدموع تترقرق من عينيها وقالت . ساذهب معك غدًا باكرًا يا ,, اما '' وانظر وعلى الله الاتكال

في اليوم التالي كنت ترى ليوني جالسة بجانب ,, اما '' في المعمل والاثنتان تشتغلان سوية وكانت ليوني فرحة للغاية وما مضى الاسبوع حتى استراحت افكارها وعاد اللون الى وجهها وكنت تراها منكبة على العمل والعرق يرصع وجهها

فيزيده جمالا وكانت كل فتاة تعرفها تميل اليها وكان يوم السبت قد جاء والعاملات جميعهن ينتظرن هذا اليوم من جهة لاجل اخذ الاجور ومن جهة اخرى لاجل الراحة وما اتت الساعة الخامسة حتى ابتدأ الجرس يقرع وشرع فتى امرد الوجه يدور بين البنات و يوزع عليهن غلافات كان يحملها وضمنها اجور العاملات

ولما خرجت ليوني من المعمل قالت لها رفيقتها ,, اما " افتحي يا ليوني غلافك وانظري بكم اشتغلت في هذا الاسبوع ومن المعلوم ان العاملة الحديثة لا تقدر ان تجاري العاملات القديمات مثلي ومثل غيري

ففتحت ليوني الغلاف وهي مبتهجة فوجدت طيه حوالة بخمسة دولارات وورقة مكتوبًا عليها بالطابعة ما يلي

اينها الانسة ليوني لاك – ,,نخبرك ان الاشغال قليلة لدينا في هذا الوقت وليكن هذا اخر موعدك عندنا"

وفيما كانت ليوني و ,,اما" تعيدان النظر في الورقة بالقرب من المعمل كان كوردن كارليل وهو مرتد بثوب طويل يصل الى قدميه وعلى رأسه قبعة من الحرير تغطي شعره الذهبي الجعد واقفًا امام بيت ليوني في شارع هنري يسائل عجوزًا كانت ظهرت له لما قرع الجرس قائلا . هل هذا منزل الانسة لاك . فاجابته العجوز قائلة . لا يوجد احد هنا

بهذا الاسم وكانت تنظر الى الشاب السائل معجبة بصباحة وجهه وجمال خلقه ثم قالت · نصيحتي لك هي ان ترجع من حيث اتيت لان فتيات كثيرات يتلاعبن باسمائهن ليلعبن بعقول الشبان ولعلك ابتليت بواحدة منهن · انني اكرر نصيحتي لك وارجوك ان تعذرني لان اشغالي كثيرة واقفلت الباب ·

فرجع كوردن الى عربته متحيرًا منذهلا وهو يقول في نفسه · الله ما هذا · اصحيح ان فتاة مثل هذه تفعل هكذا · انني لا اصدق — لا اصدق ان وجهاً مثل وجه ليوني يخدعني كلا · لا اصدق وقد كان في الاسبوع الاخير منتظرا ذهاب ليوني الى محله حسب التعاهد وفي كل تلك المدة كان وهو في غرفته او في محل عمله او في الشارع او في اي مكان اخر يتصور امامه وجهاً كالبدر في تمامه يزيده كمالا اكليل من الشعر الذهبي · ذلك هو وجه ليوني لا ك

جمالكم نصب عيني　　اليه وجهت كلي
وحسنكم نار موسى　　والقلب طور التجلي



— الفصل الخامس —

انظري يا ,,اما‘‘ قالت ليوني انهم طردوني من العمل ماذا صنعت يا ترى فكان هذا جزائي انني استفرغت جهدي لارضائهم · آه ماذا صنعت · ماذا صنعت

فاجابتها,, اما‘‘ · قفي هنا قليلا ريثما اذهب الى مدير العمل واستفهم منه عن سبب طردك · قالت هذا وعادت ادراجها وبعد هنيهة رجعت وعيناها الزرقاوان تذرفان الدموع · فصرخت ليوني بلهفة · ما بالك تبكين ولماذا طردوني

ولكن,, اما‘‘ حولت وجهها قائلة · اه يا ليوني لا اقدر على التصريح الا اذا اردت ان يتمزق قلبك

فاجابتها ليوني · تكلمي يا ,, اما ‘‘ مالك ولقلبي فانه تصلب من توالي المصائب

وصرت اذا اصابتني سهام تكسرت النصال على النصال

اذن اسمعي · قالت اما · آه · آه يا ليوني لا اقدر ان اتكلم · لا اقدر

تكلمي اجابتها ليونى مرتعدة · تكلمي فانك خوفتني انهم يقولون عنك يا ليوني انك لست شريفة ولا تستحقين ان تختلطي مع البنات الموجودات في المعمل هنا لان لديهم ادلة واضحة تشهد بانك كنت في احدى الليالي في مكان وظروف تدعو الى الريبة وقد عارضتهم وقلت انني لا اصدق ذلك فقالوا وهل لديها برهان ينفي التهمة ويزيل الوصمة لنرجعها الى العمل · فانا اعلم جيدا انك تقدرين على التكذيب يا ليوني · آه يا ليوني دافعي عن نفسك · انت بريئة من كل ريب · فلا تدعي احداً يتكلم عنك بسوء وكانت "اما" تتكلم والدموع تملأ عينيها وما اتمت حديثها حتى امتقع وجه ليوني ولو لم تكن "اما" بجانبها وتضع ذراعها حول خصرها لكانت سقطت على الارض غير انها التفتت الى "اما" وقد ضعضع الحياء فكرها واستولى عليها الخبال لانها عرفت انها اي "اما" تتوقع منها جواباً ولكن ماذا تصنع وماذا تقول · اما "اما" فلم تكرر عليها الكلام لان ما ظهر على وجهها من الارتباك اكد صحة التهمة لديها فقالت في نفسها ان الفتاة الابية اذا افتري عليها بكلام يمس الشرف تبذل غاية الجهد لتبرىء نفسها وخصوصاً من تهمة كهذه ولهذا فانا اظن ان كلام صاحب المعمل لا يبعد عن الصحة وحينما وصلتا الى البيت اخذت "اما" تخبر والدتها عن سوء حظ ليوني وعند

تناول الطعام سألت مسز وليم ليوني عما اذا كانت تقدران تدافع عن شرفها واذ ذاك وضعت ليوني وجهها بين يديها وطفقت تبكي وتنتحب ثم سردت لهما قصتها من البداية الى النهاية ولكن روايتها لم تقع موقع القبول لدى مسز وليم التي ظنت انها ابتدعتها للتنصل فقط وكذلك اكثر النساء فانهن ينسين اعز الصديقات عند المصائب والضيقات . فالتفتت الى ليوني وقالت . انني حزينة من اجلك يا مس لاك لانك صغيرة السن وبديعة الحسن . الا تعلمين ان الحسن يكون من الضربات بعض الاحيان وانا اشكر الله ان ابنتي ,اما" ليست ذات حسن وعندي ان كونها صادقة وشريفة ومحافظة على سمعتها وطهارتها لافضل من ان تكون ملكة جالسة على عرش توصلت اليه بواسطة غير شريفة و بكل اسف اقول لك انني غير قادرة على ابقائك في منزلي لانني لا اريد ان تكون ابنتي الا فتاة عزيزة النفس مصونة ولذا ترينني اذا . . . .

مهلا . مهلا . قاطعتها ليوني وقد نهضت واقفة . انني ذاهبة في هذه الدقيقة . نعم اذهب من هنا لانني لا اطيق الاقامة في هذا البيت ولا تسوغ لي جرعة من مائك . انك توهمت انني موّهت عليك ولكن يشهد الله انني صادقة بما قلت . انني احافظ على طهارتي . انني شريفة ولو كنت فقيرة والان استودعك الله يا مسز وليم استودعك الله يا ,, اما " وسيأتي

يوم فيه يبرح الخفاء وتنجلي الحقيقة ثم التفت بثوبها وخرجت الى الشارع واخذت تتمشى الهوينا مفتكرة الى اين تذهب وقد رفعت رأسها الى السماء قائلة . يا الله كن لي نصيرًا لان ليس لي صديق واحد في هذه الدنيا

فلا انيس اليه مشتكى حزني ولا جليس اليه منتهى جذلي

ثم انها وقفت تتفكر فيما اذا كانت تقضي ليلتها متمشيةفي الشارع حتى الصباح وكان البرد شديدا صعب الاحتمال وفي تلك البرهة تمثل لها وجه كوردن وكأن صوتًا يقول لها اذهبي اليه فان عنده الموئل الامين . وكانت ليوني تذكر ان «ماما» دلتها يومًا على بيت المستر كارليل وقالت لها هذه هي الدار التي يسكنها كوردن . فسارت متوجهة نحو ذلك البيت متكلة على الله .

الان ايها القراء الكرام قد حان ان نكشف لكم ما ربما لا يزال مكتوما عنكم وهو ان تلك الرقعة التي وصلت الى ليوني بامضاء لكولن وكارليل لم تكن منهم بل كانت مزورة من تشارلي هارت الذي اخبرته خطيبته كيت هارتي ان الفتاة التي كانت تشتغل على الطابعة قد صرفت وان ليوني لاك ستقوم مقامها وهو ايضًا نفسه ذهب الى معمل البرانيط ووشى بليوني انها كانت في نصف الليل عنده قاصدا بذلك ان يسبب طردها من محل العمل وقد عزم على ان يفعل ذلك في كل محل

تشتغل فيه حتى يضطرها اخيرا الى الاذعان له

ولنرجع الان بعد الايضاح المتقدم الى سياق الكلام عن ليوني فانها وصلت الى امام تلك الدار الفخيمة دار المستر كارليل ووقفت تجاه الباب ترتعش من شدة البرد والجوع وحينما قرعت الجرس تبدى لها خادم طاعن في السن فبادرته بالكلام قائلة · اريد مقابلة المستر كارليل · فتبسم الخادم و قال · بورك فيك ايتها الصبية ان المستر كارليل لو اتيت لزيارته بعربتك المذهبة وجواهرك اللامعة بعد الساعة السادسة لما تيسرت لك مقابلته فاذا كنت تريدين ان تنظريه فقصديه يوم الاثنين الى نيو يرك ·

فاجابته ليوني قائلة · اذهب وقل له انني اريد ان اراه لامر مهم جدا · اذهب الى المستر كوردن واذكر له اسمي وانا متأكدة انه يأتي لمقابلتي

— الفصل السادس —

اذهب وقل له ان ليوني لاك تريد ان تواجهك

وفي تلك الاثناء تبدت فتاة باهرة الحسن والجمال مرتدية بثوب من الحرير الاخضر وعلى كتفيها رداء الاوبرا (مرسح

الغناء) ونادت قائلة · يا جون اذهب الى كورون وقل له انني انتظره على موعد الذهاب الى الاوبرا واذا تأخر عن الوقت يفوتنا الفصل الاول

وبدون انتباه دفعت ليوني الخادم بيدها متقدمة نحو تلك الفتاة قائلة لنفسها انها صبية حديثة السن مثلي فهي ترحمني وتيسر لي مواجهة كوردن ولما دنت منها قالت وهي ترتعش من البرد والخوف وعيناها مغرورقتان بالدموع · عفوا يا سيدتي انني اطلب مواجهة كوردن كارليل وهذا الخادم ابى ان يبلغه سؤالي ورجائي ان تشفقي انت عليّ وتتفضلي باعلامه لعله يقابلني ·

فوجهت اليها دورا لانكستر نظرة غضبى وتفرست فيها كأنها تقيسها من أمّ رأسها الى اخمص قدمها ثم اشارت الى الخادم قائلة · اطرد هذه الشحاذة خارجا ولفت ثوبها الحريري بيديها خوفًا من ان يمس ثوب ليوني وحينما سمعت ليوني هذا الانتهار امتلأت عيناها بالدموع وتحولت تريد الانصراف وقبل ان تصل الى الباب كانت دورا تعرضت لها قائلة · قفي قليلا واخبريني ما هي حاجتك من كوردن وم هو اسمك ولأي سبب سألت عنه وحده وليس عن والده

انا ليوني لانك اجابت البنت المسكينة وهي تتنهد اما حاجتي فليس من داع الى اظهارها لك ولا تهمك ابدا معرفتها · انت فتاة مثلي ولم تشفقي عليّ ولكن اسأل الله ان يرحمك عند

الضيقة ٠

اخبريني ٠ ايتها الفتاة القليلة الحياء ٠٠ قالت دورا وقد قدحت عيناها شرار الغضب ٠ كيف انك تأتين الى هنا لالتماس المساعدة وتهينينني فاذا علم بك كوردن او والده فانهما ولا شك يرميانك الى الشارع ٠ اطردها الى الخارج يا جون واياك فيما بعد ان تدع شحاذة وقحة مثل هذه تقف على عتبة الباب

لا يلزم ان يطردني ٠ قالت ليوني متكلفة الابتسام ٠ فانا ذاهبة من تلقاء نفسي واعدك بانني لا اكرر مجيئي الى هنا فيما بعد وشدت ثوبها عليها تأهبا للنزول على ذلك الدرج الرخامي امام الباب ولكن القدر لم يسمح بان تعود هذه العودة فانها لشدة البرد والدموع المغشية عينيها زلقت على الرصيف الرخامي فراحت منقلبة بعنف شديد حتى انها لم تعد تتمكن من النهوض وصودف ظهور المستر كارليل متأهباً للنزول ايضاً وحينما نظره جون ركض نحو ليوني يساعدها على الوقوف فسأله المستر كارليل قائلاً ٠ من هي هذه الصبية وماذا تريد ؟ فاجابه ٠ لا اعلم يا سيدي انها اتت وطلبت مواجهة كوردن وانا لم استدعه لان مس دورا كانت مستعجلة لتذهب واياه الى الاوبرا ٠

فقال المستر كارليل خذها الى غرفة الخدام واخبرني متى امتلكت روعها ثم عاد الى غرفته وهو يقول في نفسه ٠ ما

الحيلة مع هؤلاء البنات اللواتي لا يكفيهن نظر كوردن في محل العمل بل يتبعنه الى البيت ايضاً ولكن ماذا عساه ان يكون غرضها عنده هل ان ولدي راقه منظرها فعلقها. لا. لا. ان ولدي لا يقدر ان يتزوج الا دورا فقط . آه وا بلوتي ! انني منذ خمسة عشر سنة واقف على شفير هاوية متوقع السقوط يوماً من الايام فاذا كوردن لم يقترن بدورا فانني هابط لا محالة واذا فعل كنت سعيداً اذن يجب ان يتزوجها ولا بد من ذلك . وفيما هو مستغرق في هذه الوساوس أطل الخادم من الباب قائلا . يا سيدي انني طرقت الباب مرتين ولم تسمعني فالصبية استفاقت الان وقد رأيت انها مصابة بجرح بليغ في رأسها ونخاف ان طردناها الى الخارج ان تموت من البرد .

اين هي . قال المستر كارليل . أرني الغرفة وتقدم يتبع الخادم وعندما وصل وجد ليوني مضطجعة على فراش الخادمة ولما سمعت وقع اقدام فتحت عينيها اللتين كان مرسلا حوليهما شعرها الذهبي باهمال ونظرت الى المستر كارليل الذي كان واقفاً بجانبها يتأملها وتلك النظرة اوقعت بقلبه حسرة وكأن مجرى كهربائياً اطلق على جسمه فوقف منكبتا مصفر الوجه ولسانه منعقد عن الكلام . واستولت عليه رجفة وارتعاش الا انه اخيرا تكلف الكلام وقال من انت — غضي عينيك ولا

تنظري اليّ وصرحي لي عما حملك على الاتيان الى هنا وما هو غرضك من ولدي . انا ليوني لالاك . تمتمت الفتاة المنكودة الحظ بلهجة الخائف المضطرب

انا اعلم . انا اعلم . انت ابنة آلن لالاك وقد حاولت دخول بيتي قسرا ولو انني كنت قاسي القلب لكنت اطردك الان في هذا الليل الحالك ولكنني احذرك من ان تأتي لمقابلة ولدي مرة اخرى لان العاقبة تكون وبالا

ولكن انذاره هذا جاء بعد فوات الوقت اذ في تلك الدقيقة ظهر ولده في فناء القصر يسأل عن ليوني وتفصيل الواقعة يعلمه القارئ مما يتلو .

— الفصل السابع —

حينما وقعت ليوني على الدرج كما ذكرنا كانت دورا لانكستر ذهبت لترى كوردن وهو مختلٍ في مكتبه الخصوصي فوجدته جالساً هناك على كرسي من الحرير المزخرف وبيده كتاب يقرأه ولشدة ارتياحها الى معرفة ما يقرأ تقدمت نحوه متسرقة ونظرت الى الكتاب من ورائه فرأته يقرأ اشعارا لم تنظر منها غير هذين البيتين .

ولقد نظرتك يا حبيبة مرة   بين الجموع وكنت باهرة السنا
فغدا فوءادي حول لطفك حائمًا   ألف الهوى واليف ما ألف الضنى

ولم ينتبه كوردن الى وجود دورا فتنهد بصوت مرتفع وقال ٠ والله ان هذا الشعر لو كان حديث الظهور لما شككت انه نظم لاجلي لانه يطابق حالي ثم تنهد ثانية وقال ٠ اين انت يا ليوني ! وما لفظ هذا الاسم حتى رجعت دورا الى الوراء مذعورة حتى وصلت الى الباب ثم تقدمت ثانية وقالت هل انا اوقفتك عن المطالعة يا كوردن فما الذي كنت تقرأه حتى انني لاراك متأثرًا مضطربًا ودلائل الغم بادية على محياك

فاستوى كوردن على قدميه منذهلا من وجود دورا دون ان ينتبه اليها وقال وهو كانه في البحران لم يكن شيء الا بيت من الشعر وجدته شديد الملاءمة لواقعة حالي

— هل هو شعر لاحد الابطال ذوي القلوب القاسية نظيرك قالت هذا والقت يدها بجانب يده على الطاولة

فاجابها كوردن ماذا تعنين ولماذا قلبي قاس وما الذي فعلته حتى نسبت اليّ قسوة القلب

انك لست قاسي القلب فقط اجابت دورا بل انت كثير النسيان ايضاً الا تذكر اننا تواعدنا على الذهاب الى الاوبرا في هذا المساء

فاخذ كوردن يتمشى في القاعة قائلاً لها · عفوا يا دورا انني كنت مشتت الافكار · فقاطعته دورا قائلة · اذ ن لم تكن مفتكرا بي وهي تنظر اليه نظرة الواله وحاولت ان تطلع على خافي سريرته وكانت ارتابت في امر تلك الفتاة الفقيرة فلجأت الى الحيلة لتعلم هل هي التي كان يفتكر فيها فسألته وهو يلبس ثيابه · قائلة: هل تعرف فتاة اسمها لبوني لاك يا كوردن · وما كاد يسمع هذا الاسم حتى التفت اليها بسرعة قائلا · ومن اين تعرفين مس لاك يا دورا فهي هي الفتاة التي كانت تشغل افكاري عند دخولك عليّ · فقالت دورا · وهل هي بنت احد الاغنياء ام احد اصحاب المناصب العالية · فاجابها · كل ما اعلمه هو ان الانسة لاك ليست غنية بل هي فقيرة تشتغل لتحصل معاشها وتعول والدها · ولكن ما الذي دعا الى ذكرها في هذا المساء بالله يا دورا اخبريني من اين تعرفينها ·

ماذا ؟ قالت دورا وقد اخذ منها الغضب مأخذه : انا تلك الصبية صاحبة الملايين من الريالات · انا تلك الصبية التي ينظر اليها كل من في نيو يرك بعين الاعظام والاجلال لا اجد الا فتاة فقيرة عاملة اتعرف بها · انك ولا شك تهينني بسؤالك هذا ولم اكن اتوقع منك اساءة الظن بي الى هذا الحد يا كوردن فاذكر جيدا انني لا انسى هذه الاهانة طول

حياتي و بينما هي تتكلم كان وجه كوردن يوضح بتلونه عن هياج غضبه وكأن تلك المحبة التي كانت لها في قلبه زالت بالكلية فلم تكد تتم كلامها حتى قال بجدة ·

كفى · كفى الان يا دورا · سامحك الله على ما تقولين · اذا كنت تزعمين ان تعارفك مع الفتيات العاملات يجلب عليك العار فهذا خطأ ظاهر وخصوصا اذا كنّ من نظراء مس لاك ·

فلم تتجلد دورا حتى يكمل كلامه بل قاطعته قائلة بتهكم · هذا عين الصواب · قف انت ودافع عن اولئك العاملات

انني سادافع عنهن طول حياتي يا مس لانكستر اجاب كوردن · واساعدهن ايضاً وكل شاب ذي شهامة وشرف يتبع خطتي · الا تعلمين ان الملوك ذوي التيجان والصولجان كان منهم من لم يستكبروا على الفتيات العاملات واتخذوا منهم زوجات · انني اسيف لاجلك يا مس لانكستر لانك اظهرت هذه الليلة ما في ضميرك من سوء النية · فبدت على وجه دورا سمات الكآبة والانكسار لانها استدلت على فتور حبه لها من قوله ,, يا مس لانكستر ‘‘ مع انه لم يكن يناديها الا دورا فقط نظرا الى الالفة وعدم الكلفة · فالتفتت اليه وقالت · انك بدلا من الذهاب الى الاوبرا في هذه الليلة اراك تبكتني لانني لا اسلم بما تقوله وما زال الامر على هذا النحو فساخبرك كيف

قابلت ليوني لاك العاملة ·

بينما كنت ذاهبة الى غرفتي من مدة نصف ساعة في ممشى الدار رأيت جون في محاورة مع شخص يمنعه عن الدخول وفي الحال نظرت فتاة دفعته الى جانب وهي شحاذة فقيرة وتقدمت اليّ — اليّ انا — وسألتني ان آتي بها الى غرفتك ولكنني لم اكترث لها واشرت الى جون بان يطردها خارجاً واذا احببت ان تعلم من هي فسأقول لك

من هي! من هي! صرخ كوردن ·وقد استشاط غيظاً وتصبب العرق عن جبينه وكرر ايضاً بصوت مرتفع · من هي! فجاوبته دورا بحدة قائلة· لا تغضب وكن رصينا فانني اصرح لك باسمها دون خوف · هي صديقتك ليوني لاك

اذاً اتيتها الانسة قال كوردن انك اتيت امرًا لا يسوغ لك اتيانه مطلقاً سامحك الله وساءَ ما فعلت في هذا المساء بطردك هذه الابنة الفقيرة من بيتي وكان يقول هذا وعيناه يتطاير منهما شرار الغضب

اما دورا فلم تخجل بل اخذت تتبسم قائلة · ليس هذا بيتك بل بيت ابيك وحولت اليه التفاتة بعينيها الناعستين اللتين كانتا دائما تستميلان كوردن وما خابتا الاهذه المرة لانه بغضب شديد وضع رداءه (الاوفركوت) على كتفيه وقبعته على رأسه وخرج من غرفته تاركاً دورا وحدها ساهياً عن

انه دعاها الى الاوبرا وهو يقول في نفسه انني ساتبعها وادركها بل لا بد من ادراكها ولم يكن يحلم ان ليوني في تلك الساعة كانت تحت سقف داره

فتبسمت دورا تبسم الخبث والشر وعادت الى غرفتها وحين وصولها القت رداءها على كتفيها وجلست على مقعد من المخمل الاخضر تكلله الزهور واخذت تناجي نفسها قائلة . انا هي التي استرقت بحسنها وجمالها ومالها كل شبان نيو يرك واهان لاجل بنت فقيرة شحاذة نظير ليوني لاك . ان هذا الامر لا يحتمل . فالويل الويل لتلك الفتاة اذا تعرضت لي في سبيلي واخذت كوردن مني فانني ساعمل على اهلاك الاثنين معاً !

— الفصل الثامن —

وبعد ان اعلن المستر كارليل لليوني ذلك التنبيه وقال لها اياك ان تحاولي مقابلة ولدي فيما بعد خرج من الغرفة بغضب شديد وكان كوردن قد دخل من باب آخر لانه حينما ترك غرفته ذهب توًّا الى الخادم جون ووبخه توبيخاً عنيفاً على ما فعل قائلا له . يجب ان تطيعني انا وليس دورا . فجاوبه جون قائلا . اعز الله سيدي . ان الصبية لم تذهب ثم اخبره بالحادثة وكيف انها وقعت وجرى ما جرى الى ان قال وها هي الان

في غرفة رئيسة الخدام اذا ...

فلم يمهله كوردن حتى يكمل حديثه بل هرول مسرعاً وباقل من لمحة كان عند باب الغرفة الموجودة فيها ليوني وكان والده في تلك الخلسة قد خرج فدخل هو وقلبه مملوء من الفرح والحزن في وقت واحد وتقدم حتى صار بجانب السرير المنطرحة عليه ليوني وقال هامساً . ليوني ؟ وعندما فتحت ليوني عينيها ونظرت كوردن واقفاً عند رأسها اجهشت بالبكاء وقالت بصوت متقطع :

آه — يا كوردن — انا — انا — وتأوهت وتوجعت .

فقاطعها كوردن قائلاً بلطف وحنو : لا تتكلمي الان واحفظي ما في نفسك الى حين تعاودك الصحة وترجع اليك العافية ثم وضع احدى يديه بيدها ويده الاخرى كان يسرحها على شعرها قائلاً : انني اشكر الرب الذي القاك بين ايدينا وليس في غير مكان وانا ساجعل همي الوحيد مداراتك والاعتناء بك واني الان ذاهب عنك لكي ترقدي قليلاً لعلك تستريحين ثم التفت الى رئيسة الخدام مسز ستورت وخاطبها قائلاً : ارجوك ان لاتهتمي بشيء غير العناية بهذه الصبية وخدمتها . فقط واذ ذاك خرج من الغرفة وهو ينظر بانعطاف الى ليوني وليوني تنظر اليه نظرة الشكر والامتنان وما كاد كوردن يخرج من الغرفة حتى دخلت دورا من باب آخر لانها كانت عرفت كيف

ان ايوني وقعت وعلمت ايضاً انها واياها في بيت واحد فتزايد قلقها واخذت الغيرة تقلب قلبها على اجر من جمر الغضا· وكيف لا تقلق وهي تفتكر بان من تغار وتخاف منها موجودة هي واياها بين جدران بيت واحد وحينما صارت بازاء ليوني التفتت الى مسز ستورت قائلة : انك ستكونين خادمة لهذه الصبية على ما ارى· ولو كنت انا مكانك لتركتها تموت شحاذة فقيرة بهذه الحالة· وهي ولاشك تذكر جميلنا ولا تنكر معروفنا اذا نحن ابقيناها عندنا· وكانت ليوني تتأوه عند سماع هذا الكلام وتتأسف لعدم تمكنهامن الجواب ·ولكن ماذا يهم دورا من امرها فانها بعد ان قالت ما قالت وجرحت قلب ليوني جرحاً بليغاً تركتها وذهبت الى غرفتها وهي مفتكرة في ايجاد واسطة لابعاد كوردن عنها قائلة في نفسها : اذا بقيت هنا فلا شك ان كوردن يميل اليها ويتركني فالاحسن ان افرّق بينهما ولكن ما العمل ! ما العمل !

فني اليوم التالي وردتهم دعوات عديدة من اصدقائهم يسألونهم فيها الذهاب اليهم بمناسبة موسم عيدي الميلاد ورأس السنة فالتفت المستر جون كارليل الى امرأته قائلاً : اننا سنذهب الى فيلادلفيا ونرجع بعد رأس السنة وفي اثناء تغيبنا تكون هذه الصبية قد تعافت وعادت الى بيتها قبل رجوعنا والتفت الى كوردن قائلا · وانت ستذهب معنا ايضاً

فاجابه كوردن . انني كنت احب ان اقضي موسم الميلاد في البيت وما زال الامر هكذا فانني اقبل دعوة احد اصدقائي الذي دعاني الى بيته في البني

فاجابه والده بكل بشاشة . انت وما يروق لك

وعبثاً كانت دورا تملق كوردن وترغبه في الذهاب معهم لانه اصرّ على عدم مرافقتهم ولكنها كانت تتعزى بعزمه على الذهاب الى البني حاسبة انه سيكون بعيدا عن ليوني وقد تحقق املها حينما نظرت العربة تنتظره لتسير به الى المحطة وهكذا سافر كوردن بعد ان قبل يدي والده ووالدته مخلفاً دورا بين الكآبة والاسف دون ان يلتفت اليها وبعد مغادرته بوقت قصير ركب المستر كارليل وامرأته ودورا عربتهم وساروا يقصدون محطة سكة حديد بنسلفانيا

اما كوردن فانه حين وصوله الى محطة القطار لم يستطع ان يسافر لشدة ما في قلبه من الوجد والهيام فعوضاً عن ان يذهب الى البني قفل راجعاً الى البيت في عربته وشديدا كان استغراب مسز ستورت عندما رأته عائدا فقالت : ما هو سبب هذا الرجوع العاجل يا مستر كارليل فاجابها متبسما . انني افضل صرف ايام الاعياد معك ومع مريضتك

كانت الايام تمر سراعا وكوردن لا يشعر بمرورها وكل يوم كان يجلس بجانب ليوني يقرأ لها بعض الفصول اللطيفة وفي

هذه الايام القليلة التي كان كوردن يصرفها بجانبها تعلمت فاتحة سفر المحبة حتى انها كانت لا تستطيع ان تنظر اليه لئلا تخونها عيناها وتبوحا له باسرار حبها وعواطف قلبها ٠ ولا عجب اذا وقعت اسيرة الحب اذ من هي الفتاة التي تنظر الى شاب مثل كوردن ببهائه وكرم اخلاقه ولا تهواه

ولكن تلك الايام الحلوة كانت قصيرة ومرت مرور الحلم لانه في اليوم الاول من السنة الجديدة اتى كتاب الى مسز ستورت من المستر كارليل ينبئها بعودته ولسوء الحظ غفلت عن ان تخبر كوردن بذلك فكان وصول والده فجأة وعلى غير سابق علم منه ٠ وهذا العود الفجائي نغص عيش كوردن وحول صفو ايامه الى كدر

— الفصل التاسع —

كل ساعة كان يصرفها كوردن في غرفة مسز ستورت كانت تزيده تعلقاً بليوني وشغفاً بها وهي اي ليوني كانت باستمرار العشرة والمؤانسة قد قل حياؤها منه وصارت تتمادى معه بالحديث وكان في غالب الاحيان يسليها بالقراءة وفي ذات يوم بينما كانت ليوني جالسة تجاه الشباك تسرح نظرها في الفضاء وكوردن يقرأ لها ويخالسها النظرات طرح الكتاب فجأة من يده

وقال لها · انك لا تسمعين لي فما الفائدة من القرآءة

فاجابته ليوني بلطف · انني بالحقيقة كنت واعية ما تقرأ ولكن قصة بطل هذه الرواية هي كقصتي ولذلك تراني صامتة حزينة لا اتكلم ·

ولماذا انت حزينة · اجاب كوردن

— لانني بعد ايام قليلة ساذهب من هنا لاجل السعي ورآء عمل لي اذ ليس من الممكن ان اقيم هنا دائماً · الا تقدر انت ان تعين لي عملا عندكم يا كوردن

الله ما هذه الصبية افتكر كوردن في نفسه · انها تطلب مني عملا وهي سالبة قلبي ومالكة فواءدي ولو لم تكن مسز ستورت هناك لكان ضمها الى صدره ولكنه التفت الى ليوني مضطرباً وقد استفاق من سهوته وقال لها · انني ساسوي هذه القضية مع والدي حينما يأتي

فتأوهت ليوني قائلة · لا يا كوردن لا اريد ان تفاتح والدك بمثل هذا لانه قليل الرحمة والشفقة

وكان قد حان وقت النوم فقام كوردن للانصراف وودع ليوني قائلا · لا تنسيني في هذه الليلة · وكان يفتكر كيف انه عند حضور والده سيدهش ليوني بتصريحه لها بانه سيتخذها زوجة له وكيف انه بدلا من ان تكون خادمة له سيصبح هو خادماً بل عبدا لها

وفي تلك البرهة ذهبت مسز ستورت من الغرفة الى المطبخ ولم تدرِ هل هي في حلم ام في يقظة عندما سمعت طرقات متوالية على الشباك وذلك غير اعتيادي وخصوصاً في مثل ذلك الوقت الا انها تقدمت وفتحت الشباك ووقفت مندهلة حينما رأت ان ابن اختها تشارلي هارت هو الطارق · فانتهرته قائلة · ماذا تريد · اذهب لئلا يدري بك كوردن فيطردني ويطردك معا

سكني روعك يا خالتي · اجاب تشارلي · ومتى دخلت اخبرك قصتي · وبعد ان دخل تشارلي وجلس على كرسي هناك قالت له مسز ستورت · ما الذي اتى بك الى هنا في مثل هذا الوقت وما هي حاجتك

— لا اريد شيئاً انما اسألك ان تخبريني ما الذي دعا كوردن لتمضية ايام الاعياد هنا في البيت ولماذا لم يذهب مع والديه الى فيلادلفيا

فقاطعته مسز ستورت قائلة · ومن اين عرفت ذلك

فاجابها تشارلي متبسما · اذن عليّ ان اروي لك حقيقة الحال يا خالتي · انني قد نظرت المستر جون كارليل وامرأته ودورا يقطعون جوازا لهم الى فيلادلفيا في محطة قطار بنسلفانيا وفي ذلك النهار ايضاً نظرت كوردن ذاهباً الى غير جهة ثم تحيرت جدا اذ رأيته راجعاً في النهار نفسه

فاجابته مسز ستورت . ليس ذلك من شأنك سواء رجع ام لم يرجع . فهو حرّ بان يأتي و يذهب الى حيث يشاء

نعم . نعم . اجاب تشارلي وهو يغمز بطرف عينه . ولكن لا بد من ان يكون عندك هنا سرّ يجذبه ويمنعه عن مفارقة البيت . أليس ذلك بصحيح وربما كان جاذب كاعبة ذات عينين ناعستين وشعر ذهبي

انك بالحقيقة لعفريت . قالت مسز ستورت . فمن اين علمت كل هذا .

فاجاب تشارلي انني كنت مارا من هنا حينما سقطت عن الدرج وكنت اول شاهد لسقطتها وانا ايضاً اعرف الطبيب الذي اتى لمعالجتها وقد قال لي انها لا تقدر على مغادرة البيت الا بعد بضعة اسابيع . فقاطعته مسز ستورت قائلة . اظن انها لا تترك هذا البيت مطلقاً لان كوردن يحبها حباً شديداً

وماذا تفتكر دورا لانكستر . قال تشارلي .

انها لا تزال غافلة عن كل شيء . اجابت مسز ستورت . واظن انها اذا انتبهت تعمل على اهلاك الاثنين معاً اذا لم تقدر على فصلهما لانها تحب كوردن حباً شديدا

ليس ذلك ببعيد . قال تشارلي . وحبها لكوردن المتمكن من عهد طويل يدفعها الى اكثر من القتل اذا قدرت

اي نعم . اجابت مسز ستورت . وعندي ان الفتاة التي تزاحمها في

حبها تكون كالباحث عن حتفه بظلفه ·

قالت مسز ستورت هذه العبارة وما درت انها بما قالت قد نبهت الشاب الجالس امامها الى حيلة عظيمة واذ ذاك انتصب تشارلي واقفاً وقال · انني قد ذهلت عن اتمام رسالتي · هاك يا خالتي هذا الكتاب المطلوب تسليمه الى الانسة دورا لانكستر واحذري من ان يعلم احد بهذا الامر وليكن تسليمه يدا بيد

ان هذا الخط هو خطك · قالت مسز ستورت · فما الداعي الى ان تراسل هذه الفتاة صاحبة الثروة والابهة الا تعلم انها حين تنظر خطك تطرح كتابك في النار ولا تلتفت اليه ·

— هذا غير المنتظر يا خالتي فانها ستقرأه وتجاوب عليه وانا سارجع مساء غد لآخذ الجواب منك · ثم انصرف تشارلي وبقيت مسز ستورت تفتكر فيما عساه ان يكون من امر تلك الورقة لدورا لانكستر ·

— الفصل العاشر —

بزغت شمس اليوم الثاني ترسل اشعتها المتلألئة على غرفة ليوني فتكسب وجهها الوضاح نورا على نور وكنت ترى كوردن جالساً بجانبها يسرح يده على شعرها الذهبي · فالتفتت اليه ليوني

وما تلاقى الناظران حتى تسابقت العبرات من عينيها والقت رأسها بين يديها باكية . فقال كوردن . لماذا انت تبكين. اخبريني . وقد اخذ يدها وضمها بين يديه . اخبريني ما هذا البكاء .

فاجابته ليوني بتنهد وصوت متقطع . آه — لا ادري — لا ادري — انني كنت اتمنى شيئاً .

— قولي لي ولا تتلهفي هكذا فما الذي كنت تتمنينه .

— انني احسب نفسي سعيدة هنا وافتكاري بانني ساذهب يوءلمني .

فاذاً انت سعيدة هنا يا ليوني . اجاب كوردن . واضعاً ذراعيه حول خصرها النحيل

اي نعم . اجابت ليوني . انا سعيدة —سعيدة للغاية وانني ليعروني ارتعاد كلما افتكرت بالبراح

— اذاً . قال كوردن متنهداً . لا يقتضي ان تغادري هذا البيت اذا كنت سعيدة فيه والان اعترف لك بمحبتي . فانا اهواك يا ليوني . وفي الحال انطرح جاثياً على ركبتيه وهو يقول . انا اهواك . فانت حبيبتي . انت مالكتي . . .

كانت على ريب بصادق حبه   لم تدرِ ما يطوي فوءاد الواله
لكنها لما جثا متذللا   عرفت حقيقة حاله من حاله

انك تخوفني بكلامك . قالت ليوني بصوت خافت . آه

يا كوردن انني لم اكن احلم او اصدق انك مع ما انت عليه من الجاه ورفعة القدر تحبني وانا في غضيض فقري ووضيع قدري ·

فقاطعها كوردن قائلا · انك انت عندي اعظم من ملكة جالسة على عرشها · انك عندي الدنيا باسرها · جربي ان تحبيني · انظري اليّ نظرة واحدة بعينيك الذابلتين ومنهما اقرأ جوابك لي · فالتفتت اليه التفاتة الظبي الغرير وكان من ناظريها استجلاء ما في قلبها من عواطف الهيام

واذا اختفى ما في القلوب من الهوى

خذ من لواحظ من تحب دلائلا

فتبسم كوردن قائلا : اتعلمين بما اعترفت لي عيناك يا ليوني انهما خاطبتاني سرا بانك تحبينني فماذا تقولين

فاجابت ليوني بصوت متقطع · انا — انا — لم — افتكر — بشيء من هذا قط ولا اعلم ان عينيّ نظرتا اليك بهذا المعنى وقد كان كلل وجهها الحياء عندما علمت ان عيناها افشتا لكوردن السر المكتوم في فوءادها

ولكن الان افتكري بانك تحبينني · اجاب كوردن · واجعليني سعيدا بقولك لي يا حبيبي · انظري اليّ · انا واقف امامك منتظر جوابك · انا محبك · الا تعلمين ان الدنيا هي عندي كلا شيء دونك · الا تدرين انني اضحي نفسي لاجلك فافتكري

وقولي كوردن هو حبيبي · الا تريدين التصريح بانك تحبينني ·

وفي تلك الاونة كانت مسز ستورت اقتربت من الباب دون ان ينتبه العاشقان الى وقع قدميها لانهما كانا ساهيين ذاهلين كما تكون حالة العشاق في الخلوة

فتراجعت الى الوراء مخففة الوطء ما امكن لئلا تزعجهما وعادت وهي تقول في نفسها · لتكن مشيئةالله مباركة هكذا قضى ان يجمع شمل الغني والفقيرة

اما كوردن فتابع بث الهيام قائلا · والان يا ليوني · قولي لي انك تحبينني واشفعي جوابك هذا بقبلة واحدة علامة للرضى وختما على شفتيك يشهد بانك حبيبتي لانني اريد ان اجعلك — ولم يقدر على اتمام العبارة اذ سمع من الخارج صوت قهقهة ووقع اقدام فالتفت نحو الباب مجفلا ولم يكد يضم ليوني الى صدره حتى دخل والده ووالدته ودوزا لانكستر ·

سمح الزمان بخلوة لمتيم فاراد ان يجني ثمار الخلوة
لكن عيون العاذلين تداخلت فمضى ولم يظفر بغير الحرقة

وحالما دخل المستر كارليل التفت الى ولده قائلا · انني حزين جدا لشهودي موقف غرام كهذا وقد كنت اظن انك في البنيفلماذا انت هنا · والظاهر انك وجدت الجو خالياً فرجعت

لتضيع وقتك سدى انت وهذه الصبية· واشار الى ليوني

لا اكتم يا والدي·اجاب كوردن· انني ما رجعت الا لاجلها فقط ولكنني لا اسلم بقولك انني استغنمت فرصة غيابكم ورجعت اذ في وجودكم وغيابكم لا تكون حالتي الا كما ترون

ما هم من ملك الغرام قياده عذل العواذل او ملامة لائم

حسن اجاب والده ولكن اتبعني الى مكتبي وهناك ننظر في المسألة ·

فهتفت ليوني قائلة · آه يا كوردن لا تذهب وتتركني فانا اموت اذا فعلت

وكانت ذراعاه القويتان لا تزالان حول خصرها فالتفت اليها قائلا · انني اعود عاجلا بعد قضاء حاجتي مع والدي فلا تضطربي يا حبيبة قلبي

وكانت مسز كارليل واقفة على الباب تبكي ودورا كادت تختنق غيظاً· فتقدم كوردن الى والدته قائلا · انني اذهب واترك ليوني في حراستك مدة انشغالي مع والدي فاشفقي عليها لاجلي لانني اريد ان اجعلها زوجتي — انتظريني هنا يا ليوني وانا راجع بعد قليل فلا تكوني الا ناعمة البال — ومع شدة انعطاف كوردن واشتياقه الى تقبيل ليوني خجل من والدته فذهب وقلبه يتفطر التياعاً وعندما دخل المكتب وجد والده بانتظاره فقال · والدي · ها انا جئت فماذا تريد مني

فصوب اليه والده نظرة الغضب وقال بجدة · من اي متى حصل هذا الامر ومن اي متى علقت بحب هذه الفتاة الفقيرة العاملة ·

ليس بوسعي الجواب على سوءالك · اجاب كوردن وخداه يتوردان من الحياء · وارجوك اذا كنت تحبني ان لاتذكر اسم ليوني الا مع الاكرام والاحترام لانني احبها واريد ان اجعلها رفيقة حياتي — او بالحري زوجتي

الصاعقة عندانقضاضها كانت اخف وقعاً على المستر كارليل من هذه العبارة الاخيرة · فالتفت الى ولده متكلفاً ستر غضبه وقال · تريد ان تتخذها زوجة لك ؟ · هل حقيقة ما اسمع ! · تريد ان تتخذ تلك الفقيرة العاملة زوجة لك · تلك التي تورثني عارا لا يمحى مدى الحياة · تلك الفتاة التي لا اقدر ان اتصورها — ولدي · احب اليّ الف مرة ان اراك ميتا عند قدميّ من ان تتزوج هذه الشحاذة — انا اعلم لماذا — انا اعلم لماذا — وانت مخير الان بين امرين · فاما ان تفضل رضاي وتترك هذه البنت واما ان تتبع هواك مستوجبا سخطي

— لا تكن الى هذا الحد قاسياً يا والدي واذكر انك كنت شاباً مثلي تحب وتعشق

اقصر · اقصر · قال الوالد بغضب متزايد · انني لا اريد ان اسمع مثل هذا الكلام لان حبك هذا ليس الا وهما وطيشاً

ولم يكن الا عن افتتان بهذه الصبية التي اتت الى هنا وغرضها الوحيد ان تنصب لك شركاً وقد فازت بما رامت اذ اوقعتك في حوزتها اسيرا

انك والحق على غير الحق يا والدي . اجاب الشاب المظلوم . فان ليوني هي ارفع من كل ما تنسبه اليها وهي عندي كملاك نزل من السماء . . واعلم انك حينما تهين اسمها تكون قد اهنتني انا ولدك

فاذا يجب ان تختار اما رضاي واما لعنتي صرخ المستر كارليل والغضب يقعده ويقيمه والعرق يتصبب من جبينه - اختر . اما والدك وثروته واما تلك الفتاة الفقيرة واعلم انك تحرم نصيبك اذا خالفتني فلا اعطيك ولا ريالا واحدا والاجدر بي ان اطرح مالي في النار اذا رأيتك مع تلك الفتاة وساحاول السلو عنك واذا وجدتك في ضيقة لا اساعدك

والدي ! صرخ كوردن الحزين والدموع تتساقط على خديه الورديين . اطلب مني مهما اردت ما عدا هذا الامر فقط لانني لا اطيق مفارقة ليوني ولو كان لاجلك . فثروتك وغناك كلا شيء عندي مقابلة لحب ليوني فانا لست قادرا على هجرانها ولا يمكن ان اعيش بعيدا عنها فلا اتركها ولو كان مهما كان .

الفصل الحادي عشر —

هل انت فاكر بما تقول يا كوردن · انت ولدي وتتجاسر على الاستخفاف بي بقولك انك لا تترك هـذه الصبية · ان هذا لمنتهى العجب !

انني لست مستخفاً بك يا والدي · اجاب كوردن · بل هي الحقيقة اقولها لان محبتي لليوني هي محبة رجل لا يقدر ان يحب مرة ثانية وسعادتي اذا اتخذتها زوجة لي و بغير ذلك اعيش تعيساً

كفى · كفى · قاطعه والده بغضب شديد · انني لا اريد ان اسمع منك هذا الكلام الذي كله تصريح بحبك لتلك الصبية ولا بد من تنبيه فكرك الى امر وستذكر كلامي وهو انك بعد ستة شهور من زواجك يأخذك الندم وتلوم نفسك قائلاً · انني كنت جاهلاً غافلاً عندما عشقت صبية شحاذة مثل هذه · فتبصر يا كوردن · انا والدك · لا تدع هذه الصبية الفقيرة تفصل بيننا فاذا كنت لا تتركها فانا لا اريد ان انظرك فيما بعد · وامر يقتضي العجب يا كوردن فمن اي متى حصل لك هذا الانقلاب لانني لا اذكر انني قلت لك يوماً عن شيء ولم تفعله طبق ارادتي فما بالك الان · انا والدك آمرك بان تترك هذه الصبية

فماذا تقول ٠

فاجاب كوردن ٠ قلت لك يا والدي اولا واكرر القول انني لا اقوى على جفاء ليوني والله يعلم ان حياتي دونها تكون في منتهى التعاسة ٠ انه ليس امرا عارضا يا والدي كما تظن بل هي محبة من اعماق القلب ٠ محبة يا والدي وما ادراك ما هي ٠ آه ٠ مرني بما تريد فتجدني اطوع من بنانك ولكن اترك لي حبيبتي ليوني — وكان كوردن واقفا يدافع عن حبه وكنت ترى وجهه اصفر كمن تعاورته العلل واصبح قريبا من الاجل٠ وكان والده في ذلك الموقف يسمع حديثه وغضبه يزداد ثم اخذ يفتش عن كتاب بين الكتب التي كانت امامه وعندما وجده فتح صفحة مقصودة واشار الى كوردن قائلا ٠ خذ واقرأ هذه الفقرة فانها تهديك واعلم انني نبهتك تكرارا فتناول كوردن الكتاب وقرأ تلك الجملة التي اشار اليها والده وهي ,, لابارك الله والدا وافق ولده على مشتهى قلبه ‘‘ ثم انه ارجع الكتاب وقال ٠

انني واقف هنا ومستعد للمدافعة عن حبي فلا تحاول ان تغير فكري لانك تتكلم وكلامك لا يجدي بهذا الامر نفعا واذا اردت محادثتي في ما يخرج عن هذا الموضوع فانا سامع واعٍ ومن مبدأي ان يتصرف الرجل بحبه وقلبه كما يريد هو ولا ارى لك حقا يا والدي بان تعارضني في هذا الامر

لي الحق بان اعارضك لانك ولدي • اجاب المستركارليل • أتظن ان تلك الفتاة ليوني لاك تتبسم في وجهك لولا طمعها بثروتك الطائلة

— ان محبة ليوني ياوالدي هي لشخصي وليست لمالي • ان محبتها لي هي نقية من كل ريب • تلك المحبة من قلب فتاة مثل ليوني لا يوازيها كل ذهب العالم • انت قادر يا والدي ان تحرمني من ان ارث شيئاً من مالك ولكن انا وليوني سنكون سعيدين لانني انا قوي فاشتغل بمعيشة الاثنين والتعب والنصب عذبان بجانب حبي لليوني وفي تلك البرهة انتبه كوردن الى حفيف جلابيب من الحرير فنظر الى الباب فرآه قد فتح قليلاً بعد ان كان مغلقاً

وكان والده قد استشاط غضباً لدى سماعه الكلام الاخير فصرخ قائلا • اذن اذهب اليها واشتغل لاجلها لانك تحب الذل والشقاء اذهب اليها ولا ترني وجهك فيما بعد • اغرب عني الى الابد • اذهب من امامي •

فجاشت في نفس كوردن فواعل مزعجة وما لبث ان قال • انني حزين جدا يا والدي لانك تخاطبني بهذه الطريقة وما كنت لاحسب انك تهينني الى هذا الحد وانت تعلم انني فتى لا احتمل الاهانة ولكن ما العمل فانت والدي واعلم انك من الان وصاعدا لن تنظرني وساذهب من هذا البيت بعد ساعة

مستصحباً ليوني الى تلك الكنيسة التي تجاهنا وهناك يعقد اكليلنا ولكن يعز علي جداً افتراقنا على هذه الصورة قل لي كلمة واحدة لطيفة وانا ذاهب ورفع قبعته بيده وقد برقع وجهه الاصفرار ونظر الى والده وعيناه تذرفان الدموع السخينة واردف قائلاً . تقدم يا والدي وضع يدك في يدي لان تجافينا على هذه الحالة مفجع جدا ولساني قاصر عن اظهار ما يخالج ضميري من الاسف من جراء هذا التفرق وتقدم نحو والده باسطاً يده لكي يصافحه ولكن والده ازدجره قائلا بغضب زائد . اذهب الان . انت فضلت ليوني على والدك ووالدتك وثروتك وغناك وستبتلى بنقمة تخبر عنها اولادك . فاذهب الان عني

— اذا الوداع يا والدي . قال كوردن متنهدا . وارجوك من الان وصاعدا ان تنزعني من فكرك وان تنساني مدى الدهر . ثم فتح الباب وهو يتردد معللا نفسه بان والده سيرق قلبه و يرضي بمصافحته ولكن المستر كارليل حول وجهه نحو الكتب المبعثرة على الطاولة واخذ يرتبها بوجه عابس

فكرر كوردن متضرعاً والدموع تسفح على خديه : قل لي كلمة واحدة تجبر خاطري . المس يدي ولو لمساً قبل هذا الفراق المؤلم واذكر انك طارد من امامك ولدك الوحيد الى امد بعيد .

اذهب . صرخ والده بحنق . اذهب الى ليوني لانك

الشحاذة لانك اخترتها دوني · فلم يتفوه كوردن بكلمة بل انسحب من امام والده متمهلا وتوجه نحو الغرفة التي ترك ليوني فيها وهو يقول في نفسه · انا شاب وقوي وما زال حب ليوني حارسي وما زال هواها بقلبي لا يهمني شيء وهل يشتهي ملك جالس على عرشه اكثر من ذلك · وبينما هو ماش انفتح بجانبه باب وظهرت دورا لانكستر بوجه ينضح منه العرق فيجعله كزهر الحقل غاداه الطل ودموع غزيرة تتدحرج كاللآلئ على ورد خديها النضير · فوقفت بالباب قائلة · أأنت هو يا كوردن وهرولت نحوه آخذة ذراعه بيدها · آه يا كوردن · انني سمعت جلبة وصياحاً في المكتبة وقد علمت بان والدك غاضب عليك · فماذا قال · اخبرني · دعني اكون لك صديقة ولربما استطعت مساعدتك بشيء

فاجابها كوردن · انه لم يفعل شيئاً يستحق الذكر ولكنه طردني من بيته

ـــ طردك لاجل الفتاة ليوني لانك

فاجاب كوردن · والدي طلب مني ان اختار اما الثروة واما المحبة وانا اخترت المحبة · كوني شفوقة يا دورا على ليوني واسعي في ان تجعلي والدي ووالدتي يحبانها · انك كنت كشقيقة لي طول حياتي فلا تخيبي املي الان

فاجابته دورا وهي تمسح دموعها · انني اعدك يا كوردن

بمساعدتي وكل ذلك لاجلك · قالت هذا وادلة الحقد والغيرة واضحة على وجهها ولكن لمن يرى

لله درك · هتف كوردن · فانت الصديقة الوحيدة لي ومن عظم فرحه وضع ذراعيه القويتين حول خصرها وضمها الى صدره يقبلها مرارا متوالية تقبيل اخ لاخته وجلس على المقعد بجانبها يمسح دموعها بمنديل من الحرير الابيض قائلا لها · أأنت حزينة بهذا المقدار يا دورا لانني راحل عنكم

فاجابته دورا · آه لو تعلم لوعتي على فراقك لكنت ترحمني ولكنني اسألك ان لا تذهب الان بل قف هنا قليلا ريثما اذهب الى والدك فلربما يشفق عليَّ وعليك

آه يا دورا · قال كوردن · حبذا لو صح ما تقولين ولكن بعد ان قال لي والدي ما قال لست اريد ان اسكن معه ·

لنترك الان كوردن ودورا في الغرفة ايها القراء الكرام ونرجع الى الكلام عن مسز كارليل التي تركناها واقفة على باب غرفة ليوني

— الفصل الثاني عشر —

حينما تبع كوردن والده الى المكتبة صار يجري همس وحديث بين دورا ومسز كارليل وبعد ان انتهى كلامهما ذهبت دورا تمس الارض مساً ووقفت بجانب المكتبة تسمع ما يقولان ومسز كارليل دخلت غرفة ليوني فوجدتها واقفة بجانب النار ومن اول نظرة تبين لها جلياً لماذا هام ولدها بحب هذه الفتاة وكانت تقول في نفسها ما نظرت عيناي مثلها في حياتي ولو انني كنت شاباً لكنت اعشقها حالا · ولكن ما العمل انها فقيرة شحاذة فكيف يكون كوردن ولدنا الوحيد بعلا لها ان هذا الامر لا يصير

اجلسي يا ليوني · قالت مسز كارليل · فانني اريد ان اذاكرك بامر سري · فاطاعت ليوني الاشارة وجلست دون ان تتفوه بكلمة فاردفت مسز كارليل قائلة · يا ليوني اريد منك ان تصغي لكلامي جيدا واريد ان تجاوبيني على كل سوءال اسألك اياه · اولا · اين تقابلت انت وولدنا اول مرة واي متى كان ذلك

وعندئذ اخذت ليوني تخبرها قصتها من الاول الى

الاخر وهي تذرف الدموع الحرّى واخبرتها كيف انها اتت تلك الليلة لتسأل كوردن ان يرجعها الى العمل وكيف انها سقطت عن الدرج وجرى لها ما جرى. فقالت لها مسز كارليل. اتعلمين ماذا يقول الناس عن مجيئك الى هنا ايتها الصبية المحبوبة — يقولون انك اتيت لامر وان وقعتك ما كانت الا حيلة استعملتها لتوقعي ولدنا كوردن بهواك والناس يعلمون جيدا ان اصحاب المعامل لا يستأجرون العملة في بيوتهم بل في محل العمل. والان هل تريدين انت ان يقال عنك هكذا ..

فاجابت ليوني وقد صبغ الحياء جبينها : لم يطرق فكري ان الناس يقولون عني ما ذكرت وانا لم اكن واعية عندما ادخلني الخدام الى هنا. اما مجيئي الى بيتكم وعدم الذهاب الى محل العمل كما هو الواجب فقد اضطرني اليه البرد والجوع

فاذًا . اجابت مسز كارليل . انت تقولين انك ما اتيت لكي تستميلي كوردن بوجهك الحسن ولكن اسألك ماذا كان ذلك المنظر الذي شاهدناه عند دخولنا

فانتصبت ليوني واقفة وظهرت على وجهها علائم الغضب ولشدة تأثرها جادت عيناها بدموع كالدر على صفحة وجه كالبدر والتفتت الى مسز كارليل وقالت . يا سيدتي انني لست انا المطالبة بما جرى لانني ما كنت احلم ان كوردن

يحبني حتى صرح لي هذه الليلة :

فضحكت مسز كارليل بملء ماضغيها وهذه الكلمة ,, كوردن يحبني '' اثارت حقدها وغضبها فصرخت صرخة اجفلت منها الفتاة وارتعبت وقالت : كوردن يحبك ! هل انت الى هذا الحد جاهلة لتغتري بمثل هذا الكلام

فاجابت ليوني . كوردن قال وانا اثق بكلامه لانه رجل ذو مروءة وشرف وحاشاه ان يستعمل الخديعة والكذب

فقاطعتها مسز كارليل قائلة . كفى . كفى . أيتها الفتاة ان كلام كوردن اذا صح انه قاله لا يخرج عن حد التصنع والبهتان لان كوردن ولدي وفلذة كبدي لا يحبك وانا اعلم هذا جيدا اذ ما هو السبب الذي يحمله على محبتك . هو رجل ذو ثروة طائلة وانت فقيرة عاملة ومع ذلك تزعمين انه يحبك . الا تخشين الملامة . الا تخافين عاقبة هذه الجهالة . وا أسفاه ان بعض الشبان يوهمون انهم وقعوا في شرك الهوى وهم لا يدرون وولدي هو من جملتهم . قد يكون قال لك انه يحبك ولكن ذلك بالقول فقط . والان اسألك سوءالا وهو . تقولين ان كوردن كاشفك المحبة فهل فاتحك بامر الزواج .

فاجابتها ليوني قائلة . انه لم يفاتحني بشيء عن الزواج لحد الان .

ذلك ما اعرفه٠ اجابت مسز كارليل وهي تبتسم ٠ وانت مع ذلك تقولين انه يحبك والان قد اعترفت لي انه لم يطلب منك الزواج ٠ الا تعلمين ايتها المحبوبة ان الشاب اذا احب فتاة يكون اول ما يسألها عن الزواج ٠ ألم تنظري كيف ان كوردن لم يأت لمقابلتك عندما كنا هنا بل استفرص فرصة غيابنا ورجع ليقضي الوقت معك فقط وهل من ريب في ان كل الناس يقولون الان انك اتيت الى هنا لتتعاهدي انت وكوردن٠ اما انا فهذا اعتقادي ايضاً

لم تكن مسز كارليل لتنسى تلك النظرة التي رشقتها بها ليوني من عينيها العسليتين وكانت تتأمل في ذلك الوجه الذي صارت تتقلب الوانه اشكالا كتقلب رقراق الغدير اذا صبغ بالقرمز ٠ فصرخت ليوني بتأثر شديد وقالت : انني اجل حبي عن ان يبذل لمن لا يستحقه وانت يا مسز كارليل لست عادلة بهذا الحكم ولكنني اغفرلك هذه الاساءة ٠ اغفر لك لانك والدة كوردن فقط

فاجابتها مسز كارليل : انني لم اتعمد الاساءة اليك بما قلته بل صرحت لك بالحقيقة واذا كنت ذات شرف وتريدين ان تكوني خفيفة الوطأة فاذهبي من هذا البيت حالا دون ان تنظري كوردن وعلى كل الاحوال دعيني اقول لك الحقيقة فان ولدي يحب دورا لانكستر وهما متواثقان على الزواج اما

انت فبالطبع لا يحبك لان الانسان لا يقدر ان يحب اثنين وحديثه معك لم يكن الا على سبيل المزاح والمداعبة وانا حرصا عليك لا اريد ان تكوني مغرورة تائهة عن سواء السبيل فارجوك ان تخلصي نفسك من العار بذهابك من هنـا وساعطيك مالا قدر ما تريدين :

فقالت ليوني . دعيني انظر كوردن مرة اخرى — مرة واحدة — مرة واحدة فقط وعندئذ اذهب ولا يعود ينظرني ابداً — آه انني ارى الموت اهون من هذا الامر — آه يا الهي الان قد عرفت الحب وما هو — فانا احبك يا كوردن وانت حبيبي الاول فماذا اصنع . ماذا اصنع . نعم انني كنت تعيسة في الماضي اما الان فانني اكثر شقاء واعظم تعاسة . يا الهي هل هذه مشيئتك ان لا نكاد نلتقي حتى نتفرق . والتفتت نحو مسز كارليل قائلة . آه دعيني انظـر كوردن ولو مرة اخرى فقط .

فاجابتها مسز كارليل بتهكم : انني اتعجب منك . لماذا تريدين ان تنظري كوردن . فكلامك هذا يؤكد ان ما يقوله الناس هو عين الحق . هل انت بلا شرف ولا رزانة ام ماذا انت .

— آه دعيني انظر كوردن مرة اخرى دعيني انظره دقيقة واحدة فان حياتي في التعاسة والشقاء والظلمة فدعيني انظره واعدك

بانها تكون المرة الاخيرة

ان هذا الامر لمن الغرائب . قالت مسز كارليل . كيف انك انت التي تدعين الطهارة والصيانة تطلبين مقابلة شاب هو خطيب لغيرك . ان الفتاة الطاهرة الذيل لا تلتمس هذا الامر .

فاذا دعيني انظر خطيبته قالت ليوني

عندئذ وقفت مسز كارليل وفتحت باب الغرفة متجهة هي وليوني نحو منفرج الدار وهناك نظرتا دورا وكوردن جالس بجانبها واضع ذراعيه حول خصرها يقبلها مرارًا وتكرارًا وحينما شاهدت ليوني ذلك المنظر امسكت مسز كارليل بذراعها قائلة : دعيهما مسرورين ولا تزعجي خلوتهما فانني الان رأيت كل شيء ان هذه التي ترفل بالحرير والديباج هي التي يحبها اما انا فانه كان يقضي وقته معي . انا فتاة فقيرة . تلك هي خطيبته المرتدية ثوبًا حريريًا تتموج اذياله تموّج البحر . انني سلمت اليه قلبي والان اراه ممزقًا متقطعًا عند قدميه فانا الان يا مسز كارليل ذاهبة عنك وتأكدي ان كوردن لن يراني طول حياته اما مالك فابقيه معك اذ لست بحاجة الى دراهمك وباقل من لمح البصر كانت ليوني وضعت قبعتها على رأسها وخرجت تحت ذلك الرقيع البارد وكنت ترى وجه مسز كارليل باسما متهللا لافتكارها في ان ولدها سيبغت حينما

يرى ليوني قد ذهبت و بعد هنيهة كان كوردن نازلا باستعجال على سلم الدار آتيًا الى الغرفة التي كانت فيها والدته وليوني

— الفصل الثالث عشر —

دخل كوردن الغرفة بكل هدوء ظانا ان ليونى نائمة وهو لا يريد ان ينبهها من نومها وكان يتبسم مستبشرًا غير مفتكر بشيء ابدا الا بليوني وحدها ولكن حينما وقع نظره على والدته الجالسة على كرسي هزاز من القطيفة السوداء والتفت نحو سرير ليوني وقف مذعورا في وسط القاعة كانه اصم ابكم لا يدري ماذا يقول لعدم روءيته ليوني هناك فبادرته والدته بالكلام قائلة ٠

تعال يا ولدي واخبرني ماذا قال لك والدك في المكتبة ٠

فاجابها كوردن كمن فقد الرشد قائلا : احضري ليونى وساخبركما متى اجتمعتما ثم ارتمى على مقعد قبالتها كأنه منهوك القوى والقى رأسه على مسند من القطيفة القرمزية مردّدا قوله ٠ احضري ليوني لاخبركما بما جرى لي فان والدي قد طردني من البيت واما انت يا والدتي فستكونين روءوفة بي لانك

تعلمين ما هو الحب وغاية ما ارجو ان لا تكون ليوني رجعت الى النوم ثانية لانني اريد ان انظرها في هذه الليلة ولا بد من ذلك لان الضرورة ملزمة جدا

وكانت مسز كارليل جالسة على ذلك الكرسي تقلب خاتماً من الالماس في اصبعها وكانت مظاهر وجهها تدل على انها غائصة في لجج الهواجس مفتكرة كيف يمكنها ان تخبر كوردن عن ذهاب ليوني · وحينما اتم حديثه التفتت اليه قائلة · يا ولدي كوردن · تعال الي غدا باكرًا واخبرني عن كل شيء لان الوقت قصير الان وكلا منا محتاج الى اراحة جسمه من عناء النهار

فاجاب كوردن قائلا · لا بد من ان انظر ليوني هذه الليلة واخبركِ ولا بد ايضاً من مغادرة البيت هذه الليلة لان والدي طردني فساذهب في هذا المساء وتكون ليوني رفيقتي لانني اريد ان اتخذها زوجة لي · انت يا والدتي تعلمين ما هو الحب اما والدي فلا يعلم ولذلك انت لا تلومينني اذا فعلت ما فعلت ·

كوردن ! قالت مسز كارليل وقد نهضت ومرّت من جهة الى الثانية وجلست بجانبه تسرح شعره الذهبي باناملها المزدانة بالجواهر والحجارة الكريمة · كوردن ! اريد ان اقول لك شيئاً واحدا و يجب ان تقبله كرجل ذي شهامة ونبل

ولا اشارة واحدة · قال كوردن وكان قد فطن الى مقصد والدته وانحنى على يدها يقبلها مرارًا ثم قال · لماذا تجعلين كلامك لغزا ورمزا يا والدتي فهل لك ما تقولينه بخصوص ليوني ·

— اي نعم · اجابت والدته · فان ليوني قد ذهبت

— ذهبت ! ماذا تقولين ! صرخ كوردن باستغراب

— نعم ذهبت من هذا البيت اجابت والدته برقة

فاستوى كوردن على قدميه واضعاً يده على رأسه كمن قد انقضت عليه صاعقة او اصابته مصيبة فادحة لا يقدر على احتمالها ولم يكن ليصدق اذنيه وفي اقل من لمحة تغيرت صورته وتضعضعت هيئته فصرخ متناولا قبعته ومستعجلاً نحو الباب قائلا · انني لا يطيب لي نوم ولا يهدأ لي بال الا متى وجدت ليوني · انا تركتها واياك وانت نكثت بعهدك وعهد الله · يا الهي ما هذه المصيبة · تأملي يا والدتي كيف انك تركت تلك الفتاة الطاهرة تذهب وحدها في هذا البرد القارس فان هذا العمل يجعلني كمجنون

اسمع يا كوردن · صرخت والدته مستعملة قوتها لتجذبه الى الغرفة ثانية قائلة · انت يجب ان تعلم لماذا ذهبت تلك الفتاة فجأة — يجب ان تعلم انها ذهبت لان الذهب اعزّ لديها منك ومن حبك

اني لا اصدق قال كوردن بحدة · اذا نزل هذا الكلام باعجوبة من السماء فانني لا اصدقه ولكن انت والدتي ولااريد ان اوضح لك كل شيء

ان الحقيقة هي هكذا · اجابت مسز كارليل · انني احببت ان اختبر حبها لك لاعلم مقداره واعرف ما اذا كانت تحبك انت ام تحب مالك فوعدتها بانني اعطيها مالا اذا تركت البيت وذهبت وقد فضلت المال عليك · اتريد ان اخبرك كيف اوقعتها ·

اما كوردن فكان واقفاً مبهوتاً لا يتكلم فتابعت والدته كلامها قائلة · يا ولدي كوردن انا استعملت الحيلة لاكشف مقدار حبها لك لانني قلت في نفسي يجب ان امتحنها فاذا كانت تحب كوردن فانا احبها ايضاً واما اذا كانت تحب الذهب فيقتضي ان يعرف كوردن ذلك قبل ان يتزوجها واعترف لك يا ولدي انني امتحنتها فتبين لي انها تحب الذهب اكثر منك · اتريد ان تعلم كيف تبين لي ذلك · اتريد ان اقول لك · وكانت تتكلم والدمع يتدفق من عينيها مدرارا · دمع والدة تنظر الى ولدها الواقف امامها وقلبه يتمزق

فاجابها كوردن بنزق قائلاً : والدتي · اخبريني · اخبريني · اخبريني الحقيقة وليس غيرها لانني حينئذٍ اعلم كيف اتوجه في طلب ليوني وانا على يقين ان كلامك ليس الا حيلة عليَّ

لان ايوني تحبني حباً لا مزيد عليه ولا تتركني فارجوك ان تخبريني القصة بما يمكن من الاختصار

فقالت والدته . اسمع يا كوردن انني لجأت الى المكيدة لاستكشاف مقاصدها فقلت لها ان والدك اذا تزوجتها يقطع عنك ميراثك ويحرمك من كل شيء وقد صورت لها الفقر وحالته وحينئذ تلك الفتاة الفقيرة التي استخدمت خداعها وحسنها لكي تمتلك قلبك — تلك الفتاة العا . . .

فلم يدعها كوردن تكمل الكلمة بل صرخ بصوت مرتفع وغضب شديد قائلاً . كفى . كفى . قفي عند هذا الحد . تكلمي عني مهما شئت واما عن ليوني فلا تقولي شيئاً على الاطلاق لانه فوق ما يحتمل طبعي ان اسمع كلمة تمس شواعرها فهي احب الى قلبي واعز لديّ مما يخال لك

فاجابته والدته بهدوء : دعني ولدي اتم حديثي وبعد ذلك كن انت القاضي عليّ وعليها . انني لما قلت لها ان والدك يحرمك من الميراث عرضت عليها الف دولار نقد لتأخذها وتذهب وحينما سمعت ذلك ابرقت اسرتها وقالت مستبشرة : اظن ان هذه الطريقة هي احسن لي لانني لا احب ابنك بهذا المقدار حتى اتزوجه فسآخذ المال واذهب . وبعجلة كلية وضعت قبعتها على رأسها ورداءها على كتفيها قائلة . اسألك ان تغفري لي وارجوك ان تسألي كوردن

مسامحتي ايضاً وهكذا تلك الفتاة التي وهبتها قلبك تلك الفتاة التي انت تحبها وتهواها تركتك وذهبت طمعاً بالمال وانا كنت اقوي نفسي لاتمكن من اطلاعك على هذا الامر . فتأمل الان يا كوردن . هي قد تركتك وانا والدتك امامك فاية الاثنتين تختار

وما اتمت مسز كارليل حديثها حتى ارتمى كوردن على كرسي كان بجانبه وغطى وجهه براحتيه وطفق يبكي بقلب جريح

لا شيء ضائر عاشق فاذا نأى
عنه الحبيب فكل شي ضائره

ولم يخطر بباله ان والدته تأخذه بمثل هذه الحيلة و بينما كان منطرحا يبكي كانت والدته واقفة تجاهه تقول في نفسها . ان الامر صعب عليه الان ولكنه لا يلبث ان ينسى ثم انها تقدمت اليه قائلة . يا ولدي كن شجاعا وقم لنذهب الى والدك لانني لا ادعك تخرج ابدا واذا اردت فانني اتركك الان هنا لتفتكر في الامر وتتروى وستعلم من منا هو صاحب الحق او اذهب الى غرفتك وارقد . مساء الخير يا والدي

فنهض كوردن واقفاً وعانقها مقبلا شفتيها اللتين كانتا قد خدعتاه وهو لا يعلم وقال : استودعك الله يا والدتي : وقد لفظ هذه الكلمة بصوت ضعيف حتى ان والدته ظنت انه قال „ مساء الخير “ لان لفظ العبارتين قريب المشابهة في اللغة

الانكليزية ٠

وعندما خرجت والدته من القاعة حالا اخذ ورقة من دفتر في جيبه وكتب عليها الاسطر الاتية بقلم من رصاص ٠

والدتي — لاأستطيع البقاء في البيت بعد ان جرى بيني وبين والدي ما جرى وسافرغ مجهودي لالتقي بليوني لان حياتي دونها ليست حياة ٠ ولا شك ان قصدك كان حسناً باختبارك اياها ٠ ولكن كان الاحسن بل الف مرة احسن لو تركت هذا الامر لي فاستودعك الله يا والدتي

ولدك التعيس
كوردن

ثم وضع كوردن تلك الورقة على طاولة هناك وخرج من ذلك القصر الفخيم وهو لا يعلم كيف ان القدر سيتيح له الرجوع اليه وحين وصوله الى الرصيف البلاطي مرّ بجانب رجل طويل القامة مرتد جبة طويلة تغطيه الى قدميه وعلى رأسه قبعة سوداء كانت تغطي وجهه عن اعين الناس ولو ان كوردن انتبه وتفرس فيه لكان نظر امامه المستخدم القديم تشارلي هارت ولكن شاءت الظروف ان تعانده وهو لا يدري وهكذا تجاوزه وكأنه لم ينظره لان شخص ليوني وحده كان ممثلا امامه

اما تشارلي فانه تبسم تبسم الفوز وقال مستهزئا ٠ انه ذاهب ليفتش عن ليوني ولكنه هذه المرة لا يجد الا الخيبة

لانني اتخذت كل الوسائط لاخفائها عنه · ترى ماذا يقول وماذا يصنع كوردن الشاب الظريف اذا لم يعلم اين هي ليوني في هذه الساعة ! ثم وقف تحت ذلك القصر الفخيم القائم على عمد الرخام والنجوم فوقه تتهادى في القبة الزرقاء وافتكر قائلا · لا عجب اذا ليوني اختارت كوردن دوني فانا ليس في طاقتي ان اقدم لها قصرا مثل هذا ولكن على كل الاحوال ستكون لي وحدي ويجب ان تكتفي بما عندي ثم فتح باب السور الخارجي بكل ترفق ومشي الى ما وراء القصر حتى وصل الى غرفة خالته مسز ستورت فوجدها تقفل الشبابيك لان كل واحد من اهل الدار كان ذهب الى غرفة النوم فقال لها · اسعد الله مساءك ايتها الخالة هل عندك جواب من مس دورا على رسالتي ·

فاجابت مسز ستورت · ان دورا تريد ان تقابلك شخصياً ·

ـــ اذن اذهبي اليها واخبريها انني موجود هنا · فقاطعته خالته قائلة : بالحقيقة انك مجنون او ابله او انك تحسبني مجنونة · واستغرب كيف انك تطلب هذا الطلب ونحن في هذه الساعة من الليل

فاجابها تشارلي : لا · لا · ايتها الخالة · انا لا احسبك مجنونة ولست انا بمجنون بل اذهبي وقولي لها هكذا وانظري

كيف انها تأتي اليَّ ولا يهمها شيء من الوقت والليل

— الفصل الرابع عشر —

كانت دورا لانكستر جالسة بجانب النار متأهبة للذهاب الى النوم حينما ابلغتها مسز ستورت كلام تشارلي فقالت:

اذهبي وقولي له انني ذاهبة اليه بعد بضع دقائق

فرجعت مسز ستورت واخبرته عن جواب دورا ثم ذهبت توًّا الى غرفتها المقابلة للغرفة التي فيها تشارلي ولم ينتظر الا قليلا حتى ظهرت امامه دورا والجواهر تتلألأ على صدرها في ذلك النور الكهربائي والخواتم في اناملها تعكس اشعة الاضواء الباهرة • فابتدرته بالكلام قائلة : ارسلت اليَّ كتابا وفيه تخبرني انك واقف على شيء كثير من اسرار كوردن واذا دفعت اليك مبلغاً من المال فانك تبوح لي بها الامر الذي استغربته منك ولا اعلم ماذا تقصد بهذه الكتابة اذ لا علاقة لي باسرار كوردن

فاذاً • اجاب تشارلي ما زال الامر كذلك فانا اسألك الف مرة إن تسامحيني على تلك الكتابة وقد كنت اظن انك خطيبة كوردن فارجوك العفو تكرارا •

كان تشارلي يقول هذا وهو متوجه نحو الباب · فعلمت دورا انها تسرعت في تخطئتها له ورأت ان تطارحه الحديث فقالت متبسمة · انك انت جعلتني متشوقة الى معرفة تلك الاسرار وعليه يحسن ان تطلعني عليها

اذاً اسمعي · قال تشارلي وهو يتقدم نحوها · اسمعي ما اريد ان ابسطه لك · انك انت تحبين كوردن · تحبينه محبة غريبة حتى انك لو علمت انه بقتل نفسك يزداد حبه لك لفعلت ذلك برضى · انت تحبينه ولكن هو لا يحبك · ولماذا ؟ لان ذلك الحب الذي انت متفانية لاجله وقفه على غيرك وسلمه الى فتاة فقيرة عاملة هي ليوني لاك ولولا تلك الفتاة لكان كوردن بلا مرا يحبك وعلى ظني انك اذا علمت ان تلك الفتاة قد ماتت تكونين اسعد الناس

فقاطعته دورا قائلة · ان ما تقوله هو غريب عني ومع ذلك لا ادري ما هو قصدك ولا ماذا تريد مني

فواصل تشارلي كلامه قائلا · اصبري قليلا وستعلمين كل شيء · انك انت تحبين كوردن محبة زائدة وانا كذلك احب تلك الفتاة ليوني لاك · احبها محبة فوق الطبيعة احبها الحب كله والرجل الذي يفصل بيني و بينها افصل قلبه عن جسمه · انا رجل لا تهمني الحياة وساقسم اليمين المغلظة ان لا احد يفرق بيني و بينها الا بدمه او بدمي

عندئذ علمت دورا ان هذا الشاب الجالس امامها هو الرجل الوحيد الذي يقدر على مساعدتها في التفريق بين ليوني وكوردن • فقالت له • انك بالحقيقة قد اصبت المرمى فانني احب كوردن محبة زائدة • احبه حباً يضيق تجلدي عن كتمانه ومهما يكن حبك لتلك الفتاة عظيما فان حبي اعظم والان لا بد من ايقافك على الحقيقة فان كوردن خرج من البيت منذ ساعة وقد وجدت رقعة في غرفة والدته مكتوبة بخطه يقول فيها انه ترك البيت وما عاد يرجع وانه ذهب للبحث عن ليوني فاريد منك ان تتبعه ولا تدعه يلتقي بها • اذهب الان حالا لئلا تفوت الفرص وربما تكون صارت زوجته الان

كوني رخية البال اجاب تشارلي وهو يتبسم • فانني انا احتسب لعواقب الامور فلو قلب كوردن المدينة بطناً لظهر في تفتيشه لما وجد ليوني لانها موجودة عندي في سجن مرتفع محكم الاقفال •

انني لا افهم ماذا تعني • اجابت دورا • فزدني ايضاحاً ليزول الابهام

اذا لا بد من اطلاعك على كل شيء • اجاب تشارلي • وساخبرك على سبيل الاختصار لانك لبيبة واللبيب من الاشارة يفهم • انني كنت تبعت ليوني ليلة وقعت على الدرج وعلمت من الطبيب ايضا وهو احد اصدقائي انها لا تشفى الا بعد ثلاثة

او اربعة اسابيع وكنت كل تلك المدة اراقب هذا البيت احتراساً من ان تفر من بين يدي وفي هذه الليلة خرجت من القصر لا تدري الى اين تذهب وكنت انا اول رجل نظرته فاختطفتها حالا وبنجتها واخذتها الى غرفتي التي هي قريبة من هنا والان أتريدين ان اذهب الى كوردن واخبره اين ليوني بعد ان اتقاضى جزاء تعبي ام ترغبين انت ان تدفعي اليّ المال المطلوب لاكون نصيرا لك على عدوتك

فاجابته دورا . انت قلت من برهة انك تحب ليوني وتريد ان تبعدها عن كوردن فماذا غير افكارك الان

فاجاب تشارلي . ان افكاري لم تتغير بل لا تزال كما كانت ولكن تعلمين انني بدون مال لا استطيع اجراء شيء واذا اخبرت كوردن فليس ذلك الا ليعطيني المال ولا يصعب عليّ بعد ذلك اختطافها واخفاوءها

انك حسنا فعلت اجابت دورا . بمجيئك اليّ اولا وانا ادفع اليك المبلغ الذي تطلبه وفيما هي تتكلم مدت يدها الى جيبها واخرجت لفة كبيرة من الورق الاخضر وناولته اياها فاخذها قائلا : يساعد كل منا الاخر من الان وصاعدا ودنا منها وهمس في أذنها بعض كلمات ثم وضع قبعته على رأسه وانصرف وذهب كل منهما في سبيله الاول فرحاً بالمال الذي حصله عازما على ان يأخذ ليوني ويسافربها الى اوربا والثانية

مسرورة لتأكدها ان كوردن وليوني سيكونان بعيدين عن بعضهما وهكذا ذهبت تلك الفتاة الغنية الى سريرها وقلبها يطفح سرورًا شاكرة الحظ الذي قيض لها وجود هذا الرجل وكانت الساعة الثانية عشرة

— الفصل الخامس عشر —

كان تشارلي قد اظهر الحقيقة عندما قال لدورا ان ليوني مسجونة عنده لانها حين خرجت من القصر كان اول من صادفته هذا الرجل عدوها الالد الذي كان يترقبها فتعرض لها قائلا · اننا تلاقينا ثانية ايتها الحسناء والان سابذل جهدي لامنعك من الهرب

بقلب خافت وصوت متهدج صرخت ليوني قائلة · دعني امرّ يامستر فبأي جسارة تعترضني هكذا على قارعة الطريق · دعني امضي في سبيلي والا صرخت مستنجدة · ولكن بينما كانت تتكلم وثب تشارلي ومدّ يده ليمسكها فتنحت من امامه كالسهم المارق الى الجهة الاخرى وطفقت تعدو في الشارع وحينما رأى تشارلي نفورها جرى في اثرها ولم يكن احد موجودا في ذلك الشارع ليخلص ليوني من هذه الضيقة

فكانت تركض بكل قوتها خائفة من ان يدركها تشارلي ولا
سبيل للفرار من بين يديه و بينما هي في تلك الحالة عنّ لها
عن بعد رجل يتقدم نحوها فحاولت ان تناديه ولكن قبل ان
تفتح شفتيها كان تشارلي قد قبض عليها قائلاً . لا تحسبي
انه سهل بهذا المقدار افلاتك من يدي قال هذا ووضع يده
على فمها لكي لا تصرخ ثم احتملها بين ذراعيه ذاهباً بها الى
تلك الغرفة التي سجنت فيها مرة من قبل وعندما ادخلها الى
هذا السجن المظلم التفت اليها قائلا . الان عندي شغل مع
بعض الاصحاب وسارجع اليك بعد قليل وقبل ان اذهب
يجب ان اتخذ الوسائط اللازمة لمنع فرارك ثم انتشل من جيبه
اسفنجة ووضعها على انفها فاحست ليوني انه استعمل البنج
فصرخت بصوت مرعب قائلة . الهي الذي في السماوات
خلصني ! خلصني ! ولكن الكلمة الاخيرة لفظتها
وهي لا تدري ماذا تقول لان البنج كان قد سرى في جسمها
فوقعت على ارض تلك الغرفة وتشارلي وقاف عند رأسها
يتامل حسنها وجمالها حتى اهتاج في قلبه الهيام فانحنى يقبلها
ويبكي وفيما هو على تلك الحالة سمع طرقة خفيفة على
الباب فقام وفتحه وهو يتذمر و يجدف في قلبه وفي الحال امتقع
لونه واصبح واقفاً وكأنه ميت لان الطارق كان خطيبته
كيت هارتي وافتكر فيما يكون من الامر اذا هي نظرت ليوني

هناك الا انه غالب الارتباك وفاتحها بالكلام قائلا · اهلا وسهلا يا كيت · اين كنت الان · ارجوك المعذرة لانني ذاهب لى المستر كارليل الان ولا فرصة لي لاستقبالك ثم انه اقفل الباب ونزل ونزلت معه الى الشارع وانصرفت قائلة · انني سارجع بعد نصف ساعة وهو وعدها ايضاً بانه سيعود في الوقت المعين وهكذا ذهب الاثنان تاركين ليوني مرمية في تلك الغرفة لا تعي على شيء

ولكن ما مضت على ليوني خمسة عشر دقيقة حتى كان البنج قد زال تأثيره فاستفاقت وجمعت قواها واقفة على قدميها واخذت تجيل نظرها في تلك الغرفة التي زارتها مرة من قبل وهي لا تدري ماذا تصنع فتقدمت الى الشباك وعالجته فوجدته مقفلا من الخارج وكذلك الباب فاخذت تتضرع قائلة · آه يا الهي · انا خائفة ·خائفة· خائفة وخرّت جاثية على ركبتيها هاتفة يا ايها الملائكة · اسمعوا صلاة فتاة فقيرة لا ملجأ لها وساعدوني لاتخلص من هذا الرجل الذي يتبعني

لا شك ان الله رؤوف رحيم يستجيب صراخ المظلومين اذ لم تكد ليوني تكمل تضرعها حتى لمحت مفتاحا معلقاً بجانب الباب فاخذته وفتحت الباب فانفتح وخرجت وهي بين عاملين من السرور والقلق وكنت تراها ترتعش كقصبة تحركها الرياح الهوج لانها كانت خائفة من ان يرجع تشارلي قبل ان تخرج

من ذلك البيت وما وصلت الى البلاط الخارجي حتى صرخت يا للبشرى انني اشكرك يا الهي لانك سمعت دعائي وجرت نحو الشارع مستعجلة لا تدري الى اين تذهب وما بعدت عن البيت قليلا حتى رأت امامها فتاة مرتدية بثوب من الحرير الاحمر فتفرست فيها وللحال عرفت انها كيت هارتي التي كانت تشتغل هي واياها في معمل لنكولن وكارليل فتقدمت اليها قائلة . يا مس هارتي ارجوك ان تقفي قليلا فانني مسرورة جدا بمقابلتك هنا وانا لست غريبة عنك الا تذكرينني انا ليوني لاك . والتمس منك ان تأخذيني معك وتقبليني ضيفة عندك هذه الليلة فقط وفي الصباح اذهب

— نعم . نعم انني اذكرك جيدا يا ليوني قالت كيت بلهجة غضوبة انت التي انتزعت حبيبي مني وهذا هو السبب الوحيد الذي يجعلني ان لا انساك ولكنني اسامحك على ما فعلت فتعالي الان معي لنذهب

— الفصل السادس عشر —

لم تكن ليوني تفتكر بشيء قط الا بامر مبيتها تلك الليلة ولم تكن تحلم ان كيت مضمرة لها الشر فذهبت معها وهي لا تدري بما خبأ لها القدر وكانت مسرورة بانها ستقضي ليلتها مرتاحة البال وما لبثت كيت ان قالت · ماذا كنت تفعلين في غرفة تشارلي هذه الليلة

فاجابتها ليوني قائلة · انه جرني الى هناك عنوة وقد اقسم يميناً انه سيتخذني زوجة له وانا لا اريده ولهذا حبسني هذه الليلة في تلك الغرفة التي خرجت منها الان

وهل هو يحبك ؟ قالت كيت ونار الكره تتأجج في صدرها ·

انه يقول هكذا · اجابت ليوني · ومن شدة فرحها وسرورها بنجاتها لم تنتبه الى ما ظهر في عيني كيت من تاثير الغيرة والحسد ·

فركبت ليوني ورفيقتها الترامواي الكهربائي بعد ان اجتازتا الى جهة نيو يرك وعندما وصلتا الى اخر المدينة نزلتا واخذتا تمشيان شارعاً بعد شارع حتى خار عزم ليوني فالتفتت الى كيت

قائلة . انني ما كنت احسب ان مسكنك بعيد كل هذه المسافة عن المدينة. فاجابت كيت اننا صرنا على وشك الوصول فتعالي لنعرج على طريق القطار الحديدي لانها اقرب . وهكذا فعلتا

ولم تكن ليوني تفتكر بشيء من السوء والغدر فمشت مع كيت وبعد قليل وصلتا الى مكان ضيق مظلم بين تلتين عاليتين فوقفت كيت هناك وافتكرت ان هذا المكان هو المناسب لاخذ الثار ثم هجمت على ليوني وقبضت عليها من كتفيها صارخة . هذا وقتك يا ليوني فانك حينما انتزعت حبيبي مني وضعت بيني وبينك صليباً اسود وقد اقسمت يميناً بان انتقم منك بتقصير ايامك فاتلي صلاتك اذا كنت تعرفين شيئاً من الصلاة لان ساعتك الاخيرة قد اتت

انك تقصدين مداعبتي بما تقولين. اجابت ليوني. فلا تمسكيني هكذا بكتفي لانني كنت مريضة في هذه المدة ولا اقدر على احتمال هذه المداعبة

فقهقهت كيت قائلة . تظنين انني امزح معك فهل كنت تمزحين عندما سلبت قلب حبيبي وكنت تعلمين انه حبيبي وهو لي وحدي .

انني لم اسلبك حبيبك . اجابت ليوني وقد استحوذ عليها الخوف واصبح لونها كالزعفران وتهيأ لها ان ملاك الموت اتى

ليخطف روحها و يطير بها الى والدها في السماء ولكنها تابعت كلامها قائلة · دعيني يا كيت فانني اقسم بالله انني ابغض حبيبك بغضا ما عليه من مزيد

فقاطعتها كيت قائلة · انت تكذبين و بلا شك تكذبين لانك تحبينه محبة زائدة وان كان الامر بالعكس فهل لك ان تخبريني ماذا كنت تفعلين في غرفته هذه الليلة

انك مجنونة يا كيت · اجابت ليوني · لتوجيهك اليّ هذه التهمة ·

نعم صدقت · اجابت كيت وهي تتبسم · فانا مجنونة وانت التي جعلتني اكون كذلك ولكنني سانتقم منك بيدي الان وها انك موتا تموتين و بعد ذلك يكون تشارلي لي وحدي · حبيبي انا وحدي · فقولي صلاتك واسرعي لان الساعة قد دنت · وقبل ان تتمكن ليوني من لفظ كلمة كانت كيت انهضتها بين ذراعيها القويتين وطرحتها على خط القطار واخذت حبلا من جيبها كانت اعدته لتلك الغاية وشدت يديها ورجليها به واحكمت ربطه باساطين الحديد الملقاة هناك فاخذت ليوني تصرخ بصوت حاد طالبة الاغاثة ولكن صوتها ذهب مع الرياح العاصفة في تلك الليلة الظلماء وكانت كيت تقول لها · اصرخي ما استطعت فان القطار الحديدي سيصل الى هنا بعد دقائق قليلة وعندئذٍ تعلمين كيف يكون انتزاع الاحبة ثم ذهبت

تاركة ليوني تنتظر هول الموت على تلك الصورة وما غاب عن اذنيها وقع اقدام كيت حتى سمعت صوت جرس القطار عن بعد فكان لها كرنين جرس الدينونة وكادت تفقد رشدها من مجرد الافتكار بان القطار سيسحقها بعد قليل ومن الغريب انها في كل ايام حياتها كانت تشتهي الموت ولكنها في تلك الساعة استعذبت الحياة وكان شعرها الذهبي يتموج على الحديد كلما مر الهواء ووجهها اصفر كالزعفران وقلبها كان ينبض بشدة متأهباً للموت فاخذت تتلو صلاتها رافعة عينيها نحو السماء متأملة كيف ان باب الابدية مفتوح امامها وكانت تحاول التملص من قيدها ولكن بدون جدوى لان ذلك الحبل كان يفعل في جسمها كلما شدت فعل المدى وفيما هي على تلك الحالة سمعت وقع حوافر جواد يجري خبباً على مقربة منها ثم نظرت خيالا مرّ بجانبها فطفقت تصرخ باعلى صوتها لعل الراكب يسمعها ولكنه في تلك الدقيقة كان يجاذب جواده العنان مخاطبا اياه قائلا . يجب ان نجوز الخط قبل مرور القطار يا هيرو (اسم الجواد) وكأن هيرو نظر شيئاً سودمرمياً هناك فاجفل ووثب فوق ذلك الحديد بقوة غريبة حتى انه كاد يرمي براكبه الذي مر تاركا تلك الفتاة تكادتموت اشنع الميتات وكانت ليوني تتفجع وتنتحب قائلة . ان الله نسيني وتركني اموت هنا .

تأمل ايها القارىء كيف ان الظروف تعاكس حظ تلك

الفتاة التعيسة فان ذلك الفارس الذي مر بجانبها هو ذلك الشاب الذي ترك اهله وخلانه وثروته لاجها هو ذلك المحب الوافي الذي لو كان يعلم اين هي لفداها بروحه · هو كوردن كارليل نفسه

كانت ليوني تسمع جرس القطار متأهبة لهول الساعة بالصلاة وقد علمت انه اصبح قريباً منها لانها شعرت بان الحديد اخذ يهتز تحتها وبعد ثانية ظهر القطار في اول ذلك المضيق وله دمدمة وصفير

— الفصل السابع عشر —

كان القطار متأخرا عن موعده عشرين دقيقة وكان الوقاد يزيده فحما ليزيد اسراعاً والسائق يقول له انني واجس من هذه الليلة ولا يصفو بالي الا متى وصلنا الى نيو يرك لانني تطيرت من تلك الارنبة التي قطعت على الخط فهي نذير سوء ولا بد من طروء حادث مزعج ولهذا تراني خائفاً

فاجابه الوقاد قائلا · ها نحن قد وصلنا الى نيو يرك ولم نصب باذى فدع عنك هذه الاوهام وتلك التخيلات فانا لا احفل بمثل هذا التشاؤم · ولكنه ما اكمل هذه العبارة حتى صرخ

السائق برعبة . انظر . انهم وضعوا جذعا على الخط ليتهور القطار وبسرعة وخوف عظيمين وثب على الالة واوقفها ولولا قليل لكان القطار قفز عن خطه من هذه الوقفة الفجائية وبقي بعيدا عن ليوني مقدار قدم او اقدام قليلة فنزل الوقاد والسائق ونظرا الى تلك الفتاة التي كانت مطروحة هناك كملاك سماوي ثم خرج الناس افواجا ليروا ذلك المشهد الموءثر وكانوا يلغطون ويتناقلون الخبر بان قد وجدت فتاة ممدودة على خط القطار وهي جميلة جدا ولولا لطف الله وانتباه السائق لكانت سحقت سحقاً تحت دواليب القطار وكان كل واحد منهم يشكر الله على نجاتها وبعد ان نقلت الى المركبة ورجع الناس الى اماكنهم اطلق السائق الالة مسرورا بما تم على يده في هذه الليلة وجرى القطار نحو محطة نيويرك وكان الركاب مجتمعين حول ليوني يستغربون حادثتها ويعجبون بجمالها الفريد وكان رجل طاعن في السن واقفاً يقول . من هي ؟ أليس معها شيء ينبئنا عن اسمها فاجابته فتاة كانت واقفة بجانبه اننا وجدنا معها بطاقة مكتوباً عليها ,, ليوني لاك ''

وما لفظ هذا الاسم حتى دهش الرجل وارتعش وصاح قائلا . هل حقيق هذا الكلام ! ليوني لاك . انني ابحث عن صاحبة هذا الاسم من مدة طويلة وانا محام واسمي وليم بارت وقد مات من زمن احد عملائي مخلفاً لحفيدته التي اسمها

ليوني لاك ملايين من الدولارات واسأل الله ان تكون هي اياها ٠

فاجابه بعض الواقفين ان هذا يكون بشرى لنا ولها وتكون هذه الحادثة من الغرائب٠وكان الناس حولها يتأملون في ذلك الملاك الغائب عن صوابه وفي ذلك الشعر الذهبي المتدلي على جبينها وفي عينيها المسليتين وفيما هم كذلك اذا بليوني استفاقت مذعورة وصرخت قائلة ٠ خلصوني ٠ خلصوني اين انا ٠ آه انني اذكر كيف ان القطار كان مقبلا نحوي ومع —

فاجاب المستر بارت — ومع ذلك فانك نجوت بقوة الله وفطنة سائق القطار ٠ثم جلس بجانبها واخذ يخاطبها قائلا٠ اننا وجدنا في جيبك بطاقة مكتوباً عليها — ليوني لاك — فهل هذا هو اسمك ٠

نعم ٠ اجابت ليوني وهي تنظر الى تلك الجموع المحيطة بها ٠

— وهل كان اسم ابيك آلن لاك

نعم ٠ قالت ليوني وقد وجست خوفا من هذا الرجل الذي يطرح عليها هذه السوءالات وتحيرت في امره وامر سوءالاته ٠

اما المحامي فتابع سوءاله قائلا ٠ انك انت ابنة آلن

لاك وكلارا لاك كانت والدتك أليس هكذا · وجدك هو مورس لاك ·

نعم اجابت ليوني · فقال المحامي والى اين انت ذاهبة واين تسكنين ومن الذي القاك على السكة الحديدية بهذه الحالة ·

عندئذ احمر وجه ليوني خجلا وتلعثم لسانها لانها ما كانت تدري لأي سبب يلقي عليها هذا الرجل سوءالاته ولحظ المستر بارت منها ذلك فقال لها لا تخافي يا عزيزتي · انني احمل لك بشرى يكون سرورك بها عظيما وهي انه من مدة سنة مات جدك وترك وصية يقول فيها ان كل ما يملكه هو لحفيدته ليوني لاك وثروته تبلغ الملايين من الدولارات فاسمحي لي بان اكون اول مهنئ لك ·

— آه يا سيدي · هل انت متأكد ذلك · انني لا اقدر ان اصدق · انا تلك الفتاة التي حار بها الدهر وعذبتها الايام وابتلتها الحوادث · انا تلك الفتاة الفقيرة العاملة ليوني لاك لا استطيع التصديق انني صاحبة هذه الورثة الطائلة

انني على اتم التأكيد · اجاب المحامي بارت · لاننا نحن المحامين لا نروي الا الحقيقة في مثل هذه الامور فكوني مطمئنة البال لان ما اقوله لك هو الواقع · فانتصبت ليوني على قدميها قائلة لا اصدق · لا اصدق · وماذا عساني ان اصنع

بهذا المقدار من المال

فاجابها المستر بارت قائلا · حينما تنظرين الدنيا وجمالها حينئذ تعرفين كيف تتصرفين بالمال وانا لا استغرب دهشتك هذه لانه بالحقيقة امر غريب ولكن من الان وصاعدا ستكونين عندنا في البيت وتتغير معيشتك · فتبسمت ليوني قليلا وكان قد عاد الى وجهها الناضر لونه الباهر ومن شدة فرحها نسيت ان المستر بارت جالس بجانبها يخاطبها لان كوردن كان تمثل لها فناجته في نفسها قائلة · آه يا حبيبي كوردن · لعلني بثروتي هذه ومزيد حبي لك اقدر ان انتصر على اعدائي وآخذك لي — لي وحدي · لان الثروة هي كلا شيء عندي اذا كنت انت بعيدا عني · وانى لها ان تعلم الى اي المهالك سيقودها هذا الحب وبينما هي في هذه التأملات وصل القطار الى المحطة وذهبت ليوني مع المستر بارت الى منزله في لكسنتون افنيو

— الفصل الثامن عشر —

ان هذا التغيير العظيم الذي حصل لليوني لمن شأنه ان يجعل اي فتاة كانت زينة المحافل وبهجة المجتمعات ويحملها

على تناسي ايامها الماضية ولكن ليوني كانت دائماً تذكر حالتها السابقة وتذكر تلك الدقيقة التي فيها القت رأسها على كتف كوردن وتتصور انها كانت اسعد مما هي فيه الان من النعمة والرفاه وكانت تود لو عادت الى حالتها الاولى فتاة فقيرة عاملة لعلها تنظر كوردن مرة ثانية لانه كان حبيبها الاول وما اخطأ من قال ٠

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى

فالحب يرجع للحبيب الاول

وكانت تفتكر قائلة ٠ يا ترى ماذا يقول كوردن حينما يعلم كيف اصبحت وماذا تقول والدته تلك التي قالت مرة ان ولدها لا يمكن ان يتزوج فتاة فقيرة ماهنة ٠ وظهرت على وجه ليوني علائم الانفعال وتندّى وجهها بالعرق وازداد احمرار خديها حتى ان الناظر اليها في تلك الساعة لا يسعه الا ان يقول مع القائل

ابديعة الحسن التي في وجهها دون الوجوه عناية للمبدع

صورت من ماء الجمال خلاصة وبغير شخصك ليس غير تصنع

وهكذا كانت ليوني تصرف غالب اوقاتها جالسة في قاعتها المزدانة بافخر الرياش والمغطاة ارضها بالسجاد العجمي النفيس وهي لا تفتكر الا بكوردن فقط وفي ذات يوم دخلت عليها مسز بارت وقالت ٠ يا ليوني يقتضي ان تذهبي معي الى

مخزن ميسي في هذا النهار لنشتري لك ثيابا لان ليس لديك
منها ما يكفي وانت الان فتاة غنية ذات ثروة ومال وحسن
وجمال وكثيرون من الشبان الاغنياء سيتقدمون اليك في طلب
يدك ولهذا يجب ان تحضري كل الاجتماعات التي تدعين اليها
وتعاشري الناس بقدر الامكان والان قومي وتهيأي للذهاب
معي ٠ وما مضت ساعة حتى كانت الاثنتان راكبتين العربة
التي كانت تنتظرهما امام الباب وعندما نزلتا امام مخزن ميسي
لحظت مسز بارت رجلا تعرفه مارًا من هناك ولحظت ليوني
ايضًا ذلك الرجل وفي الحال امتقع لونها لانها عرفت انه صاحب
المعمل الذي كانت تشتغل فيه هي ,, آما '' وليم واخذ
قلبها يخفق خوفًا من ان يعرفها فنظرت اليه وتأكدت انه لم
يعرفها الا انه كان ينظر اليها باعجاب والتفت الى مسز بارت
قائلا ٠ ما اجمل هذه الفتاة فهل تخبريني من هي ٠ فاجابته
مسز بارت انني ساخبرك في فرصة ثانية لانني الان بغاية
الاستعجال ٠ وبعد ان اشترتا ما تحتاجان اليه رجعتا توا الى البيت
وعندما وصلتا كان المستر بارت ينتظرهما لاجل العشاء ولما
جلس الجميع الى المائدة التفت الى ليوني قائلا ٠ انني غدا با كرا
ساعلن في الجريدة حاجتنا الى معلم ماهر بفن الموسيقى وعلم
اللغات والموسيقى اهم ما يجب ان تتقنيه

وفي اليوم الثالث مثل امام المستر بارت شاب طويل القامة

حسن المنظر يغطي عينيه زوج من النظارات وناوله بطاقته قائلا . انني اتيت بناء على اعلانكم في الجريدة فنظر المستر بارت الى البطاقة وكان مطبوعاً عليها هكذا

بولس راكسفورد

استاذ في العلوم وفن الموسيقى

وقدم له كرسياً قائلا . اجلس هنا قليلا لكي نتذاكر في الامر واخبرك ان الفتاة التي ستتولى تعليمها لا تعرف شيئاً من فن الموسيقى لانها كانت فقيرة جدا وبموت احد اقاربها صارت اغنى فتاة في نيو يرك ولهذا سترى امامك تلميذة جاهلة كل شيء من العلوم و يقتضي ان تعلمها ثلاث ليال في الاسبوع فقط .

اي متى تريد ان ابتدئ . قال بولس وهو يتأهب للانصراف .

فاجاب المستر بارت . يقتضي ان اسأل ليوني اولا

وما لفظ المستر بارت اسم ليوني حتى اصبح وجه بولس يحاكي الزعفران اصفرارا والتفت قائلا . ارجوك ان تعيد ذلك الاسم اسم الفتاة ولا ادري هل سمعت جيدا ام توهمت وهماً . هل قلت ان اسمها ليوني

نعم . اجاب المستر بارت . ان اسمها ليوني لاك وهو مطابق لوجهها الجميل — ما بالك يا مستر راكسفورد هل

انت منحرف المزاج — قال المستر بارت هذا عندما نظر وجه الاستاذ المصفر وجسمه المرتجف وهو يتوكأ على الكرسي الذي بجانبه ·

لا · لا · اجاب بولس بصوت متهدج · انني لست مريضاً وارجوك ان لا تؤاخذني على ما بدا مني لانني تذكرت شيئاً احدث في هذا التأثير · فقرع المستر بارت الجرس وبعد دقيقة دخلت الردهة فتاة تخال انها ملاك سماوي مرتدية ثوباً من الحرير الازرق ووقفت امام المستر بارت منتظرة اشارته فاخذ ذلك الاستاذ يتأملها من رأسها الى قدميها قائلا لنفسه : انني انا احمق · انني غر بليد لاتياني الى هنا ولكنني لو كنت اعلم لما اتيت وقد شاء الدهر ان يعاندني فماذا اصنع الا انني اقول مع الشاعر · دع التقادير تجري في اعنتها ·

وحينما عرّف المستر بارت ليوني باستاذها راكسفورد وقفت هذه تفتكر اين نظرت هذا الوجه قبلا وشعرت بان قلبها يدق دقات خفيفة ورجعت بفكرها لتتذكر اين نظرته قبلا ثم انها فطنت الى سبب خفوق قلبها وذلك لان الاستاذ كان يشابه كوردن حبيبها الاول بلطفه وجماله وقالت في نفسها انني سأحبه لسبب واحد وهو لانه يشبه كوردن ثم انصرفت الى غرفتها والمستر بارت قال للاستاذ راكسفورد يمكنك ان تبتدئ اذاً من الليلة القادمة وانصرف الاستاذ يلحو تلك

الساعة التي اتى فيها .

— الفصل التاسع عشر —

مضت ثلاثة اسابيع على زيارة الاستاذ الاولى لتلك الدار الفخيمة في لكستنون افنيو وكانت ليوني شديدة الانصباب على تعلم الموسيقى وكانت تنتظر ساعة الدرس بفروغ صبر ولكن ليس لاجل الموسيقى فقط بل لانها كانت دائمًا ترتاح الى نظر استاذها بولس ذلك لانه يشابه كوردن كارليل وكانت تتمنى ان يرفع النظارات عن عينيه لترى اذا كانتا زرقاوين مثل عيني كوردن لان المشابهة بين الاثنين قريبة جدا وكانت ليوني من جهة اخرى مجتهدة في دروسها لعلمها انها بعد اتقانها ستدخل الاجتماعات وتخالط القوم الاغنياء ولربما تلتقي بكوردن وكانت تقول في نفسها : انني اريد ان انظره مرة اخرى فقط و بعد ذلك يكون الموت لذيذا جدا لدي - وكانت تستشير استاذها في كل امورها وتطلعه على كل شيء ما عدا شيئًا واحدا كانت تحاول اظهاره فلا يطاوعها قلبها وهو حبها لكوردن .

كانت الدعوات تتوارد الى ليوني من كل مكان لحضور الاجتماعات والولائم وحفلات الرقص وغير ذلك وحيثما وجدت

كانت ملكة الجمال وموضوع الاعجاب وفي ذات ليلة كانت واقفة بجانب النار متحيرة مرتبكة تقرأ رقعة بيدها كانت اعادت قرأتها مرات عديدة وهي مع ذلك لا تزال تعيد فيها النظر وهذه الرقعة جاءتها بها الخادمة مع باقة من الزهور وهذا ما كان مكتوبًا عليها

,, في هذه الليلة سيجرى في المرسح — رقص متنكر يبتدئ من الساعة الثامنة تمامًا وانا اسألك ان تقبلي هذه التذكرة الواصلة اليك وارجوك ان لا ترفضي دعوة محب غير معروف لديك واذا تنكرت اشكلي الزهور الوردية اللون على صدرك بدبوس من الماس لكي اعرفك · ان دعوتي وان كانت على غير معرفة فلا تظنيها خيالية وهمية وغاية ما ارجو ان تأتي ولا تدعي احدا يعلم الا خادمتك اذا احببت ''

حبيبك الذي لا تعرفينه

كانت ليوني تفتكر في هاتين الكلمتين,, خيالية وهمية '' وتسائل نفسها قائلة · من هو هذا الذي يحبني ولا اعرفه · انني اذا اخبرت مسز بارت فلا شك في انها تمنعني عن الذهاب ولا ارى ما يضرني اذا ذهبت لاعلم فقط من هو صاحب هذه الدعوة · وفيما هي في هذه الحيرة خطر لها فكر وهو ان تضع تلك الزهور والدبوس على صدر خادمتها وتستصحبها وقد تبسمت ارتياحا الى هذا الفكر الحسن قائلة في نفسها · لو ان

بولس يأتي في هذا المساء لكنت اريه رقعة الدعوة والتذكرة ولكن ربما كان يعترض على ذهابي ولهذا فعدم مجيئه احسن وكانت لابسة ثيابها متأهبة للذهاب ولا يوجد احد سواها في البيت لان المستر بارت كان قد ذهب هو وامرأته الى وليمة دعيا اليها ولم تطب نفس ليوني بالذهاب معهما واعتذرت بانها تعبة ومحتاجة الى الاستراحة وكانت الساعة اذ ذاك السابعة ونصف ٠

لا يزال الوقت منفرجا٠ قالت ليوني في نفسها٠ ولا باس اذا نمت قليلا ريثما تأتي ايمي الخادمة ٠ وجلست على كرسي هزاز من القطيفة الحمراء وما لبثت ان استولى عليها سلطان النعاس ٠

و بعد عشر دقائق من اغفائها انفتح باب الغرفة وكان الداخل بولس راكسفورد الذي كان آتيا ليعتذر على عدم تمكنه من الحضور في ذلك المساء وعند وصوله الى وسط القاعة وقف مضطربا وتراجع الى الوراء اذ رأى ذلك الرسم النحيف الجالس على ذلك الكرسي مرتديا ثوبا يتلألأ بالجواهر والحلى امام النار التي كانت تزيده لمعانا وقد عرف للحال انها نائمة من نظره الى هيئتها وكان ثوبها السابغ اللامع يتدلى على ذلك السجاد العجمي وحول عنقها ومعصميها الماس يلمع كالنجوم في الظلماء وكانت هيئتها في ابهى مظهر الجمال بين تلك الاشياء المشعشعة

فوقف الاستاذ مدهوشاً ولم يتمالك ان قال الله ما هذا الجمال!
وبقرب الكرسي تحت قدميها رأى حذاءً خفيفاً ورديّ اللون
وبجانبه تذكرة واقعة من يدها فتقدم بولس والتقطها وبانحنائه
وقعت النظارات عن عينيه وقد وقف مستغرباً حينما نظر
الاسم على التذكرة وقال في نفسه يا ترى هل هي ذاهبة الى
هناك . انني لا اعلم ابدا مطلقاً انا — وقاطع نفسه بنفسه لان
فكره كانت تختبط فيه الهواجس كلما نظر الى ذلك الرسم الباهر
الجالس امامه ثم قال لذاته وهو يتوله ناظرا اليها . وما الذي
يدعوني الى الذهاب الان وارجع نظره الى نفسه كمن اصيب
بجنون وكان يطمئن ذاته بانه قادر على ردع تلك التصورات تصورات
الحب والغرام ولكنه خاب املا لانه في تلك الخلوة كانت
فواعل الهيام جاشت في قلبه وتغلب على تجلده جنون الهوى
فدنا منها وانحنى مقبلا ذراعها البيضاء وسجد بجانبها بذلة وتعبد
ولكنه ما لبث ان وقف مضطرباً وارتد الى الوراء قائلا
لذاته : لماذا انا افعل هذا فهي لا تحبني بل تحب المال والغنى
وحبي لها دون ان اكون غنياً لا يجديني سوى العذاب ثم عقد
ذراعيه على صدره ووقف مدلها يتأمل بعينيها ولا يدري ماذا
يصنع اخيرا استفاق من سهوته وعول على الانصراف فتقدم اليها
بكل هدوء وقبل شفتيها ثم استل سكيناً من جيبه وقطع خصلة
من شعرها وخبأها قائلا : انهم سيجدون هذه الخصلة فوق

قلبي يا حبيبتي عندما اموت ولا تظني انني انسى هذه القبلة في حياتي ٠

فتحركت ليوني قليلا و بضمير المذنب رجع بولس الى الوراء وما كاد يخرج من الباب حتى وقفت مضطربة وهي تقول ٠ يا الله ما هذا ! حتى في نومي ايضاً يطير قلبي الى كوردن ٠ انا عندي مال وجمال وكل الدنيا لدي كلا شيء ومع ذلك انا تعيسة وفقيرة لانني فقدت حب كوردن ٠ آه يا سماء لو ان الاحلام تكون صحيحة ! فقد حلمت انه احنى رأسه اليّ وقبلني ٠ آه ما هذا الذي اراه هنا ! قطعة زجاج من نظارات استاذي ٠ فمن اين انت ! لا اعلم ٠ لماذا انا غبية بهذا المقدار فهذا الكرسي هو الذي كان يجلس عليه حينما يأتي الى هنا وربما تكون وقعت منه في المرة الاخيرة ولم يعلم ٠ قالت هذا ورمتها في النار

بعد نصف ساعة كانت ليوني راكبة العربة هي وخادمتها ومتجهة نحو ذلك الشارع والمكان المعينين في التذكرة وكان شاب واقفاً يراقبها على الرصيف الثاني وفي الحال ركب عربة كانت مارة من هناك وقال للسائق : اتبع العربة التي امامك ومتى وقفت قف انت على بعد قليل منها ودعني اترجل والنور الذي كان ساطعاً في الشارع كان يكشف عن وجه ذلك الشاب وليس هو الا الاستاذ بولس راكسفورد وكان لونه ممتقعاً وجسمه مضطرباً فجرت العربة وهو يقول في نفسه ٠ انني

ساتبعك يا مليكتي واحرسك لان قلبي يدلني على ان خطرا يتهددك ٠

— الفصل العشرون —

كان الراقصون المتنكرون مجتمعين في قاعة كبيرة في دار مبنية من الحجر الاحمر على ضفة النهر الشرقي. ومزدانة بالانوار المتلألئة من كل جانب مما يبهر الانظار وكان شاب متنكر واقفاً يحرس المدخل ويدير عينيه السوداوين حوله وفيما هو واقف سمع همساً من كل جانب وعيون كل المتنكرين تحولت نحو الباب لتنظر الى الملاك الداخل مرتدياً ثوباً موشى بخيوط ذهبية ولم يكن هذا الداخل الاليوني لاك التي وقفت وقالت لخادمتها دعينا نرجع ياايمي فالرجوع اولى بنا لانني لا ارى احدا اعرفه هنا ٠ ثم همت بالخروج ولكن لم تكد تخطو خطوة حتى اعترضها ذلك الفارس المتنكر قائلا ٠ ان ذهابك لم يعد اختياريا الان يا سيدتي ولا يسمح لاحد بالخروج من هنا الا عند منتصف الليل وعندئذ ينزع كل منا ثياب التنكر ويذهب فاسمحي لي ان اذهب بكما الى مقعد تستريحان عليه ٠ فارتضت ليوني بذلك دون ان تتفوه بكلمة وحين وصولها الى المقعد التفت ذلك الفارس الى ايمي قائلاً ٠ اسمحي لي ٠ هل كلا كما

اتيتما سوية · فاجابت ايمي · نعم اننا اتينا سوية · وكانت لهجة الفتاة في لفظ كلمة سوية Together فرنساوية اي بلثغة في الحرف الاخير فعرف السائل من ذلك انها ليست ليوني ثم التفت الى ليوني وسألها ان ترقص معه دوراً فرفضت معتذرة ولكنها ما اكملت عبارتها حتى عزفت الموسيقى ووقف المتنكرون والمتنكرات تأهباً للرقص ونهضت ليوني تريد الخروج الى قاعة اللابس واذا بذلك الفارس قد خاصرها واخذ بنوع ما يجبرها على الرقص وكانت تمانع وتسأله ان يدعها تذهب الى قاعة اللابس ولكنه كان يتصامم عما تقول ويبقي يماشيها او يمشيها زجواً حتى بلغ بها الى باب في اواخر المرسح ففتحه ودفعها الى الداخل ووقف امامها قائلاً : انني ازعجتك قليلاً كما انك انت ازعجتني بعدم وضعك الزهور على صدرك · انك انت ليوني لا ك وانا اعرفك ومتى علمت السبب الذي من اجله دعوتك الى هنا عندئذ يزول استياؤك ومع ان الشاب كان متنكرا فان ليوني فطنت الى انها سمعت هذا الصوت مرة من قبل ولكنها لم تعد تذكر صوت من · فتابع الشاب كلامه قائلاً ·

انك ولا شك متعجبة من سبب هذه الدعوة ولكنني ساوضحه لك فاسمحي لي ان اقدم لك كرسياً تجلسين عليه لاستماع حديثي الذي لا يستغرق اكثر من خمس دقائق

فجلست ليوني وهي غير منتبهة الى شيء لشدة ارتباكها .

فقال الفارس ٠ ان هذا البيت هو بيتي وهولاء النـاس جميعهم زائرون وكلهم على ما تنظرين من ذوي الاثراآء والغنى ومقتضى اجتماعهم هذه الليلة امر واحد وهو انه من مدة اسبوع كما تكونين قد علمت اندكت تلك البناية الكبيرة وقتل فيهـا خلق كثير وقد اجتمعنا هنا الان بقصد ان نجمع شيئـاً من المال نسعف به اولاد القتلى واراملهم ولعلمي انك ذات ثروة طائلة و يد لا تنقبض عن الاحسان دعوتك الى هذه الحفلة لكن اسألك التبرع بالقيمة التي تريدينها والامر على كل حال موكول الى رضاك واختيارك ٠ قال هذا وانتشل من جيبه اوراقاً كثيرة مشكوكة بدبوس ثم اردف قائلاً ٠ هذه اوراق الا كتتاب وكما قدمت لا يكون الاسعاف الا عن رضى ويمكنك الذهاب اذا اردت ٠

فعطفت ليوني عاطفة الرحمة والاشفـاق والتفتت اليه قائلة :

كيف لا اساعد اولئك الارامل والايتام الفقراآء ٠ اعطني هذه الورقة لاكتب اسمي ٠

فاخرج ذلك الفارس قلما فيه حبر واخذ ورقة بيضاآء من تلك الاوراق واشار اليها قائلا : اكتبي اسمك في ذيل الورقة عند هذه العلامة السوداء لان كل واحد يكتب اسمه على ورقة مستقلة ولا يذكر قيمة التبرع فاخذت ليوني القلم وكتبت اسمها وقلبهـا مملوء شفقة ورحمة ولكنها لسوء الطالع لم تكن تدري ماذا تصنع

ولا علمت انها وضعت توقيعها على حكم هلاكها وحينما ارجعت اليه الورقة والقلم ضحك ذلك الفارس ضحكة خبيثة ملأت القاعة والتفت الى ليوني قائلا : جزاك الله خيرًا يا حبيبتي ليوني · ونزع في الحال الوجه المستعار وانتصب امامها وقال · آه يا حبيبتي ليوني · انك الان قد صرت في قبضة يدي · واذ ذاك حلت الرعبة على قلب الفتاة فصرخت بخوف شديد : آه يا الهي انه الد اعدائي — تشارلي هارت

فقال: تشارلي بصوت منخفض اياك يا ليوني ان ترفعي صوتك واذا فعلت فاعلمي انني —

فقاطعته ليوني بحدة قائلة · تعني انك تقتلني · وكانت قد قرأت الحقيقة في عينيه

فاجاب قائلا · انك قد اصبت بما قلت لانك بما ابديته قد استبدلت محبتي لك بالبغض والظماء الى الانتقام والظروف الان تساعدني على ما اريد وهذه اول دفعة الان والاتي للاتي فانظري ماذا فعلت · انظري اين وضعت امضاءك ورفع تلك الورقة فوق النور فتحول حبرها الابيض الى حبر اعتيادي ثم ادناها من ليوني قائلاً · انظري واقرأي فنظرت ليوني بقلب واجف الى تلك الورقة وهذه صورة ما ظهر مكتوبًا عليها :

,, نحن الواضعين اسمينا ادناه قد تعاقدنا بزواج رسمي في هذه الليلة ونظرًا لعدم وجود كاهن ولضيق الصبر عن المهلة

قد جعلنا هذه الوثيقة كشاهد علينا فمن الان وصاعدا صرنا زوجين لا يفصلنا الا الموت ونعتبر امام الله والناس كرجل وزوجته ''

ليوني لاك

تشارلي هارت

فصرخت ليوني بارتعاد قائلة : يا الهي نجني . فقدت حياتي فقدت حياتي !

— الفصل الحادي والعشرون —

انت الان قد اصبحت لي : قال تشارلي . ومن بادئ الامر قلت لك ان تكفي عن الممانعة فما فعلت والان انظري اي وقعة وقعت .

فاجابته ليوني : ان عملك هذا هو العار بعينه ولا يقدم عليه الا اذل الادنياء

فقال تشارلي متبسما : اني فعلت هذا الامر مدفوعاً بالحب والغرام والرغبة في الانتقام وانا اعترف بانه عمل سافل ولكن مالي ولاقوال الناس ويكفيني انك اصبحت زوجتي فمالك وثروتك كلها لي وانت ايضاً لي

باطل ما تدعي . اجابت ليوني . اني كتبت اسمي على الورقة وانا غير عارفة بما فيها ومن المستحيل ان يقرر زواج

دون شاهد ولهذا تراني غير خائفة

هذه الورقة هي كل ما اريد٠اجاب تشارلي٠وانا اعلم ماذا اصنع فان تاريخ هذه المعاهدة هو تاريخ تلك الليلة التي مات فيها والدك وكنت عندي في غرفتي وفي امكاني تقديم عشرين شاهدا يثبتون انك زوجتي من تلك الليلة

رباه هتفت ليوني ٠ لماذا قدرت لي الاتيان الى هنا٠ان هذا الرجل يتبعني كالظل وقد مرمر حياتي وجعلني اشتهي الموت ٠ اللهم لغيرك لا ارفع الشكوى!

انك لا تموتين الان٠ اجاب تشارلي ٠بل تحيين وحياتك تكون كلها عذاباً لانك انت عذبتني وساكيل لك اضعاف الاضعاف ٠ انا احببتك مرة حب من يموت في سبيل حبه وانت طرحتني تحت قدميك ٠ فاعلمي انك زوجتي الان وتأكدي انك لا تقدرين ان تتفوهي بكلمة البتة لان البيت الذي انت فيه هو ٠٠٠٠ واتم عبارته بكلمة قالها همسا فبهتت ليوني مرتعشة ثم ركضت تحاول الخروج ولكن تشارلي كان قبض عليها بعنف واوقفها قائلاً انني انا سيدك الان واريد ان تبقي على حالتك هذه نائحة عند قدمي ٠ آه ما احلى الانتقام ٠ انطرحي هنا امامي يا حبيبتي ٠ اخضعي ٠ اسجدي لي ٠ آه ما احسنك الان وتلك القبلات التي منعتني عنها في الماضي ستعوضين عنها الان ٠ كافحي قدر استطاعتك

فليس لك من مهرب· انت زوجتي ولا يوجد احد هنا ليدافع عنك ··· ولكنه ما كاد يتم هذه العبارة حتى دوى في القاعة صوت جهوري يقول : بلى يوجد من يدافع عنها ايها الشقي وفي الحال كان شاب طويل القامة قد صار بجانب ليوني فدفع تشارلي دفعة قوية طرحته على الارض وقال : يا سافل لو لم تكن الان بحضرة سيدة لكنت انيلك ما تستحق والتفت الى ليوني قائلا · لا تخافي يا مس لاك فانا ادافع عنك الى اخر نسمة من حياتي ·كوني واثقة بي — انا بولس راكسفورد

كان المشهد موثرا جدا عندما اعتلقت ليوني باستاذهاوهي تبكي وشعرها الذهبي منفوش على كتفيها وكان تشارلي واقفاً وقلبه يتأكل من الغضب والحنق فالتفت الى بولس قائلا · لي معك كلمةايها الشاب و بعد ذلك ادعك وشأنك

لا تذهب يا استاذي · صرخت ليوني وهي تتمسك به · فانه رجل شرير · لا تذهب واحذر الغدر

لا تجزعي · اجاب الاستاذ وتقدم نحو تشارلي ولم تسمع ليوني من حديثهما القصير غير كلمة التراضي وهكذا ذهب تشارلي و بقيت ليوني هي واستاذها في الغرفة · فالتقط لها البرقع عن الارض بينما هي تصلح شعرها ثم عكفت ذراعها على ذراعه وخرجا من القاعة وما مشيا بضع خطوات حتى تقدم الى ليوني صبي و بيده كتاب ناولها اياه فاخذته خائفة من ان

ترفضه ووضعته في جيبها ثم ركبت العربة التي كانت منتظرة هناك وجلست خادمتها بجانبها والاستاذ جلس قبالتهما قائلاً للسائق . سر الى لكسنتون افنيو . وفي كل مدة الطريق لم تلحظ يمي شيئاً من التغير على وجه ليوني التي كانت تفتكر فيما عساها ان تقول لاستاذها وهل يحسن ان تعترف له بكل شيء وتستمد منه الرأي واقتنعت قائلة في نفسها ان هذا هو الرأي الاسد فهو الرجل الوحيد الذي يقدر على مساعدتي ولكنني لا استطيع ان اخبره بحضور الخادمة . انني بدون شك قد سقطت من نظره ولكن واحيرتي ان قلبي يميل اليه فما هو السر . هل انا احبه ! لا . كلا . بل ان ميلي اليه هو لمجرد كونه يشبه كوردن

وصلت العربة الى وجهتها ووقف بولس يعضد ليوني على النزول وكان مضطرباً متأثراً من هذا الامر الذي حدث لها ولم يكن في الحسبان فتنهد بارتباك وقال لها (كودنيت يا ليوني) وانصرف واخذت هي تصعد على الدرج باستعجال وحينما وصلت الى غرفتها جلست على كرسي من القطيفة الحمراء ملقية قدميها على كرسي آخر وانتشلت ذلك الكتاب من جيبها لتقرأه .

— الفصل الثاني والعشرون —

جلست ليوني على ذلك الكرسي وقلبها يساوره الخوف والانزعاج واجسة مما يحتمل ان يكون تشارلي كتبه اليها كأنه لم يكتف بما قال وفعل بل التجأ الى الكتـابة ايضاً ففضت الغلاف بيد مرتجفة وهذه صورة ذلك الكتاب

عزيزتي ليوني

انني امهلك الى يوم الاربعاء القادم لتتبصري في ما قلته لك واذا لم يصلني جوابك في خلال هذه المدة فانني اذهب بنفسي واطلبك كزوجتي واذا كنت غير مكترثة لما اقول فاسألي المستر بارت وهو يفهمك ان صورة العقد التي بيدي هي قانونية شرعية وليس لك الا التسليم والاتيان الي

زوجك

تشارلي هارت

كعصفور جميل اصيب بنبلة في صدره فانقلب ومات وكل زهوه مات معه هكذا استرخت ليوني على ذلك الكرسي امام النار بثوبها الحريري الذي لم تجد فرصة لنزعه ومن شدة تأثرها مزقت تلك الورقة وطرحتها في النار واخذت تفتكر قائلة ٠ يا ترى ٠ هل ما يقوله هذا الرجل هو صحيح ٠ وهل يقدر

ان يعتمد على تلك الورقة التي معه · آه ماالعمل·ما العمل·انا الآن ليوني لاك تلك الوارثة الجميلة فماذا يقول الناس في اذا اعلن هو الامر وادعى انه زوجي · هل اتزوجه ؟ وارتعبت عند هذا الفكر واقشعر جسدها فصرخت ·لا · لا · الف مرة لا · الموت خير من هذا الزواج لان اقرب عواقبه الموت اما لي واما له· وبقيت جالسة امام النار فريسة لهذه التصورات المزعجة حتى انها نسيت نفسها واخيرًا نهضت بنزق وهي لا تدري كم من الوقت مضى على جلوسها وتنهدت قائلة · ياالهي ساعة اخرى مثل هذه تفقدني رشدي فالافضل لي ان اذهب الى استاذي بولس واستشيره في الامر ثم وضعت عليها كساء غليظًا لدفع البرد ونزلت على ذلك الدرج ولم تلتفت الى تلك الساعة التي كانت تدل على ان الوقت كان نصف الليل وحين وصولها الى الشارع اوقفت عربة صادفتها قريبة وقالت للحوذي سر بي الى الافنيو الخامس عدد كذا · فقال الحوذي وهو ينظر اليها مستغربًا · يجب ان تدفعي الاجرة سلفًا

فنالته ما سأل دون ان تتفوه بكلمة وجلست في تلك العربة غارقة في تيار الهواجس معزية نفسها بتلك العبارة التي قالها استاذها بولس في تلك الليلة وهي ,, انني سادافع عنك الى آخر نسمة من حياتي '' · هل يقدر يا ترى ان ينقذها من الخطر الذي يتهددها فاذا لم يسعه تحقيق املها فانها تنطرح عند

قدميه وتموت ذلك خير من ان تكون زوجة تشارلي هارت وفيما هي كذلك وقفت العربة امام النزل الفخيم في الافنيو الخامس وفي الحال خرج احد المستخدمين لاستقبال القادم الجديد

انني لا اريد النزول هنا . قالت ليوني . الا اذا كان موجوداً في هذا النزل شاب اسمه بولس راكسفورد وهو استاذ في اللغات والموسيقى

فاجابها الخادم . انني لا اعرف رجلا بهذا الاسم نازلا هنا ولاجل التأكيد سافحص الدفتر ثم دخل مفتكرًا فيما عساه ان يكون السبب الذي يحمل غادة مثل هذه على الاتيان في منتصف الليل وبعد ان قلب دفتره ثلاث مرات دون ان يجد الاسم عاد الى السائلة وكرر قوله الاول

فقالت ليوني : هل انت على يقين من ذلك يا مستر فان المسألة ذات اهمية كبيرة

فاجاب الخادم : انني على اتم التأكيد يا سيدتي . قال هذا وعاد الى عمله متحيرًا من امرها والسائق التفت اليها قائلا : الى اين تريدين ان تذهبي الان

فقالت له : سق في شوارع المدينة حتى الصباح واجرتك مضاعفة .

فاقفل باب العربة وجرت على عجل وفي اقل من دقيقة وصلت الى شارع برودواي وكانت ليوني جالسة في اشد

حالات الاضطراب والقلق وكانت تفتكر في قول الخادم لها
„ لا يوجد احد هنا بهذا الاسم " وتناجي نفسها قائلة :
يا الهي . هل هو ايضاً خائن الوداد انني ما ضللت عن النزل
لانه كان دائماً يقول لي انه في الافنيو الخامس . ان كوردن
كان خائناً خداعاً وانت يا بولس مثله على ما ارى ويخال لي
ان ليس في الناس صادق

وعندما انبثق الفجر اوقف الحوذي عربته وقال . الى اين
نذهب الان يا سيدتي . فاجابت ليوني . خذني الى احد
المحامين المشهورين في المدينة . فقال لها . لا يوجد احد من
المحامين في مكتبه الان . اذن . اجابت ليوني . طف بي
في الشوارع الى ان يفتحوا .

فبقي السائق يطوف بعربته حتى بزغت الشمس على مدينة
نيو يرك العظيمة ناشرة اسلاك النور على البنايات الفخيمة الشاهقة
التي كانت تلوح للناظر كانها مصوغة من ذهب وفضة وعندئذ
اوقف السائق العربة امام مكتب احد المحامين الماهرين وترجل
ليفتح الباب فدفعت اليه ليوني اجرته قائلة . لا يجب ان
تنتظرني ثم ذهبت لترى المحامي وكان اسمه تشارب وهو من
المحامين الطائري الصيت في المدينة

١

— الفصل الثالث والعشرون —

كان المحامي تشارب جالساً يطالع جريدة في يده ولا شك ان الناظر اليه يستدل بديهيا على كونه محامياً بارعاً وفيما هو مكب على المطالعة اذا بخيال حجب عنه نور الشمس فالتفت فرأى فتاة يجللها ثوب شتوي ثقيل واقفة امامه فنهض بعجلة وقدم اليها كرسياً قائلاً . تفضلي واجلسي .

اشكرك كثيرًا . قالت ليوني وجلست على الكرسي . انني آتية لاطلب منك الفتوى في مشكل ذي اهمية كبيرة فهل تصغي اليّ بضع دقائق

فاجابها المحامي تشارب . انه يقتضي ان اكون في المحكمة الساعة العاشرة والان الساعة التاسعة فيمكنك ان تشغلي من وقتي ثلاثة ارباع الساعة هذا اذا كانت مسألتك يمكن قضاؤها في هذه الفرصة

فقالت ليوني . انني جئت لاستشيرك في مسألة مختصة باحدى صديقاتي وهي عزيزة لديّ فتاة جميلة اوقعها نكد الطالع في تهلكة تجعل حياتها في منتهى الشقاء واريد منك بعد ان اسرد لك قصتها ابداء الرأي المحكم فيما اذا كان من امل بخلاصها ام لا وانا متيقنة انها تموت

من اليأس والقنوط اذا حكمت بانقطاع الامل من نجاتها ولذلك التمس منك ان تبدي رأيك الخصوصي · آه يا سيدي · حبذا لو قدرت على انقاذها من الورطة الصعبة

فاجابها المحامي بلطف · انني احكم بما يطابق الشرع و يوافق النظام بعد ان انظر بتدقيق في كل كلمة من القصة الجلاء الحقيقة وكان المحامي يخاطبها في ضميره قائلا · ان هذه القصة هي لك وليست لاحدى صديقاتك

فاذا · اجابته ليوني · ان قصة تلك الفتاة التعيسة · تلك الفتاة الطاهرة · تلك الفتاة الامينة الصادقة هي ان احد الناس اوقعها في مكيدة وهي لا تعلم نفسها الان اذا كانت زوجة شرعية ام لا · وكانت تتكلم والدموع تذرف من عينيها تحت ذلك البرقع المرخى على وجهها وصوتها المرتجف اكد للمحامي تشارب ان تلك الفتاة هي هي نفسها

فالتفت اليها قائلاً ·كل يوم لنا في المحاكم مائة دعوى مثل هذه كلها من بنات على شبان بسبب الحب والغرام والهوى اصل الكثير من المصائب

فقاطعته ليوني قائلة ·ان تلك الفتاة لم تكن تحب ذلك الشاب ابداً ·

فاجابها المحامي · اخبريني القصة كلها بايضاح

تلك الفتاة · اجابت ليوني ·كانت فقيرة ماهنة عندما

نظرت ذلك الشاب ونظرها ولم تكن هي البادئة بالتعرف به
بل هو تعرض لها في الشارع ولما علم انه لا يقدر ان يستهويها
اقسم يميناً بانه سيهلكها ويشوه سمعتها باشاعات باطلة كاذبة
وكان يتبع خطواتها من معمل الى آخر وينم عليها بكذا وكذا
حتى انها لم تكن تشتغل في معمل اكثر من يوم او يومين
بسبب عمله هذا وقد حسب انها حينما تضيق الدنيا في وجهها
ترجع اليه وكان يتبعها كذئب خاطف يطارد فريسته وبينما هي
في تلك الحالة من الضيق والعناء بشرت فجأة بانها وارثة ملايين
من الدولارات وكان ذلك حقيقة وهكذا انتقلت من حالة الفقر
الى الغنى الوافر وحسبت اذ ذاك ان حياتها ستتغير وانها
تعيش ناعمة البال ولكن حينما سمع ذلك الرجل بثروتها اقسم
يميناً بانه لا بد ان يتزوجها من جهة لاجل ثروتها ومن اخرى
تشوقاً الى الانتقام . وكانت ليوني تتكلم وصوتها تقطعه
العبرات حتى انها بالجهد كانت تفهم ما تقول الا انها اخيراً
قوت قلبها وقالت بلهجة افصح . ان تلك الفتاة كانت حديثة
السن غافلة عن مكايد الناس ومن مدة قريبة جاءها البعض
بورقة بيضاء وقالوا لها انهم يجمعون الاحسان لاسعاف الفقراء
والايتام وسألوها ان تضع اسمها في اول اللائحة وهي دون ان
تدري بشيء . دون ان تعلم — آه يا مستر . اوكد لك انها
كانت غافلة نقية كطفل صغير — لم تكن تعلم بان تلك الورقة

ستجعل الدنيا امامها شقاء وعذاباً — وعلى غير علم ودون انتباه كتبت اسمها على تلك الورقة وعندئذٍ — يا للهول — يا للفضيحة — يا للعار — عندئذٍ عرفت انها كتبت اسمها على معاهدة زواج بينها وبين ذلك الرجل الذي تبغضه البغض كله. وانا الان اسألك . هل توجب عليها الشريعة ان تكون زوجة له . هل يقدر ذلك الرجل ان يؤيد تلك المعاهدة التي وقعت عليها وهي لا تعلم بما فيها . هل تلك المعاهدة شرعية . هل تلك الفتاة الطاهرة تلك الفتاة الكسيرة القلب تلك الصديقة الوحيدة لي . هل هي زوجة ذلك الرجل ام لا .

وكانت تتكلم وذلك المحامي الشهير ينظر اليها متأثراً من حالتها وكانت منتصبة على قدميها واضعة يديها على قلبها المتفطر وآثار القلق والخوف ظاهرة في كل عضو من اعضائها كأنها ملاك خاشع يسبح الله تعالى والمحامي كان يقول في نفسه سبحان رب الخلائق ما ابدع ما خلق وما لبثت ليوني ان صرخت قائلة . ارحمني يا سيدي . افتكر الان هل هي زوجته ام لا؟

فاجابها المحامي قائلاً . في اي وقت وفي اي مكان كانت هي وذلك الرجل حينما طلب منها الزواج فاجابته ليوني بصوت متقطع كان ذلك في منتصف الليل في غرفته — هو — ولكن المحامي قاطعها قائلا : في غرفته أليس هكذا ؟ فاجابته ليوني اي نعم

وكان الناظر إليها في هذه الساعة يتفتت قلبه ولو كان من الحديد . فكرر المحامي سوءاله قائلا اين كانت حينما وضعت اسمها على تلك المعاهدة .

فاجابته ليوني بصوت متهدج . آه يا سيدي لا اقدر ان اقول — لا اقدر اقول وارجوك ان تصرح لي هل يقدر ان يجبرها على الجري بموجب هذه المعاهدة التي وقعت عليها دون ان تعرف ما هي واذكر ان جوابك يتوقف عليه حياة او موت هذه الفتاة المسكينة

فاطرق المحامي متأملا نحو خمس دقائق وكان وهو جالس على كرسيه يسمع دقات قلب ليوني المطردة اخيرًا التفت اليها وقال .

انني بعد التفكر وامعان النظر رأيت ان فتاة مثل صديقتك ليس من داع لها لتكون في غرفة الشاب في تلك الساعة من الليل ولذلك فان شريعة الولايات تعتبر هذه المعاهدة شرعية وان الفتاة اصبحت زوجته شرعاً . وبكل اسف اقول انه لا يوجد باب لحل هذا المشكل وتخليص للفتاة

فانفتح في تلك الدقيقة فمها اللطيف وخرجت منه صرخة حادة اقشعر منها جسد المحامي — صوت فتاة اصيب قلبها بسهم فانجرح — صوت بقي صداه يرن في اذني المحامي مدة طويلة وفي الحال لمع في يدها خنجر مرهف ولم تنظر الا وهي

منطرحة عند قدمي المحامي لا تعي على شيء

الفصل الرابع والعشرون

تلك الدقيقة كانت دقيقه هول تذكر ولا تنسى فان المحامي عندما رأى الفتاة تريد الانتحار وثب بسرعة كلية وبادرها بضربة على يدها اطارت الخنجر منها ومن شدة الضربة وقعت امامه مغشياً عليها فامر خادمه باحضار الماء واخذ يرشه على وجهها وعندما رجع اليها وعيها قدم اليها كرسياً وهو يقول في نفسه انني خلصتها من الموت . واول ما تمكنت من الكلام قالت : لماذا لم تدعني اموت اذا كانت حياتي هكذا وانا صبية فكيف تكون وانا في منتصف العمر كيف يمكنني ان انظر الى القمر والشمس والدنيا في باسرها وانا في هذه التعاسة . آه . لماذا لم تدعني اقتل نفسي

فاجابها المحامي قائلاً : انني اتعجب منك كثيراً كيف انك تتأثرين الى هذا الحد من مصيبة صديقتك فكأنها مصيبتك .

لا شك ان هذه الكلمات مست قلب ليوني المتأثر فقالت : ان تلك الصبية المبتلاة هي صديقتي الوحيدة في هذ

الدنيا وحزنها هو حزني وفرحها هو فرحي وانا اعلم انني اذا اخبرتها بما قلت لي فانها تموت ولهذا اردت ان اقتل نفسي لئلا تسمع هذا الخبر من فمي وانت لم تدعني اموت فلماذا ! لماذا ولكن ليس غير الله نصير فساخبرها بما صرحت لي به٠ ثم انها دفعت الاجرة المطلوبة وخرجت من تلك البناية الكبيرة الى الشارع ولكن ذلك المحامي الفطين رأى كيف انها تمشي بضعف واضطراب ويداها مضمومتان الى صدرها كأن قلبها مصاب بألم لا تستطيع احتماله وكأنه قد أخذته الشفقة على حالتها فقرع الناقوس الذي على المكتب فمثل امامه احد كتابه الامناء فاشار اليه قائلاً : اريد منك ان تتبع خطوات هذه الصبية الذاهبة امامك لانني اظن انها مصممة على الانتحار فراقبها عن قرب لتصدها عما تحاوله ومتى رأيتها صارت بين من يهتم بها من الاقارب والاصدقاء حينئذٍ ارجع ٠ وهذا البرقع وقع منها فخذه واعطها اياه وبهذه الواسطة يمكنك ان تميز وجهها جيداً فاذهب الآن

خرجت ليوني من مكتب المحامي وهي كالنائم السابح في بحور الاحلام واشعة الشمس وصفاء السماء لم تكن لتروق لها الآن كما في الماضي اذ ماذا يروق لعينيها في الدنيا وقد اصبحت زوجة شرعية لتشارلي هارت وكانت تخاطب نفسها قائلة : آه بئس ما فعلت بوضع اسمي على تلك الورقة٠ انني خسرت

حياتي . وكل هذه الافكار المؤملة لم تكن لتشغل قلبها عن الانعطاف الى استاذها بولس راكسفورد الذي يشابه كوردن

ان الحب لا يختفي وكل فتاة تعرف الشاب الذي يحبها من ادلةٍ عديدة . تعرفه من لمس اليد من اللهجة في الصوت من العين التي تفضح اسرار الضمائر وفي تلك الليلة في الرقص المتنكر حين عكف ذراعه على خصرها وضمها الى صدره قائلاً : انني سادافع عنك الى آخر نسمة من حياتي شعرت ليوني بان بولس يحبها ولكن حبه جاء متأخرًا لان حب كوردن كان تمكن من قلبها فلم يعد احد يقدر على انتزاعه

وبينا هي في هذه الهواجس وصلت الى بيت التلغراف فارسلت نبأ الى المستر بارت تخبره انها تأخرت في بيت احد الاصدقاء ولا ترجع الا بعد يومين او ثلاثة وقد قالت في نفسها : انني لا اقدر ان اقابل احدًا الآن لان هيئتي تدل على انزعاجي وبقيت تتمشى على مهلٍ في الاسواق تحت إشعة الشمس وهي تحسب نفسها بردانة لاضطراب جسدها وكانت تنتقد وجوه المارة بلهفة شديدة مؤملة ان ترى استاذها بولس ولكنها كيفما توجهت كانت ترى ذلك الرجل الذي اعطاها البرقع يراقبها وربما ظنت انه احد جواسيس تشارلي هارت

. . . .

طافت ليوني اسواقًا عديدة وكانت نفسها تحدثها بان تنبه

رجال الشرطة الى ذلك الرجل الذي يتبع اثارها الا انها لم تقبل هذا الرأي ولم تجد حيلة للتخلص منه الا الهرب من امامه وكانت تناجي نفسها قائلة : لا اريد ان اذهب الى البيت الآن كلا . كلا . الى اي مكان كان ولا الى هناك

كانت الشمس مالت الى المغيب واخذ الظلام يرخي سدوله على المدينة العظيمة وذلك الرجل الذي كان يتبعها من قبل المحامي تشارب رجع لا يدري ماذا يصنع وما زالت ليوني تمشي تائهة في الشوارع والازقة حتى ادى بها المسير لا بل اوصلتها التقادير الى منهاتن بيتش (مصيف مشهور في جوار نيويرك) في تلك الليلة الليلاء التي لم تكن تلوح فيها ولا قبسة من مصابيح السماء ولزيادة الاسف كانت كل المنازل والبيوت والمحال مقفلة في ذلك المصيف الشهير ولم يكن فيه من انيس الا الثلج المكوم على شرفات الدور التي تبرز في فصل الصيف مزدانة بالزهور الجميلة ولم يكن يسمع الا صوت الامواج التي تضرب على الشاطئ وتكسر الجليد وتبتلعه

وصلت ليوني الى هذا المكان الخالي واتكأت على الدرابزين المرتكز على حافة الرصيف تراقب تلك الامواج الهائجة وقد اطمأنت نفسها نوعاً لتأكدها ان لا احد يظن انها في ذلك المكان ولا يخشى ان يأتي من يفتش عنها في ذلك الخلاء فخاطبت نفسها قائلة : انني سابقى هنا الى — ولكنها في

الحال سمعت صوتاً قاطع افكارها · سمعت وقع اقدام · فمن هو يا ترى هذا القادم المقلق سكوت الليل البهيم ! وكان يوجد بجانب البحر قناديل كل واحد يبعد عن الآخر مسافة موضوعة لتستهدي بها المراكب في الظلام · فالتفتت ليوني الى جهة الحركة واذا بشبح ظهر من بين تلك البيوت وصوت يستهزئ بها قائلاً :

هل انا تائه — او مجنون او في عقلي اختلال : الست انت تلك الغادة ليوني لاك تلك الفتاة التي هي بهجة المحافل وموضوع اكرامٍ واعجاب لكل من يراها · ماذا تصنعين هنا وحدك في نصف الليل · بالله كيف ان الحظ يسعفني فاننا سنقضي ليلة من احسن الليالي مختلين سوية بجانب هذه الامواج يا حبيبتي · وتقدم هذاالرجل (وهو تشارلي هارت نفسه) ووضع يده بجانبها على ذلك الدرابزين المجلد · فانتهرته ليوني قائلة : ارجع الى الوراء ولا تدنُ مني والا رميت بنفسي في هذا البحر الجائع · انك ما زلت تتعقبني وتعذبني حتى صرت افضل ان اموت ولا انظر الى وجهك الذي كدر حياتي

فكان جواب تشارلي ضحكة استهزاء ثم قال : اظن انك تأكدت انني قادر على جعلك زوجة شرعية لي حسب تلك المعاهدة التي بيني وبينك ولكن ما احلاك حينما تقفين هكذا وتتكلمين معي باحتقار واحتقارك هذا هو الذي زادني

بك هياماً وشغفاً ومكن حبك من قلبي . ومعلومٌ ان الحب يزيد عذوبة كلما زاد فيه العذاب فانت الآن زوجتي يا ليوني ومن الآن وصاعداً لا ادع احداً يفصل بيننا ولولا وجود ذلك الرجل ليلة الرقص المتنكر لكنتِ بقيتِ معي من ذلك الحين ولكنني سأريه كيف تكون افعال الرجال فانني اقسم يميناً ان كل انسان يتعرض لنا يكون مقتولا لانك انتِ لي انا · ولفظ هذه الكلمة الاخيرة بصوتٍ منخفض منتشلاً تلك الورقة الممضاة باسم ليوني فرحاً بانتصاره عليها

فاهاج منظر تلك الورقة غضب ليوني ودفعها الى المخاطرة بحياتها فوثبت عليه كاللبوءة المطفلة محاولة ان تخطف الورقة من يده لان عليها تتوقف سعادتها وهناؤها فوقف تشارلي مدهوشاً من شجاعتها وجسارتها وكانت قابضة على ذراعيه ضاغطة عليهما بقوة عظيمة وفيما هما كذلك انكسر الدرابزين وهوى تشارلي هارت عن الرصيف الى اسفل · سقط في تلك الامواج الفاغرة فاها لابتلاعه واخر ما طرق اذني ليوني صوت يقول : اه ياقاتلة · اه ياقاتلة ! وسمعت بعده اختباطاً قوياً في الماء واذ ذاك عرفت ان الامر قد قضي · عرفت ان عدوّها قد غمرته الامواج وانها اصبحت حرة · ولكنها وقفت هناك بقلب هالع وفرائص مرتعدة تنظر الى تلك الامواج الثائرة وتقول في نفسها · انني لم اكن انوي هذا الامر ولكن هكذا حكم القضاء · وقد كان واحد منا انا او هو

تحت طائلة القتل فما المانع من ان تذهب حياته بدلاً من
حياتي ولكن تلك الورقة لا تزال في يده فهل يا ترى يبقى
قابضاً عليها حين تقذفه الامواج على الشاطىء فيعلم الناس ان
ليوني واضعة اسمها على معاهدة زواج بينها وبينه وحينئذٍ تكون
هي المتهمة بقتله وبينما هي في هذه الهواجس المزعجة تنظر الى
الامواج المزبدة التي كانت بين الفترة والاخرى تظهر كأنها
انفتحت وتشارلي عائم فوقها ورافع تلك الورقة بيده حرصاً عليها
وذلك الصوت يردد من اعماق البحر آه يا قاتلة . آه يا قاتلة .
وفي هذا الوقت طرق اذنيها وقع اقدام فماذا تصنع الآن
كيف تتخفى وباي طريقة تتنحى عن ذلك المكان

الفصل الخامس والعشرون

في الصباح الذي قبل ليلة الرقص المتنكر كانت دورا جالسة
في غرفتها الخصوصية وعلى وجهها سمات البشرى والابتهاج
وبيدها ورقة تقلبها وتعيد قراءتها المرة بعد الاخرى وتتبسم ولا
عجب اذا ابتسمت لان ما كانت تحتويه تلك الورقة سبب
سرورها وهذه صورتها .

مس لانكستر

بكل سرور ابشرك ان نتيجة حيلتنا جاآت على اتم المراد فانني بعد ان كتبت الورقة بالحبر المهيأ كما افهمتني قدمتها لليوني وقلت لها انها لائحة لجمع الاحسان مساعدة لليتامى والفقراآء فبكل سهولة وضعت اسمها وفي الحال أريتها كيف انها قد امضت على عقد زواجٍ بيني وبينها

الآن قد تم الانتصار وكوردن لا يقدر ان يصل اليها مطلقاً وبالحقيقة لا يوجد اثنان تمكن منهما الحب هكذا وقضي مثل هذا التعب حتى نزع منهما رغماً وبما ان حيلتنا قد تمت اخبرك ان خمسمائة دولار هي قليلة جداً بالنسبة الى العمل الذي تمت به وهو تحويل مزاحمتك الجميلة عن طريقك فانني اريد اكثر من ذلك لان هذه الحيلة تستحق على الاقل خمسة الآف دولار ولا اقبل اقل من ذلك واذا لم يتم مرغوبي اذهب الى كوردن واعترف له بكل شيء ويلزم ان تكون الدراهم لديّ يوم الاربعاء المقبل

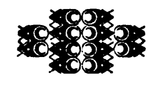
تشارلي هارت

آه ما اوقحه! صرخت دورا : كيف انه يطلب مني هذه القيمة . ولكن ماذا اصنع فيجب ان ادفعها اليه وماذا يهمني ما زالت مزاحمتي التي ابغضها من صميم قلبي قد انتقلت من طريقي واسأل الله ان يميتها كما اماتت حب كوردن لي. آه يا الهي كيف كان كوردن يحبها فانه كان يموت لاجلها ولكن

برقمة قلم بوضع اسمها على تلك الورقة المتلاعب بها خسرها الآن فهل يعلم يا ترى انني انا دبرت تلك الحيلة . نعم انني وضعت بينه وبين ليوني حجاباً متيناً ولكن هل انا قريبة منه . كلا . آه يا كوردن . آه يا كوردن ! لو كنت تعلم مقدار حبي لك لما تركتني . آه وآه فما معنى الجمال وماذا يفيد الحسن وماذا ينفع المال اذا كانت صاحبته لا تستطيع الى من تهواه سبيلاً ! فماذا تفيد هذه المزايا كلها . يا الهي ما هذا السر ! كيف ولماذا يميل الرجال اكثر الاحيان الى الصبايا ذوات العيون الكحيلة والشعر الذهبي ! فانتصبت واقفة امام المرآة تخاطب نفسها قائلة . انا اجمل منها فما الذي جعله يحبها اكثر مني ولكن لا بد ان تعود الى محبتي يا كوردن واكون زوجة لك لانك انت حبيبي الاول لا بل الشخص الوحيد الذي احببته . هل تحسب انني اطيق ان انظر تلك الفتاة العاملة الفقيرة ليوني لاك تأخذك مني . كلا ولا . ان مجرد الافتكار بهذا الامر يفقدني الرشد . انني سادفع الى تشارلي الخمسة الآف دولار مضاعفة او بالحري كل ما املكه لكي انتصر على تلك الفتاة وسأوعز الى تشارلي بان يسافر بها من هذه البلاد ويذهب الى اوربا وبذلك يضع بيني وبينها البحر العجاج واذا كان لا يسافر فانني ساقتلها او افعل ما هو شر من ذلك وهو ان اشوه محاسن وجهها بدواء سام مثلما شوهت تلك الممثلة

الشهيرة حسن مناظرتها على المرسح وهذا انتقام اشد من القتل نعم يجب ان اتمم ما نويته متدرعة الي اجرائه بمصادقة ليوني ومتى ذهب حسنها عندئذٍ يتركها كوردن لا محالة اذ لا شيء تستميله به غير جمالها وسافرغ الوسع لاحراز الفوز عليها حتى ولو اقتضى ذلك ارتكاب افظع جريمة

قالت دورا هذه العبارة الاخيرة بصوت مرتفع لشدة تأثرها وفيما هي كذلك احست بلمسة في معصمها المحاط بالاساور الذهبية فالتفتت مجفلة واذا بمسس ستورت واقفة بجانبها · فقالت لها بغضبٍ ماذا تريدين وما الذى أتى بك الى هنا ومن اي وقتٍ انت واقفة على الباب تتنصتين فماذا تريدين! ومن شدة غضبها ضربت الارض برجلها بقوة فتراجعت مسز ستورت الى الوراء مذعورة خائفة · وقالت يا سيدتي · انني طرقت الباب مرتين ولم تسمعي والذي دفعني الى ازعاجك هو طلب من مسز كارليل ان تذهبي اليها في الحال



الفصل الساس والعشرون

عندما قالت مسز ستورت ما قالت ازدادت دورا ارعاداً وازباداً وانتهرت تلك الخادمة قائلة : اخبريني اخرسك الله انني لا اصدق انكِ طرقت الباب بل انسللتِ خفية لتترصديني وتعلمي ما اقول وما افعل

وكانت دورا تتكلم ومسز ستورت صامتة انما احشاؤها كادت تتمزق من الغيظ والتأثر ولو انها ابدت اقل اعتراض لكانت نالتها اهانة الكلام ولذلك لزمت السكوت . فاردفت دورا قائلة ابقِ هنا ورتبي هذه الزهور واصلحي النار والقاعة وانا ارجع عاجلاً وهكذا تركت مسز ستورت وحدها وخرجت متوجهة نحو مسز كارليل

وبينما مسز ستورت مشتغلة بترتيب الغرفة حانت منها التفاتة الى المكتب الذي تركته دورا مفتوحاً فوقع نظرها على الورقة التي كانت دورا تقرأها

ان مسز ستورت كانت خادمة امينة ولكنها من نسل حواء وفيها مزية النساء اللواتي يحببنَ الاطلاع على الاسرار . فحين نظرت الورقة طمعت بمعرفة ما فيها وخصوصاً عندما نظرت توقيع ابن اختها تشارلي هارت عليها فتناولتها وخبأتها بين ثيابها

لتقرأها في غرفتها وأخذت ايضاً اوراقاً غيرها ومضت ساعة ونصف دون ان ترجع دورا لانكستر فاقفلت مسز ستورت باب الغرفة وذهبت الى مخدعها وحين وصولها جلست على كرسي هزّاز بجانب النار وانتشلت تلك الاوراق من جيبها وأخذت تقرأها الواحدة بعد الاخرى وعندما فرغت اخذت تناجي نفسها قائلة: اذًا انتِ هي يا دورا الفتاة الخداعة التي غدرت بكوردن وفرقت بينه وبين ليوني . آه لو كنت اعلم اين هوُ كوردن الآن لذهبت اليه واخبرته عن كل شيء او لو كنت اعلم اين هي ليوني لكنت اذهب اليها واساعدها واسهل السبيل لتلاقيهما وليس عليّ الآن الا التفتيش على ليوني في المعامل والمخازن في نيويرك كلها ولا بد من ان اجدها وسأسأل ابن اختي تشارلي ان يطلعني على كل شيء وابذل الجهد باعادة التقرب بين هذين المحبين واذ ذاك يعلم الناس اجمع ماذا فعلت تلك الفتاة الخائنة

. . . .

بينما كانت مسز ستورت في غرفتها تفتكر في ما يقتضي اجراؤهُ كانت امور ذات بال جارية في غرفة مسز كارليل التي عندما دخلت عليها دورا خاطبتها قائلة : انني اراكِ متأهبة للخروج فالى اين تريدين الذهاب . انه لا حق لي ان اسألك هذا السوءال ولكن لا اظن انكِ تستطيعين

الذهاب لان عندي حديث اريد ان احكيه لك وربما استغرق النهار كله

فاجابتها دورا : اذًا الاحسن ان تبقيه لبعد رجوعي لانني أمرت السائق ان يجهز العربة وانا ذاهبة الى النزل الذي فيه كوردن وفي نيتي ان ادعوه الى هنا للغذآء

فاجابتها مسز كارليل انني انا قد ارسلت اليه كتابًا في هذه الساعة اسأله فيه الحضور حالًا لانني اكتشفت على شيء اظن انه يحمل كوردن على تغيير تعرفه وهو عن ليوني لاك تلك الفتاة التي يحبها

فرددت دورا اسم ,, ليوني لاك '' وهي تضحك بتهكم وقالت انني على يقين من انكِ لم تكتشفي شيئًا حسنًا عنها وكانت تتكلم وقلبها يخفق خوفًا من ان يكون كوردن التقى بها وتزوجها او من ان يكون تشارلي قد خدعها

الان نترك مسز كارليل ودورا لنوضح بايجاز الاسباب الخفية لما سبق من الحوادث فقد علم القرآء انه حينما خرج كوردن من بيت والديه آلى على نفسه ان لا يرجع الا متى وجد حبيبته ليوني وصمم النية على ان يبحث عنها في كل المعامل والمحال التجارية حتى يجدها وكذلك كان فكر تشارلي هارت حينما علم انها هربت من غرفته وفيما هو ذات يوم امام مخزن ميسي وهو ذلك اليوم الذي جاءت فيه ليوني الى المخزن نظرها هناك وللحال

عرفها واستخبر السائق عنها فعلم منه ما اراد ان يعلم وذهب وقلبه يتسعر حقدًا حتى انه جدد يمينه المغلظة بانه لا بد ان يتزوجها ثم انه فعل ما تقدم الكلام عنه وذلك برأي دورا ومساعدتها ولم يكن يعلم ماذا فعلت حبيبته كيت هارتي بليوني وتلك الحادثة بقيت مستورة لان مديري شركة السكة الحديدية منعوا نشر الخبر في الجرائد فهكذا عرف تشارلي اين هي ليوني وكيف تغيرت احوالها ولم يخبر دورا عن ثروتها خوفًا من ان يتعذر عليه اتمام مقاصده لانه كان يقول لها ان ليوني موجودة عنده داخل حصن حصين وهذا الامر كان يطمئن بال دورا ولاجله كانت تدفع الى تشارلي مئات الدولارات كل اسبوع · نعود الآن الى غرفة مسز كارليل التي تركناها تخاطب دورا قائلة · ما بالكِ يا دورا تنظرين اليَّ ولا تسأليني لماذا دعوتكِ

فاجابتها دورا : انتِ ستخبرينني عن سبب هذه الدعوة ولا موجب لسوءالك

فاذًا اسمعي : قالت مسز كارليل · قد اتاني اليوم زائر وانا اراهنك على خمسة لمئة انكِ لا تقدرين ان تحزري من هو

— لا تجعليني اتشوق هكذا لانني لا اعلم من زارك اليوم من اصدقائك الكثيرين فهل كان كوردن ؟

لا لا يا عزيزتي · اجابت مسز كارليل : الم اقل لك انني ارسلت استدعيه تلغرافيًا

فاجابت دورا : لعلها زائرة وهي تلك الفتاةالتي كنا في قصتها الآن او احد من قبلها

— ظنك بعيد عن الواقع يا عزيزتي ان التي زارتني اليوم هي واحدةمن اعز صديقاتي كان بيني وبينها مودة وتزاور عندما كنت في المصيف في الصيف الفائت وكنا نلتقي مرارًا كثيرة وقد كانت في اوروبا ورجعت من مدة ثلاثة شهور واسمها مسز بارت وهي زوجة احد المحامين المشهورين في هذه المدينة

فقاطعتها دورا بمزيد القلق قائلة : وما عند هذه الصديقة من الاخبار عن تلك الفتاة الفقيرة الماهنة التي جاءت مرة الى هنا لتوقع كوردن في شرك الهوى . فاجابتها مسز كارليل قائلة : مهلاً ايتها الآنسة لا تتسرعي بكلامك فان ليوني لم تعد تلك العاملة الفقيرة كما كانت قبلاً وانا الآن متأسفة جدًا لكوني عارضت كوردن بشأنها وهي الآن وارثة الملايين من الدولارات . أليس هذا الخبر مما يستدعي الاستغراب

فقهقهت دورا ضاحكة من هذه الرواية حتى انها بقيت نحو دقيقة لا تقدر ان تتكلم من اندفاع تلك الضحكة — ضحكة الخوف والقلق . ضحكة الحسد والغيرة واخيرًا قالت: انني لا اصدق هذا الخبر ولا اصدق قول مسز بارت وما هذا الا حيلة من تلك الفتاة او — او مكيدة منها

فاجابتها مسز كارليل بكل ترو ٍ قائلة : ان هذا هو الواقع يامس لانكستر فان قصة تلك الفتاة لو عرف بها احد المؤلفين لكان ينشيء عليها رواية يجمع بها المال الكثير . ولا اظن ان مسز بارت غلطانة لانني نظرت صورة ليوني في حرز ٍ من ذهب معلق بعنقها وحينما نظرت الصورة عرفتها حالاً

فانتصبت دورا على قدميها بحدة والعرق يتصبب من جبينها من شدة الغيظ وقالت ان ذلك كذب وبهتان لان ليوني ليست قاطنة مع مسز بارت في شارع لكسنتن بل هي ساكنة هنا في بروكلن وقد صارت زوجة لذلك المدير تشارلي هارت الذي كان في المعمل عندنا سابقاً وانت ِ مع ذلك تقولين انها وارثة فانا اتعجب من تصديقك ِ هذا الكلام ولكنني سأبين لك ِ السبب الذي من أجله وافوك بهذا الخبر وهو ان تلك الفتاة لا بد من ان تكون اشتكت على كوردن بانه عاهدها على الزواج والمستر بارت هو محاميها وقد ارسل امرأته كجاسوس ٍ لتستطلع افكارك ِ بشأن ليوني وكانت تتكلم وجسمها يضطرب بجملته والغضب ظاهر في عينيها

فاجابتها مسز كارليل قائلة : انني اتعجب منك ِ ياعزيزتي دورا كيف انك ِ تتكلمين دون تبصر . ألا تعلمين ان المحامين لا يرضون بان تتداخل نساؤهم في شؤونهم فبالله عليك ِ اخبريني من هو الذي قال لك ِ ان ليوني قد تزوجت مستر تشارلي هارت

— مستر هارت نفسه قال لي او بالحري كتب الي في هذا النهار واخبرني وما أتمت هذه العبارة حتى نظرت وجه مسز كارليل قد اصفر وبدت عليه علائم الكدر فانتبهت اذ ذاك دورا لهفوتها ٠

— الفصل السابع والعشرون —

تنبهت دورا لغلطتها حالاً لما ظهر لها من تغير هيئة مسز كارليل التي نهضت واقفة بحدة وقالت : هل حقيقة ما سمعت ٠ هل قلت ان بينك وبين احد مستخدمينا المطرودين تراسلاً ومكاتبة

ولكن دورا لم تكن لتعجز عن التخلص من هذه السقطة فاستدركت الامر حالاً قائلة : نعم انك سمعت تماماً وقد قلت لك انه كتب الي في هذا النهار ولكن سبب كتابته هو ان ذلك المخلوق الوسخ يطلب توسطي لدى المستر كارليل في شأن ارجاعه الى العمل ومن جملة ما ذكره انه تزوج ليوني لاك ولذلك يطلب عملاً يستطيع بواسطته ان يحصل معاشه ومعاش زوجته فاما انا فقد طرحت الكتاب في النار ولولا ذلك الخبر الذي رويته لي لما كان خطر ببالي على الاطلاق وخلاصة الكلام

الان ان كل هذه الاخبار عن ليوني ليست الا اختلاقاً.

فاجابتها مسز كارليل انني صرت في حيرة من الامر ولا اظن ان مسز بارت تخدعني والمرجح عندي هو ان المستر هارت هو الكاذب وسانظر مسز بارت في هذا الاسبوع في حفلة الرقص التي دعتنا اليها وسنلتقي ايضا بليوني لاك في تلك الليلة لان الحفلة هي لاجلها وباسمها وعندئذ نعلم اين هو الاختلاق وكوردن سيكون هناك ايضاً لانه مدعوّ دعوة خصوصية.

كان الناظر الى دورا في ذلك الوقت يخال له انها سكرى او مجذوبة لانها كانت واقفة مسلوبة الافكار تشعر كأن الغرفة تدور بها وهي تقول في نفسها: كوردن سيكون هناك بدعوة خصوصية وليوني لاك ستقابله ايضاً. ياترى هل تشارلي خدعني! ثم التفتت الى مسز كارليل وقالت. انا ذاهبة الان ياسيدتي وساخبرك عما اذا كنت اذهب الى الرقص ام لا. فاجابتها مسز كارليل: اذهبي بأمان الله واعلميني الليلة او غدا باكرًا لاكون على بصيرة.

فانصرفت دورا توًا وبعد ان وضعت قبعتها على رأسها خرجت بعجلة وركبت العربة التي كانت تنتظرها امام الباب مصممة النية على مقابلة تشارلي هارت لتستجلي حقيقة الواقع وقد اشارت الى السائق بالاسراع الكلي وعندما وصلت العربة الى المكان المعين اجتمع حولها جماهير من الناس لان تلك الناحية

منفردة قلما ترى فيها العربات فترجلت دورا وقرعت جرس الباب ففتحت لها زنجية سوداء وقفت متعجبة من ملابس دورا وهيئتها الشريفة مندهلة من مجيء هذه الحسناء الى تلك الناحية من المدينة ثم سألتها قائلة: ماذا تريدين ياسيدتي فقالت دورا اريد ان ارى المستر تشارلي هارت دقيقة اذا كان هنا فاجابتها الخادمة: انه ليس هنا الآن وليس لرجوعه وقت معين لانه غني الآن و يأتي وقت ما يريد.

فقالت لها دورا لعلك انتِ تقدرين على افادتي عما اريد معرفته ولك مني جزاء حسن اذا تمكنتِ

فاجابت الخادمة انني ياسيدتي خادمة امينة فاذا كان ما تطلبينه غير مضرّ اخدمكِ بما اقدر عليه. اتريدين ان تدخلي الى الغرفة وتستريحي

فاجابتها دورا. لا. جزاكِ الله خيرًا. اخبريني هل انتِ تقيمين هنا دائماً.

لا ياسيدتي ان هذا البيت هو مركز جمعية وانا ارتبه في النهار فقط اما تشارلي فله غرفة خصوصية هنا ينام فيها لانه رئيس الجمعية فاخذت دورا عندئذٍ من جيبها ورقة بخمسة ريالات وناولتها للخادمة قائلة. اريد ان اسألك سؤالاً واحدًا وهو. هل تشارلي حاجز على فتاة في احدى غرف هذا البيت. فاذا اخبرتني الحقيقة فانك تنزلين عن قلبي حملاً ثقيلاً.

فاجابتها الخادمة٠لا اظن انه يوجد صبية هنا ياسيدتي لانني كل يوم اتعهد جميع الغرف وارتبها ولست ارى فيها احداً مطلقاً واذا كنتِ لا تصدقين كلامي عليكِ بتفتيش المكان غرفة غرفة٠ فقبلت دورا بذلك واستفتحت كل الغرف حتى غرفة تشارلي الخصوصية ايضاً فلم تجد شيئاً يدل على وجود امرأة هناك فانصرفت اخيراً مشوشة الافكار وعادت الى عربتها وهي تسأل نفسها قائلة: هل تشارلي خدعني٠بما فعل ليأخذ مني مالاً فقط ٠ فما العمل الآن٠انني اذا طلبت مرافعته اخشى الفضيحة والعار و ياترى هل ان ما قالته مسز بارت عن ليوني هو صحيح ام لا فلا بد من ان اقف على حقائق هذه الامور قبل فجر الغد وهكذا بعد اجتياز الجسر أمرت السائق بان يذهب الى لكسنتن افنيو بدلاً من الافنيو الخامس ٠

— الفصل الثامن والعشرون —

اوعزت دورا الى السائق بان يتوجه الى لكسنتن افنيو واخذت تفتكر في نفسها قائلة : اريد ان اتأكد ما قالته مسز بارت واذا كانت تلك الفتاة ليوني لاك اصبحت وارثة كما تقول فسيكون بيني و بينها عراك عنيف في حب كوردن وقد كان يحبها وهي ماهنة فقيرة فكيف به الان وقد صارت ذات ثروة وهذه والدته

تلك التي قالت مرة انه احب اليها ان ترى كوردن ميتا من ان تراه يتزوج تلك الفتاة هي الآن نادمة على ما سبق وفيما هي غارقة في هذه الافكار مرت العربة بجانب احدى مطابع الجرائد في برك رو فاشارت الى السائق بان يقف وعرض لها فكر عندما نظرت المطبعة فطلبت من احد المستخدمين عدداً سابقاً من الجريدة عينت له تاريخ صدوره فاخذته ورجعت الى عربتها قائلة للسائق : خذني الى صيدلية قريبة من هنا . وفي اثناء ذلك كانت دورا تقلب الجريدة باحثة عن اسم ذلك الدواء الذي شوه جمال تلك الممثلة الشهيرة واخيرا عثرت عليه وكان السائق اوقف العربة تجاه احدى الصيدليات فدخلت دورا تتمايل امام شاب كان واقفاً هناك وكانت الساعة الثانية عشر اي وقت الغذاء وليس في المكان غير ذلك المستخدم فالتمست منه الدواء ولكنها بغتت عندما رفض الصيدلي ان يعطيها اياه بدون رخصة من الطبيب فوقفت تفتكر في امرها واخيرا قالت في نفسها : لابد من الحصول على هذا الدواء ولو مهما كان ثمنه ولا يهمني شيء ابدا ثم التفتت الى ذلك الشاب قائلة : انني اراك شابا جميلاً ولطيف المعشر الا تصنع معي معروفا وتعطيني الدواء المطلوب فانني محتاجة اليه لاجل صورة عندي اريد ان امحو الوجه منها .

فاجابها ذلك الشاب متنهداً : ليت هذه الصيدلية هي لي ياسيدتي لاجعلها كلها على حسابك ولكن صاحبها لا يأذن لي

بان ابيع دواآء مثل هذا الا برخصة من الطبيب

فاجابته دورا : انني محتاجة الى الدواآء اليوم وانا مسافرة الى الخارج ولا فرصة لي للذهاب الى الطبيب لانه بعيد من هنا كثيرًا . وكانت واقفة بجانبه تبتسم له وتتمايل وتغمزه بطرف عينيها واضعة يدها على يده قائلة : اصنع معي هذا المعروف وانا لا اخبر احدًا وساسمح لك بقبلة جزاآء هذه الخدمة .

من الامور المعلومة ان الشاب مهما يكن حريصاً على واجباته لا يسعه الا الانقياد لفتاة جميلة تتذرع بدلالها الى مأربها وهكذا ذلك الصيدلي المسكين اذعن لسلطان الغنج واعطاها الدواآء الذي طلبته قائلاً لها : اؤمل ان تسمحي لي باسمك وعنوانك ياسيدتي .

فاجابته دورا الى التماسه بيشاشة ورضى ولكن فكرًا خبيثا جاآءها حالا فقالت : اسمي ليوني لاك ومنزلي في عدد كذا لكسنتن افنيو ثم خرجت مستعجلة لخوفها من ان يدركها صاحب الصيدلية ويسترجع منها الدواآء وركبت عربتها موعزة الى السائق بان يذهب توًا الى لكسنتن افنيو .

وحينما وصلت العربة الى المكان المقصود في لكسنتن افنيو نزلت دورا وقرعت الباب مفتكرة كيف انها ستبيت تلك الليلة هناك لتطرق غرفة ليوني وكانت تقول في نفسها باستبشار : ان ان جمالك ياليوني سيكون هذا اليوم آخر اوانه وغدًا باكرًا

تظهرين بغير صورتك الحاضرة وانت التي جلبت على نفسك الوبال بانتزاعك حبيبي مني و بعد قليل فتحت الباب احدى الخادمات فناولتها دورا بطاقتها ودخلت لتنظر مسز بارت في قاعة اللبس

— الفصل التاسع والعشرون —

الآن نرجع الى سياق الكلام عن ليوني التي تركناها واقفة بجانب ذلك الدرابزين المكسر على شاطئ البحر في منهاتن بيتش تنظر الى اليمّ المردّد صدى هذه الكلمة ,, آه ياقاتلة . آه ياقاتلة! '' وكان وقع قدمي القادم يقوى شيئاً فشيئاً حتى صارت تسمعه بكل وضوح. فما العمل الآن. قالت في نفسها. لا احد يقدر على تخليص تشارلي لانه اصبح في قعر البحر ولا يستطيع احد ان يتهمني بقتله فانا اذاً حرة لحبيبي كوردن . بهذه الآمال كانت ليوني واقفة تعلل نفسها في موقفها المخيف

. . . .

بعد بضع ساعات دخلت الخادمة غرفة ليوني في لكسنتون افنيو لتصلح النار فتعثرت بشبح مطروح هناك وملفوف بثوب

اسود وللحال انارت المصباح لترى من هو هذا الشخص الملقى على السجاد في تلك الغرفة وما كاد النور يسطع حتى صرخت: آه يا الهي! وترامت بجانب ذلك الشخص المطروح هناك تنزع عنه ذلك الثوب الاسود وتردد قائلة: ربي ما هذا! انها سيدتي ليوني. ثم حملتها بين ذراعيها ووضعتها على سريرها المذهب فوق ذلك الفراش الوثير الابيض ونزعت ثيابها التي كان يقطر منها الماء مخاطبة اياها وهي غارقة في نومها قائلة: اين كنت ياحبيبتي. افتحي شفتيك وعينيك واخبريني فانا اخدمك وحدي ولا ادع احداً يعلم بك ابداً واذ ذاك فتحت ليوني عينيها ووثبت عن السرير بسرعة وجثت امام قدمي خادمتها قائلة. ليس هذا ما كنت اقصد. ليس هذا ما كنت اريد! يجب ان تخفيني ياإيمي. اخفيني في مكان لا يراني فيه احد غيرك واذا كنت ترفضين طلبي فانني انطرح عند قدميك واموت. فقالت ايمي بتأثر شديد. آه مسكينة انت ماذا اصابك حتى صرت كأنك مختلة الشعور فما بالك ياسيدتي. ياحبيبتي. ثم حملتها على ذراعيها ووضعتها ثانية على ذلك السرير. فنظرت اليها ليوني نظرة ظلت مطبوعة على قلبها طول حياتها وقالت. ياايمي انني لست مختلة الشعور ولكنني تعبة جداً فاجلسي بجانبي هنا فانني اريد ان اكون منفردة واخبريني هل جاء استاذي بولس الى هنا وماذا قال

فاجابتها ايمي ـ انه لم يأتِ بل ارسل واعلمنا انه مضطر الى التغيب كل هذا الاسبوع

فخرج من بين شفتي ليوني تنهد عميق اخرج معه بعض ما كان متلبداً في صدرها من غيوم الحسرة والاضطراب

وكانت ايمي تقول في نفسها ـ انني لا استطيع ان اسلم اليها ذلك الكتاب الذي ارسله الاستاذ راكسفورد ولا ان اخبرها عنه الآن بل ابقيه الى الاربعاء القادم لان الاستاذ يقول في كتابه اليَّ انه لا يجب ان اسلمه اليها الا في ذلك اليوم عند الساعه الثانية عشرة · ثم التفتت الى ليوني قائلة ـ ان مسز برت كانت تعد الزائرين جميعهم بمجيئك اليوم وها قد اتيت ولكنك لا تقدرين ان تنظري احداً وانت في هذه الحالة والاحسن ان يرجأ الموعد الى الغد ولكن يوجد فتاة هنا قالت انها لا تذهب قبل ان تراك ولو بقيت منتظرة سنة كاملة وارجوك ان تنامي الآن قليلاً ياحبيبتي ومتى استفقت اخبرك كل شيء ثم جلست بجانبها وبقيت تراقبها حتى اغمضت عينيها واستولى عليها الرقاد فاخذت ايمي تهتم باصلاح النار وكانت على وشك الخروج عندما رأت البـاب قد انفتح وظهرت منه فتاة طويلة القامة مرتدية ثوباً يحاكي الليل سوادا فاختبأت ايمي وراء السرير لترى ما يكون

دخلت تلك الفتاة وهي دورا لانكستر ووقفت في

وسط الغرفة واجالت نظرها خوفاً من ان يراها احد وكان النور في الغرفة ضئيلاً جداً لان الخادمة كانت خففته لتنام ليوني براحة ثم تقدمت نحو السرير وتأملت في النائم وللحال عرفت ليوني فقالت في نفسها . ها انني باغتّ العصفور في القفص الآن فلاقتلنها واكفي شرّها ولكن لا . بل انتقم منها انتقاماً أمرّ من الموت وهو تشويه جمالها فكما انها خسرتني كوردن لا بد من ان اخسرها لذة الدنيا . ثم انتشلت قنينة الدواء من جيبها وفتحتها قائلة بصوت خفي . ياليوني . الحب والحسد قد اجتمعا فلا يقدر احد على فصلهما الا بقهر معاندهما فخذي هذا جزاء حبك لكوردن الذي اخترته وانت لا تعلمين ان دون الوصول اليه الهلاك المحتوم قالت هذا واهرقت الدواء على وجه النائمة الذى كان ينير في الظلام كالقمر في تمامه وكأن القدر كان على ليوني في تلك الساعة رقيبا فانها في تلك اللحظة حولت رأسها الى المخدة الثانية وهي غير واعية على شيء من السائل السام وحينما نظرت دورا ذلك هجمت بحنق قائلة : انك لا تقدرين ان تغلبيني هكذا ياليوني فانك لا بدّ ان تصبحي مشوهة المنظر ورفعت المخدة وحاولت ان تمسح وجه ليوني بما علق عليها من السائل ولكن يداً قوية قبضت عليها ودفعتها الى جانب وايمي تلك الخادمة الامينة وقفت بينها وبين سيدتها

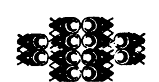
فاستفاقت ليوني من الجلبة التي حصلت وتنهدت قائلة : انهم أتوا ليأخذوني . انهم أتوا ليأخذوني . لانها نظرت ذينك الشخصين يتجاولان في الغرفة في ذلك النور الضعيف وكان يخيل لها ان واحدًا منهما هو تشارلي هارت وقد أتى والورقة بيده وهو يصرخ . آه ياقاتلة! ولكنها حسبت نفسها فريسة لبعض الاحلام المرعبة فعادت الى نومها ثانية وكانت ايمي قد خفت الى الضوء فقوته ثم وقفت امام دورا متفرسة فيها

فلم تعدم دورا حيلة في هذا الموقف فوضعت يدها على رأسها قائلة : انني في بيت بعض الناس — ارجوك ان تسامحيني . اخبريني اين انا . انني كنت نائمة ومن عادتي ان تحصل لي هذه العوارض في نومي

فاجابتها ايمي : انني سمعت ان كثيرين ينهضون ويمشون وهم في نومهم ولكن لم اسمع قط ان احدًا يمشي في نومه ويفعل ما كنت تحاولين اجراءه في هذه الليلة

فاجابتها دورا مظهرة التعجب : وما الذي كنت افعله

فتقدمت اليها ايمي وقالت همسًا — اخبرك عما كنت تفعلين — انك حاولت ان تقتلي ليوني لاك



— الفصل الثلاثون —

فصرخت دورا وهي تكاد تتميز من الغيظ قائلة ـ ماذا تقولين ايتها المخلوقة الوقحة · ماذا تقولين · انك كاذبة وضميرك يشهد

فاجابتها ايمي بتهكم : انني لست كاذبة يامس لانكستر بل ما قلته هو حقيقة الواقع · انك حاولت ان تقتلي ليوني بالسائل السام الذي كان مخبوءًا في جيبك

فقالت دورا وقد تزايد غضبها · هل تعلمين ما يكون عقابك على هذا الكلام وهذه الاهانة

فقالت ايمي ببرودة ـ انا لا يهمني شيء في العالم ما زلت اعلم انني صادقة فقد رأيتك بعيني تحاولين اذية ليوني او بالحري قتلها

فاجابتها دورا وهي تتمهل بكلامها ـ ارى ان لا سبيل الى اقناعك وانا أعد نفسي صديقة لك ويظهر انك انت بالعكس · كأنك لا تعلمين كم أعزّك ولكي اؤكد لك ذلك خذي هذا الخاتم تذكارًا مني · واخرجت من اصبعها خاتمًا من الالماس ودفعته اليها قائلة خذيه تذكارا مني ولا تخبري

احدًا انني وهبتك اياه لانني لا احب ان يعرف احد بانني امشي في نومي فهل تتعهدين لي الآن بكتمان هذا الامر ٠ وكانت واقفة تنظر الى ايمي وتنتظر منها الجواب بفروغ صبر

وحينما نظرت ايمي الى خاتم الالماس الذي كان يتلألأ كالقبسة في الظلمة طمعت في الحصول عليه رغمًا عن محبتها لسيدتها ليوني فوقفت برهة تتأمل في ذلك الخاتم ثم انها رفعت رأسها قائلة ٠ انني اعاهدك على كتمان هذه المسألة

فاجابتها دورا وهي تلملم أذيالها عن الارض ٠ إذَن انا ذاهبة عنك الآن ولكنها عندما وصلت الى الباب خطر في بالها فكر جديد وقالت في نفسها ان هذه الفتاة تعرف امورًا كثيرة فيجب ان احوّلها من طريقي ليخلو لي الجوّ فوقفت تجاه الباب خارج الغرفة واومأت الى ايمي وحينما تقدمت اليها قالت لها ٠ اريد ان احادثك بشأن بعض الامور المهمة ٠ فهل تقدرِين ان توافيني غدًا باكرًا الى منزلي في بروكلين

فاجابتها ايمي ٠ لا مانع لديّ اذا سمحت لي ليوني

فقالت دورا همسًا ٠ لا٠لا٠ لا يجب ان تخبريها عن ذلك بل تعالي بنفسك ولا خوف من ان تضلي الطريق فان المنزل منفرد عن المدينة بجانب النهر الشرقي فهل تؤكدين لي انك تذهبين

كان الالماس قد بهر عينيّ ايمي حتى انها ضعفت عن

كل معارضة فوعدتها بان تذهب اليها

وبعد ذلك انصرفت دورا مسرعة الى غرفتها وانطرحت على كرسي هناك واخذت تبكي من الفشل والخذلان

ثم وقفت تتمشي في الغرفة بغضب واضطراب حتى انها مزقت المنديل الذي كان في يدها خمسين نتفة وكانت تقول في نفسها . ان السعد يخدمها ولكن أؤمل انني لا افشل في المرة الثانية ولكن ما العمل وكيف يمكن الحصول على ذلك الدواء ثانية الا انها اطمأنت من هذا القبيل لاتكالها على ذلك الشاب الذي اشترته منه ثم جلست على الكرسي تفتكر في مكيدة اخرى لبلوغ مرامها من ليوني

. . . .

في صباح اليوم الثاني اشرقت الشمس على غرفة ليوني التي عندما فتحت عينيها لم تنظر غير خادمتها ايمي تنتقل في الغرفة وترتبها وكانت كأنها في البحران وافكارها تعود بها الى ما حدث لها مع تشارلي وهذه العبارة ,, آه ياقاتلة!‘‘ كانت ترن في اذنيها حتى انها لم تتمالك من الصراخ مما تؤلمها تلك التخيلات المرعبة وعندما اقتربت ايمي منها خاطبتها قائلة . ياايمي . ما هذه الجريدة التي هي على الطاولة هل هي جريدة الصباح . فاجابتها ايمي نعم ياسيدتي . قالت اذن ناوليني اياها لاقرأها . فاطاعت ايمي الاشارة ولكن أني

لليوني استطاعة القراآءة وهي على ما هي عليه من الارتباك
فلحظت منها ايمي ذلك فقالت : اعطيني الجريدة ياسيدتي
وانا اقرأ لك وسأحضر لك ثوبك الازرق الظريف وحذاءك
الخفيف وتجلسين على هذا الكرسي الهزّاز بجانب النار وعندئذٍ
تروق افكارك وتصغين للقراآءة و بعد ان تمّ كل ذلك جلست
ليوني بجانب الخادمة وقالت لها اقرأي الاخبار المحلية اولاً
يا ايمي ٠ وكانت تقول في نفسها : لا بدّ ان يكون خبر غرق
تشارلي مذكورًا في الجريدة ٠ فاخذت ايمي تقرأ لها حتى
وصلت الى خبر هذا عنوانه

« رجل غريق »

,, وجدت في هذا الصباح على شاطىء البحر بالقرب
من منهاتن بيتش جثة رجل غير معروف و بيده ورقة تعذرت
قراءتها لان الماء المالح قد محا الكتابة الا انّ الحكومة
اخذتها لتفحصها بالنظارة المكبره ''

وما كادت ايمي تتمّ قراءة القطعة حتى اصبحت ليوني
كالمائتة وتراخت على الكرسي غائبة عن الرشد ولم تستفق
من اغمائها الا بعد ان استعملت لها ايمي كل الوسائط اللازمة
ثم احضرت لها شيئًا من الطعام لتنعش جسمها ولكن لم تكن
لها قابلية للاكل فدفعت ما قدم اليها جانبًا واخذت تفتكر

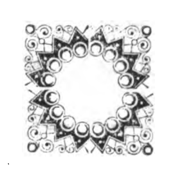
قائلة : ياالهي ان مصيبتي الآن هي اعظم · ففي الاول كان تشارلي وحده عارفًا بالقصة اما الآن فسيعلم الناس كلهم· نعم انني صرت حرّة الآن ولكن الملائكة هم ضدي وامواج البحر تريد ان تأخذ مني بالثأر · وبقيت ليوني في هذه التصورات برهة حتى كأنها كانت مصابة بدوار شديد وكان فكرها وهي في هذه الحالة يحوم حول بولس راكسفورد وكثيرًا ما افتكرت بان تذهب اليه وتستشيره في امرها واخيرًا اقتنعت بذلك قائلة : نعم اذهب اليه واذا لم اجده هذه المرّة فسأذهب الى كوردن فانه كان شفوقًا عليّ عندما كنت فقيرة ولعله يشفق عليّ الآن وكانت تناجي قلبها قائلة : لماذا كلما وقعت في مشكل يأخذك الميل الى كوردن او بولس راكسفورد فهل يوجد قوة مغنطيسية تجذبك نحوهما ايها القلب !

اما ايمي التي كانت جالسة بجانبها تتأمل في وجهها الملائكي كانت تقول في نفسها ـ ان تلك الفتاة دورا لانكستر كانت مصممة النية على اهلاك ليوني وانا حفظًا لمقامي وشرفي وابتعادا عن الجريمة سأرجع اليها الخاتم لانه ثقيل عليّ ولو كان جميلا · ولكن ما العمل فانني قد عاهدتها على كتمان السرّ واذا نكثت بوعدي اكون خائنة ايضًا انما لديّ طريقة اخرى وهي ان لا افضح الامر ولا ارد الخاتم بل اخفر ليوني بنفسي واحرس باب غرفتها ليلاً ونهارًا لان تلك الفتاة دورا هي بالحقيقة

شقية وتلك الحيلة التي ابتدعتها لم تنطلِ عليّ وبينما كانت تتنازعها هذه الافكار وليوني غافلة لا تبدي حركة بل كل واحدة منهما غارقة في بحر من التصورات نبههما حفيف الحرير على ذلك السجاد العجمي وباقل من لحظة كانت ذراعا دورا حول عنق ليوني واخذت تقبلها هاتفة

اه ياعزيزتي . انني قد اجتمعت بك بعد العناء الشديد فانا اهنئك بحظك الكبير الذي جعلك اغنى فتاة في نيويرك وقد كنت مراراً كثيرة اسأل كوردن ان يسمح لي بزيارتك فلم يفعل الا نهار البارحة

فافتكرت ليوني اذ ذاك في قوة مفعول الذهب وعاد الى تصورها ذكر ما حدث وتذكرت كيف ان دورا طردتها عندما كانت فقيرة وهي الآن آتية تبتغي مصادقتها وكانت تقول في نفسها ما لي ولها فان في قلبي وخزاً من مجرد الافتكار فيها وفي ضميري صوتاً ينبهني الى انها سبب عذابي وشقائي ولكن لا بأس اذا رضيت بمصادقتها اكراماً لكوردن فقط



الفصل الحادي والثلاثون

فقالت ليوني لدورا — انا اكون سعيدة اذا عددتك صديقة لي لانني كنت احسب انك لا تحبينني

فصرخت دورا . ولماذا ! هل لحصول تلك المغازلة بينك وبين كوردن فذلك لا يمكن ان يسبب العداوة بيننا لانني اعلم جيداً انك ما كنت تحبينه وهو ايضاً لم يكن مغرماً بك

فسمعت ليوني هذا الجواب دون ان تنبس ببنت شفة بل استشارت فكرها في هل يحسن ان تصرح لدورا بما في قلبها من الحب لكوردن فلم تستحسن ذلك ووقفت على قدميها باسطة يدها لتصافح دورا قائلة — انني اكون صديقتك يامس لانكستر ولكن ارجوك ان لا تسأليني ان أزورك لانني لا استطيع ذلك

فاجابتها دورا — انني حزينة جداً لامتناعك عن زيارتي وقد كنت أملت انك تكونين اشبينتي لانني بعد قليل اصير زوجة كوردن . ولحظت دورا كيف ان هذا الكلام ظهر تأثيره على وجه ليوني فتابعت حديثها وهي تتبسم قائلة . على ظني انك انت ستكونين الثانية بعدي اذ على ما عرفت ان كثيرين من الشبان يتمنون الحصول على يدك

فاجابتها ليوني بصوت متقطع من التأثر قائلة · كيف عرفت انني هنا · ألم يعلم بي ايضاً المستر كارليل ـ وامرأته ـ وولدهما ـ هل هم ـ يعلمون ايضاً

فقالت دورا · نعم انهم عرفوا كل شيء ولكن ارجوك ان لا تؤاخذيني اذا صرحت بشيء وهو مهما تكوني بلغت من الثروة والغنى فذلك لا يغير اعتقاد المستر كارليل وامرأته وولدهما بانك كنت فقيرة ماهنة ولا ينسيهم كيفية حالتك الماضية

وما أكملت دورا هذه العبارة الاخيرة حتى امتقع وجه ليوني وكانت دورا تنظر اليها بعينين تعوّدتا التظاهر بالاخلاص والصدق وقد علمت ان كلامها وقع على قلب ليوني وقوع السهم

فالتفتت ليوني اليها قائلة · انك تعلمين كل هذه الاشياء ومع ذلك تدعينني لان اكون اشبينة لك فقولي للمستر كارليل وامرأته — وحاولت ان تلفظ كلمة — ولدهما — ولكن لسانها لم يطاوعها فاردفت قائلة قولي لهم انني لا اذهب الى منزلهم طول حياتي

ولما علمت دورا ان كلامها وصل الى حده غيرت مجرى الحديث قائلة · هل نظرت كوردن مؤخراً

فاجابتها ليوني · لا · وكانت تتجلد في اخفاء الانفعال الداخلي ولكنها لم تقدر على ذلك لان هيئتها كانت تدل

دورا على تلك الغيرة المضطرمة فى قلبها

فاذًا . اجابت دورا : هل ترافقيني اليوم فانا ذاهبة لانظر رسم كوردن عند المصور وقد اوصيت عليه لاهديه الى والديه يوم تذكار مولده فاذهبي معي لننظره ونري اذا كان متقنًا واذا فعلت تكونين ساعدتني مساعدة تستوجب الشكر

شعرت ليوني بغتة بشوق الى اجابة الدعوة وناجاها صوت الضمير قائلاً : اذهبي وانظري رسم ذلك الرجل الذي تهوينه من صميم فؤادك . ذلك الرجل الذي احببته واضاع حبك . ذلك الرجل الذي كنت تنظرين الى عينيه بانعطاف قائلة لنفسك : انني اهواه وهو صادق وامين . فاذهبي وانظري الى رسمه مرة اخرى وودعي تلك الصورة الوداع الاخير — تلك الصورة التي احببت صاحبها حبا لا يفوقه حب وهو اعرض عنك لانك كنت فقيرة عاملة . اذهبي اليه وقبلي رسمه لعل تلك القبلة تطيل حياتك . وعلى هذه النية التفتت الى دورا وقالت : انني اذهب معك يامس لانكستر . وعند ذلك ظهرت على وجه دورا علامات السرور والاستبشار . فياللعجب كيف ان هاتين الاثنتين كانتا تحبان شخصاً واحداً حبًا قاتلاً لا بد ان يكون بلية لاحداهما

لم تمض ساعة من الزمن حتى كانت عربة صغيرة تنتظرهما امام الدار فخرجت دورا وليوني وركبتا معينتين للسائق

الوجهة الواجب اتخاذها وما بعدت العربة قليلاحتى قالت دورا بعد ان نظرت الى ساعتها : على ظني اننـا مبكرتان في الذهاب الى هناك والاحسن ان نصرف قدر ساعة في بعض الاماكن فدعينا نذهب الى مطعم الافنيو الخامس ونتناول قليلاً من الغذاء حتى يكون أتى الوقت المعين

الجواب كاد يخرج من بين شفتي ليوني ولكنها لم تلفظه لانها في تلك اللمحة لحظت وجهاً في عربة مرت بجانب عربتهما فاقشعرّ بدنها من نظره وقالت في نفسها : ياالله من هذا الذي نظرته ! هل ان امواج البحر تقذف غرقاها احياء الى الشواطىء . هل هذا الرجل هو ذلك الذى طرحته في قعر البحار . هل انه اذا رآني يهتف في وسط الشارع ,, آه ياقاتلة !" فما العمل الآن فالاحسن لي ان اذهب الى مستودع الجثث لاجل التأكيد.

فاوقفت ليوني العربة وقالت لدورا : انني اقابلك في قاعة المصور بعد ساعة لانني نسيت شيئاً لا غنى لي عنه وانا اركب عربة من هنا واذهب وحدي وهكذا ركبت عربة واشارت الى السائق بان يذهب بها الى معرض الجثث العمومي وعندما وصلت الى هناك دخلت وقلبها يرتعش واخذت تنظر الى جثث الموتى المعروضة هناك ليأتي اهلوهم ويعرفوهم فمن أمّ تفتش عن ابن مفقود وزوجة تطلب زوجا فقيدا واخت تبحث عن اخ

لها وهلم جرًا فارتعدت ليوني من هول المشهد وتراجعت الى الوراء ثم اخذت تلاحظ تلك الوجوه المائتة وعلى غير انتباه خرجت من فيها بصوت مسموع هذه العبارة · ياترى هل تشارلي موجود بينهم

وما كادت تتم عبارتها حتى سمعت صوتًا من جانبها وضحكة ظل صداها يرن في اذنيها طول حياتها فالتفتت ولم تنظر غير وجه عدوها المبعوث تشارلي هارت وكان يبتسم بغضب وخبث قائلاً

انك انت طرحتني في البحر لتتخلصى مني ولكنني لست ممن تبتلعهم الامواج بسهولة وخبرتي بفن السباحة انقذتني من الموت وقد رجعت الآن لآخذبالثأر مضاعفًا ولم اكن احسب انك خطرة الى هذا الحد لتهلكي نفسًا يا ايتها العصفورة الجميلة

نعم ان ليوني شكرت ربها لانه قشع عن رأسها غيوم الافتكار بجريمة القتل ولكنها افتكرت ايضًا بانه سيعلن للناس ما فعلت والحكومة ستعاقبها على هذه الجناية الفظيعة ونظرت الى وجهه فارتعدت فرائصها واخذ قلبها يخفق خوفًا ورعبة وفيما هي على تلك الحالة لا تقدر ان تتفوه بكلمة اذ انفتح الباب الذي كان بجانبها فاستغنمت الفرصة ووثبت الى الخارج تاركة تشارلي واقفًا في مكانه وقد تعجبت من كونه لم يتبعها هذه المرة ولكنها قدرت ان سبب ذلك هو عزمه على اقامة

دعوى عليها وتصورت انها في الغد ستكون واقفة في المحكمة ويشتهر امرها بين الناس فتألمت من هذا التصور ورفعت عينيها نحو السماء قائلة ·

ياالهي ساعدني ياملائكة ارحموني

الفصل الثاني والثلاثون

مضت الساعة وليوني جالسة في قاعة المصوّر دون ان تأتي دورا اخيرًا ذهبت الى المصور وقالت له : انني كنت منتظرة مس لانكستر وما اتت· ألاتسمح لي بان انظر رسم المستر كارليل ولك الفضل الجزيل

فاجاب المصور : ان مس لانكستر لم تأتِ في هذا النهار الى هنا واما السماح لك بان تنظري رسم المستر كارليل فهذا امر غير جائز عندنا ولكن اكراماً لك اريك الرسم فاتبعيني ثم قادها الى قاعة مفروشة بالسجاد العجمي والرسم الذي لم يكن اكتمل بعد كان موضوعاً هناك وكان الناظر اليه يظنه لاول وهلة كوردن نفسه لكمال اتقانه فاعتذر المصور الى ليوني وانصرف على ان يعود بعد دقائق قليلة وبقيت هي وحدها في تلك الغرفة تحدق النظر في ذلك الرسم ولو كان احد يراقبها في ذلك الوقت لكان نظر كيف انها انطرحت جاثية امامه

واضعة خديها الملتهبين على وجه ذلك الرسم العديم الشعور ودموعها تذرف بغزارة كلما تذكرت ذلك الحب القديم وفي هذه الآونة عرفت لاي سبب تعلق قلبها باستاذها بولس ذلك لانه كان يشابه المستر كوردن وتبين لها ان هذا الانعطاف نحو بولس هو من آثار حبها القديم المقيم لحبيبها الاول وكانت تناجي الرسم بتوله ولهفة وتضمه بين ذراعيها قائلة : آه ياحبيبي كوردن . ياحبيبي كوردن . لا مس لانكستر ولا احد في الدنيا يمكن ان يحبك كما احببتك انا . آه ما كان اسعدني بجانبك . ياليتني متّ وانا معتقدة بانك تحبني!

وبينما هي في تلك الحالة انزاح السجف الحريري الفاصل بين تلك الغرفة وغرفة اخرى بجانبها ووقف ذلك المصور مبهوتاً عندما رأى هذه الفتاة البارعة الحسن جاثية امام رسم كوردن تضمه الى صدرها وتقبله بهيام ولوعة والدموع تذرف من عينيها فتبلل قماش الرسم فرجع الى الوراء راثياً لحالتها وضميره يشير اليه بعدم ازعاجها كأنه اطلع على سريرتها وعرف ان قلبها يتفطر هياماً وان هذا الرسم هو رسم حبيبها وما كاد المصور يتوارى وراء الستر حتى وقفت ليوني مذعورة كأنها تصورت ان احداً يراقب ما تفعله فجلست على كرسي هناك واخذت تقلب كتاب صور كان موضوعاً على الطاولة لعلها تجد رسم كوردن الاصلي ولحسن حظها وجدته بين الرسوم واخذت تتحسر وادة

لو استطاعت الحصول عليه وفيما هي تقبله بحرارة شديدة وتبكي خطر لها بغتة فكر استحسنته كثيرا وهو ان والدها كان دائماً يعجب بمهارتها في التصوير اليدوي فلا احسن من ان تنقل ذلك الرسم فتناولت قلم رصاص وورقة عن الطاولة واخذت ترسمه باستعجال ورشاقة خشية ان يأتي احد قبل اتمامه وكانت اناملها ترتجف من شدة الاضطراب وما انهت عملها حتى سمعت صوت تقهقه وراء الستار عرفت انه صوت دورا وفي الحال وضعت الرسم في جيبها وكانت دورا قد دخلت ووقفت امام رسم كوردن تتأمله ثم قالت : ما قولك ياليوني في رسم زوجي أليس جميلاً للغاية . فانني سأنيل هذا المصور اضعاف اجرته لانه يستحق . انظري كيف انه لا ينقصه شيء سوى التكلم ويخال لي ان هاتين الشفتين القرمزيتين تكادان تقولان : آه ياحبيبتي دورا — ماذا — ما بالك ياليوني . هل انت مريضة . قالت دورا هذا حينما رأت اصفرار وجه ليوني وكانت تنظر اليها وقلبها مبتهج لعلمها ان كلامها هو الذي جعل هذا التأثير

وكان بجانبها على الطاولة ابريق من فضة مملوء ماء وكأن دورا علمت بان ليوني لا بد من ان تطلب الماء فتقدمت نحو ذلك الابريق كأنها تطلب حاجة ولعظم سرورها لم تنتبه الى الخادم الذي كان واقفاً يرتب الزهور والذي نظرها تلقي في

الماء شيئاً وحالما انتهت من عملها تقدمت ليوني واخذت الابريق وملأت منه كأساً لتروي غليلها

كانت دورا واقفة تنتظر بفروغ صبر ان ترى ليوني بعد دقيقة مطروحة على الارض بين الموت والحياة وما كادت ليوني ترفع الكأس وتدنيها من فمها حتى فوجئت بضربة قوية على يدها فالتفتت فرأت بجانبها رجلا خاطبها قائلاً : ان هذا الماء قديم لا يصلح للشرب ثم جاءها من بين تلك الزهور بكأس ماء وناولها اياها لتشرب

فنظرت دورا الى ذلك الخادم شزرًا فرأته ينظر اليها نظرة تدل على انه عرف ما فعلت ولكنها طمأنت فكرها من جهته قائلة : ماذا يهمني من امره لانه لا يستطيع ان يقول عني شيئاً وهو يعلم ان الحكومة لا تكترث لكلامه لانه فقير وانا غنية ولا يمكن ان يصدق قوله ويكذب كلامي

اما ليوني فانها قبلت اعتذار ذلك الخادم ببشاشة ولم تعلم ما هو الجميل الذي صنعه معها هذا الرجل الامين ثم خرجت هي ودورا وركبتا العربة موعزتين الى السائق بان يتوجه الى منزل ليوني وعندوصولهما نزلت ليوني بعد ان صافحت دورا التي سألتها قائلة : هل انت عازمة على الذهاب الى حفلة الرقص مع مسز بارت هذه الليلة فان المستر كارليل وامرأته وولدهما سيكونان هناك بدون شك

فاجابتها ليوني بصوت متقطع — انني — بالحقيقة — لا اعلم — فاشارت دورا الى الحوذي بان يسوق وليوني صعدت الى غرفتها وهي مرتابة بما تبديه دورا من التودد والصداقة وحينما وصلت الى الغرفة لم تنتبه الى تلك الزهور الموضوعة في اناآء من البلور على الطاولة بل جلست على كرسي هزّاز بجانب الشباك وانتشلت من جيبها تلك الصورة التي رسمتها بيدها صورة حبيبها كوردن وتنهدت وهي تقبله وتبكي قائلة : ياحبيبي ياحبيبي — لو كنت تعلم حبي لك وكيف ان قلبي يتمزق حينما اذهب مع تلك الفتاة التي فضلتها عليّ وترشقني بذلك الكلام الذي يقع على كبدي كالنبال — لكنت بالحقيقة ترحمني وتنظر اليّ بعين الاشفاق ولكنت تحبني ولو دقيقة واحدة مقابل حبي لك . ولكن واآسفاه انت لا تعرف الحب . فالويل لكم يامعشر الشبان الذين توقعون الفتاة في بلية الهوى ثم تتركونها كأنها عندكم لا تستحق التفاتا

وانت الذي اخلفتني ما وعدتني
وشمّت بي من كان فيك يلوم
واوقعتني في الحب ثم تركتني
بمحنته أشقى وانت سليم

كنت قلت ياحبيبي انني اذهب لارى رسمك واكتفي بنظرتي الاخيرة اليه ولكن لا — لا — لا يغني الرسم عن

نظر وجهك المحبوب فسأذهب الليلة الى الرقص لاراك مرة اخرى فقط وعندئذٍ اموت سعيدة لكوني نظرتك قبل مماتي · آه ياحبيبي · آه ياحبيبي · وكأن رائحة ذكية انعشت فؤادها فوقفت تفتكر في مصدرها فانتبهت الى الزهور الموضوعة على الطاوله فتقدمت ومدت يدها اليها وحالاً ارجعتها متألمة لانها احست بوخزة شوكة ثم رجعت تفتش عن تلك الشوكة لتنزعها وفيما هي تقلب الزهور وقعت من بينها ورقة مطوية ومكتوب على خارجها كلمة ,, مستعجل '' فاخذتها ليوني متحيرة من امرها

— ************** —

الفصل الثالث والثلاثون

لم يكن مكتوباً على تلك الورقة التي وجدتها ليوني بين الزهور الا سطر واحد وهذه صورته

,, انتظريني غداً باكراً لانني سآتي واطلبك كزوجتي ''

محبك

تشارلي هارت

فاضطربت ليوني لدى قراءتها تلك العبارة واسودّت الدنيا في عينيها لما استولى عليها من اليأس والكدر واخذت

تتمشى في الغرفة وتخاطب نفسها قائلة : غداً باكراً سيأتي وليس لي الا فرصة ساعات قليلة وعندئذٍ — وعندئذٍ ٠ وجلست على كرسيها ثانية متنهدة بحسرة واردفت قائلة : وعندئذٍ هو لا يجدني هنا فالاحسن لي ان اكون عروسة الموت او الاولى بي ان اهرب الى القفر واعيش كالوحش الضاري وعندئذٍ استريح من شرّ هذا الانسان الوقح

وبينما ليوني في هذه المناجاة المزعجة باغتها شوق الى نظر كوردن فقالت في نفسها لا بد من ان اذهب هذه الليلة الى الرقص واراه واسمع صوته مرة اخرى وانظر الى وجهه نظرة الوداع ٠ فانني ساذهب — سأذهب لان دورا قالت ان كوردن سيكون هناك

وبعد برهة دخلت مسز بارت على ليوني وكان سرورها عظيماً عندما رأت الخادمة ترتب لها شعرها الذهبي وتعتني بها غاية الاعتناء لتجعلها زينة المحفل في تلك الليلة وكانت ليوني تقول لها ابذلي جهدك ياايمي لاكون اجمل الموجودات في هذه الليلة — في هذه الليلة فقط

وعندما انتهت ايمي من عملها كنت ترى ليوني واقفة بجانب النار وعليها ثوب من الحرير الابيض العزيز الوجود في تلك الايام وكانت على صدرها طاقة من الورد محزومة بسلك فضي واكمام ذلك الثوب مطرفة بنوع من الخرج النفيس

الدقيق الصنعة وكان الالماس يلمع في اذنيها وعلى صدرها ويكسب ذلك الخرج الذي يحيط بجيدها شيئاً من البهجة والنور وذراعاها كانتا كالبلور النقي اللامع تحت اشعة القمر الفضية الا ان نور عينيها كان يغلب على اشعة تلك الحلى والجواهر وكان قلبها منعشاً باشعة الامل اذ كانت تقول في نفسها . لا بد ان ينظرني هذه الليلة ولعله يخاطبني بكلمة وسيعلم انني لست تلك الفتاة الفقيرة العاملة كما كنت بالامس

مضى نصف ساعة وليوني واقفة ترف فوق مخيلتها التصورات الجميلة ثم اقبلت اليها الخادمة وقالت ان مسز بارت تنتظرها في العربة فنزلت ليوني وركبت بجانب مسز بارت وعندما وصلتا الى معهد الرقص دخلتا وليوني متكئة على ذراع مسز بارت ولا تسل عما حدث بين الجمهور اذ ذاك من الهمس وحركة الاعجاب وما تحول من العيون والقلوب الى هذه الداخلة التي خلقت كما شاءت وشاء الجمال وكان الجميع من نساء ورجال شاخصين اليها يتأملون في محاسنها و يسترقهم حسنها الزاهي . و بينما ليوني مجتازة الى الجهة الثانية من المرسح وقع نظرها على كوردن الذي كان واقفاً يراقبها وكأنه يتشوق الى محادثتها وكانت تتوقع ان ينظر اليها بعين الاعجاب فجاء الامر على غير ما قدرت لان كوردن كان واقفاً ووجهه الجميل يعلوه الاصفرار ينظر اليها كأنه عارف كل شيء

فلم تدع ليوني نظرها يتوقف عليه لانها كانت كأنها مصابة برجفة وكانت تمشي وهي تخال ان الارض هي التي تدور تحت قدميها بل كانت تظن انها طائرة على اجنحة النسيم لانها عالمة ان كوردن كان يتبعها بنظره كيفما توجهت

كانت دورا لانكستر من جملة الموجودين في الحفلة واما والدة كوردن ووالده فكانا غائبين وهذا الامر اوقع ليوني في حيرة وارتياب

كان كوردن لا يزال واقفاً في مكانه وعيناه شاخصتان نحو حبيبته التي كان يحبها وهو لا يعلم ان بقلبها من الحب اضعاف ما بقلبه وكان يخاطب نفسه قائلاً : وأسفاه انني علقت قلبي بحب من لا يعرف الحب والقيت آمالي على قلب لا يهمه سوى المال · انظروا ياناس انظروا كيف انها لا تلتفت اليَّ الآن لان الذهب هو الذي كان يستميلها وليس حبي وعندما ارادت والدتي اختبارها وقالت لها ان والدي يحرمني من الميراث اذا تزوجتها شردت عني وسلتني · الله ! كيف ان بعض الفتيات الجميلات يكنَّ رقيقات الخصور قاسيات القلوب او بالحري بلا قلوب · فالويل لكنَّ ايها الصبايا اللواتي توقعن الشبان في شرك الهوى ومتى اصبح الواحد منهم يذوب التياعاً تعرضن عنه اعراضاً

اما دورا فكانت واقفة على بعد قليل من كوردن تراقبه وترى كيف ان نظره موجه دائماً الى ليوني وقد كادت تموت من الغيرة والحسد لان الاوانس والشبان كلهم اجمعوا على ان ليوني هي حسناء الرقص وكانت ترى كوردن والتنهدات تخرج من صدره مطردة بتحسر ظاهر وتلهف بادٍ

والسبب الذي من اجله جاءت دورا هي وكوردن الى الحفلة هو ان دورا كتبت اليه كتاباً كاخت الى اخيها وفيه تسأله ان يأتي ويصحبها الى الرقص لان والدته متعذر عليها الذهاب لصداع اصابها وقالت له انه اذا لم يأتِ تضطر الى لزوم المنزل وتخسر حظ المشاركة في احسن حفلة في تلك السنة وبما ان كوردن كان اقسم يميناً ان لا يدخل بيت ابيه الا بعد التراضي التام فانه جاء وانتظر دورا في عربته امام الدار وعندما اتت سألته ان يدخل ويرى والدته فأبي وذهب الاثنان لحضور حفلة الرقص

الامر الذي كان يسلي دورا في تلك الليلة هو انها كانت ترى كوردن وليوني يتلاقيان ولا يلتفت الواحد الى الآخر وهذا الأمر طأن بالها وأكد لها انها فرقت بينهما وخلاصة قصتهما هي — ان كوردن كان متأكداً ان ليوني تركته من تلقاء نفسها وليوني كانت متيقنة ان كوردن هو خطيب دورا وبناء على ذلك كان كل واحد منهما يتجنب الآخر

كان الرقص دائراً والمكان يختال عجباً بالقدود المتمايلة ثم توقفت الموسيقى عن توقيع النقلتين (توستبس) واخد الراقصون يستعدون لرقصة الدائرة (ولتزكوادرل) ضرب من الرقص يتماسك فيه اربع بنات واربعة شبان بالايدي على شكل حلقة ثم ينفرطون بترتيب و يرقصون زوجين زوجين) وكانت ليوني بجانب احد الشبان في الحلقة الموجود فيها كوردن بجانب احدى البنات وكانت اي ليوني تعلم انه لا بدّ ان يأتي دورها لترقص معه لان من شروط هذه الرقصة التبادل وما لبثت حتى وجدت نفسها تستقبل كوردن وتحني له رأسها ثم تخاصرا واخذ يضمها الى صدره بلهفة شديدة ولا شك ان ليوني عدت تلك الساعة من اسعد ساعات حياتها او هي حياتها كلها وكانت تتصور ان تلك الاحلام اللذيذة احلام الحب والغرام قد عادت تحوم على قلبها فهل تتحقق ام تزول مخلفة الحسرة

وعندما انتهى دور الرقص اخذ كوردن يدها قائلا : تعالي معي الى الخارج قليلاً ياليوني لي معك كلام

كانت ليوني في الماضي مصممة النية على رفض طلبه اذا سألها الاختلاء معه ولكنها الان لم تستطع الا الانقياد لاشارته فخرجت معه وذراعها بذراعه وهي لا تدري الى اين ذاهبة ولم يكن من يراقبهما الا دورا التي تبعتهما بعينيها مترصدة ونار

الغيرة تتلظى في احشائها ثم انسحبت من المرسح غاضبة قلقة بعد ان اعتذرت الى الشاب الذي كان سألها ان ترقص معه الدور الثاني

كانت تلك الليلة صافية الاديم والهلال كان مرسلا اشعته الفضية على تلك الرياض والغياض فتستقبلها الاشجار الملتفة الاغصان وتضن بها على ما دونها من الاعشاب والازهار والسماء كانت مرصعة بالنجوم المنثورة كالدرر على بساط ازرق فظل الاثنان يتمشيان بين الزهور غير عالمين بتلك الفتاة الثائرة المنسلة وراءهما حتى وصلا الى بركة ماء هناك فوقف كوردن وقال بصوت متقطع : اجلسي هنا قليلا ـ فانا اريد ان اقول لك شيئاً

ــ الفرصة التي كان كوردن وليوني يتشوقان اليها قد اتت الآن

— الفصل الرابع و الثلاثون —

كان بجانب تلك البركة حجر كبير يكفي مقعداً للاثنين فاجلس كوردن ليوني وجلس هو بجانبها يتأمل في طلعتها فحولت وجهها عنه حذراً من تناجي العيون بسر الهيام المكنون

فجلس الاثنان برهة لا يتكلمان ولا يسمعان الا خرير الماء المترقرق في تلك البركة بأرق وأدقّ ما يمكن ان توقعه موسيقى الطبيعة

و بعد ان طال عليهما الجلوس وهما صامتان حاول كوردن ان يفتح مجال الحديث ولكنه ارتج عليه وانعقد لسانه ولم يعلم كيف يبتدئ معها بالكلام وفيما هو كذلك سقطت زهرة من الشجرة فوقهما فوقعت على رأس ليوني وتدحرجت الى الارض بعد ان مست خدها وللحال التقطها كوردن مستغنماً هذه الفرصة والتفت الى ليوني قائلاً بصوت متقطع — انني — انني — احسد — هذه الزهرة — التي مست خدك لانها تذكرني بتلك الساعة السعيدة ساعة كنا مجتمعين · آه ياليوني ليس في طاقتي ان احتمل اللوعة بعد ذلك الحب القديم ذلك الحلم الذي كان يصور لي انك تحبينني لانك هكذا كنت تقولين · فما بالك الآن · ألست انا انا كوردن كارليل · آه ياليوني لو ····

وهنا قطع حديثه أثر اشارة بدت منها لانها عند ذلك التهب وجهها فجأة من تأثر داخلي حصل لها واخذت عيناها تبرقان واناملها التي كانت قابضة بها على مروحتها النفيسة عراها الارتجاف وبكلمة استولى عليها انفعال شديد ووقفت على قدميها قائلة له بازدراء : انني أستغرب ما ظهر منك كيف

انك تتجرأ وتفاتحني بمثل هذا الكلام فاين هو شرفك يامستر
كارليل انك تهينني بما تقول فلا تظن انني لا ازال تلك الفتاة
الفقيرة العاملة التي كان يمكنك ان تتمادى معها بالحديث ما
شئت واذا كنت انت تنسى مركزك فانا لا انسى

لا تسل عن استغراب كوردن وانفعاله لدى سماعه هذا
الكلام الغير المنتظر فوقف ووجهه يحاكي الشمع اصفرارا وجسمه
يرتعش بشدة وكانت الموسيقى اخذت تعزف داعية المحتفلين
الى دور الرقص وكوردن كان لا يزال واقفاً مبغوتاً ينظر اليها
نظرة اليائس اخيرًا حول وجهه لئلا ترى دموعه السخينة
وكان يردد في فكره هذه الكلمة ,, انك تهينني " فوارحمتاه
لهذا المحب . انه لم يكن عارفاً بما دبرته دورا من الحيلة وما
قالته لليوني بل كان مفتكرًا ان اعراضها عنه ليس الا لانها
اصبحت غنية وهو فقير وهذا الفكر كان يثير كوامن عواطفه
وقد قواه على التكلم ايضاً فالتفت اليها قائلاً : أليس في قلبك
رحمة ولا شفقة . وانطرح على ركبتيه امامها واخذ يدها بيده
مردّداً بذلة وانكسار : أليس في قلبك رحمة ولا شفقة .
اسمعي لي كلمة واحدة فقط . دعيني اظهر لك خفايا قلبي وعندئذٍ
احكمي عليَّ بما تريدين . وكان ينظر اليها بعينين فيهما اصدق
شهادة على صدق محبته فالتفتت اليه ليوني قائلة : لماذا تجثو
امامي فانا لست ليوني لاك التي عهدتها في الماضي فتاة حديثة

السن ساذجة بل انا الآن اعرف كل شيء

فاجاب كوردن بصوت جافّ : انني اعلم ذلك وانا اعجب كيف تغيرت في هذه المدة القصيرة وصرت كأنك فطرت فطرة جديدة وليس لك اقل علاقة مع تلك الفتاة ليوني لاك التي احببتها

وكانت ليوني واقفة تبتسم معتزة بنفسها لانها انتصرت على اعدائها مرة واحدة · فاردف كوردن بصوت متقطع قائلاً : انني احببت ليوني السابقة وانا الان احب ليوني الواقفةامامي · قال هذا ونهض واقفاً واخذ يدها وهو ينظر اليها ولكن ليوني نفرت منه وكانت تقول في نفسها : ان هذا الانسان خال من عزة النفس والشهامة اذ كيف يكون خطيب فتاة يريد ان يتزوجها و يتكلم معي بمثل هذا الكلام فلا شك انه متقلب القلب بوجه جميل ثم جذبت يدها من يده بنزق وتراجعت الى الوراء قائلة : انك انت كلا شيء عندي يامستر كارليل فعد بي الى قاعة الرقص لانني لا احب ان اسمع كلاماً مثل هذا ولا يمكن ان ادعك تعيده مرة اخرى وقد قلت لك انك تهينني بكلامك واقول ثانية ـ انك تهينني

كل كلمة من كلمات ليوني كانت كمدية تطعن قلب كوردن الذي لبث ينظر اليها متأملاً ونور القمر كان يباشر تلك الجواهر اللامعة على صدرها وحول جيدها اللطيف ووجهها الوضاح كان

يفضح طلعة كوكب الظلام المنير واذا وضعت المقابلة بين الاثنين شهد كل من له عينان انها

كانت أرق محاسناً

والفرق مثل الصبح ظاهر

ثم رفع كوردن يدها قائلاً : يمكنك ان تنبذي حبي الشديد اذا اردت ولكن لا يمكنك ان تقولي بانني اهينك لان شاباً مثلي شريفاً وفياً لا يكون حبه اهانة لاي فتاة كانت

وكان يخطر في بال ليوني انه لم يرجع اليها متظاهراً بالحب الا لكونها صارت اغنى من دورا وهذا الافتكار بدورا كان يهيج حقدها وغضبها

اما كوردن فتابع كلامه رافعاً رأسه الى النجوم وقال : انني امام هذه النجوم وهذا القمر و بين هذه الازاهر والاشجار اعترفت لك بحبي مرتين وانت تبدين اعراضاً وكبراً فانا اقول لك ياليوني انه سيأتي يوم فيه تندمين على ما قلته هذه الليلة و يكون تحسرك عظيماً

فاجابته ليوني بصوتها الرخيم الذي كان يمس اعشار قلبه قائلة : دع عنك هذا الظن يامستر كارليل وارجوك ان تذكر انني في تلك المدة التي قضيتها معي لم اكن الا فتاة فطرية جاهلة لا اعلم ما هو الحب ولا اعرف عنك ما اعرفه الآن .

وكان يتمثل لها ذلك المشهد عندما رأت كوردن بجانب

دورا يضمها و يقبلها ويمسح دموعها وتذكرت ايضاً ما قالته لها والدته ,, كوردن يمكنه ان يغازلك ويطارحك الغرام ولكن لا يمكنه ان يتزوجك لانه خطيب دورا '' وكان ايضاً ضميرها يقول لها ان اخبريه عن مكايد تشارلي هارت وهو ينقذك من المصائب لانه يحبك اكثر من دورا • انظري كيف انه واقف امامك وقفة اليائس الحزين بوجه اجمل من البدر• ولكن الفكر الاول تغلب عليها فقالت في نفسها • لا• لا • لا يوافق ان اطلعه على الامر اذ لا نفع يرجى من وراء ذلك نعم انه جميل الصورة ولكن قلبه متقلب و بعد ان وقف الاثنان نحو عشر دقائق ساكتين تكلمت ليوني قائلة • دعنا نرجع الى مرسح الرقص لانه ربما تكون مس لانكستر بانتظارك وانا حزينة جداً لابعادك عنها

فاجابها كوردن بصوت الحزين العاتب: وهل تعنين هذا ؟

فاجابته — نعم ولا اعني غيرة • والتفتت اليه فتقابل الناظران

فقال كوردن بصوت جافّ — اذن دعينا نرجع فوضعت ذراعها بذراعه ومشيا وعندما وصلا الى المرسح التفت اليها قائلاً • ارجوك ان تسامحيني اذا كنت اخذتك هذه المدة القصيرة من بين اصدقائك • استودعك الله وهذا آخر وداع يامس لاك

كانت ليوني تشعر بقوة خفية تؤثر على حواسها وبنور ساطع يحف بها وكانت تسمع صوتاً خفياً يناجيها قائلاً : ناديه · ناديه · لعله يرجع·وكانت هذه الكلمة على شفتيها ولكن لسانها أبي ان يتلفظ بها وكانت كأنها في البحران تخال ان الغرفة تدور والنور الساطع حواليها كان يزعجها

اما كوردن فانه تحول عنها بوجه عابس وهيئة ناطقة بالاضطراب واليأس وكل ما يمكن ان يستولي على الحواس من التأثيرات العميقة

فجلست ليوني على كرسي هناك وما كادت تستقرّ قليلاً بعد ذهاب كوردن حتى وافت اليها مسز بارت وعندما شاهدتها صرخت قائلة : ما بالك ياليوني فان وجهك يكاد يكون ابيض لشدة اصفراره وشفتاك ايضاً مصفرتان وكأنك ستقعين مغمى عليك فتعالي معي الى غرفة مسز هارتي الخصوصية

فوضعت ليوني ذراعها بذراع مسز بارت ومشت وهي كأنها مسلوبة الفكر تائهة العقل وعندما وصلت الى الغرفة استقبلتها مسز هارتي وقالت لها : اجلسي هنا قليلاً ياعزيزتي ليوني وسوف لا ادع احداً يأتي الى هنا ابداً فانزعي عنك الحلى ونامي بعد ان تقفلي الباب جيداً وأنا اتفقدك بعد نصف ساعة لأرى اذا كنت مستريحة·وحالما خرجت مسز هارتي من

الغرفة انطرحت ليوني على مقعد كان بجانبها خائرة القوى ووضعت وجهها الذي كانت مرسومة عليه علامات البلبال والانفعال بين يديها ومن شدة تأثرها وكدرها استسلمت للنعاس و بعد قليل كانت غارقة في بحار النوم

. . . .

لم تكد ليوني تغمض اجفانها حتى نبهتها من نومها اللذيذ حركة خفيفة في الغرفة حركة تلصلص ونظرت من خلال النور الضئيل شخصاً عاكفاً على جواهرها يختار منها ما يريد فارتعبت من هذا المنظر وصرخت صرخة قوية — صرخة حادّة مرعبة دوت في ذلك المنزل كله

الفصل الخامس والثلاثون

ثلاث مرات متوالية وقعت صرخة ليوني في آذان اهل المنزل عندما ارتاعت من منظر ذلك الطارق في نصف الليل اما الخوف الذي استولى عليها فما يمكن تصوّره ولا يمكن وصفه . اما ذلك اللص فانه لما بغت من صراخ الفتاة وخاف عاقبه الامر وثب عليها بقوة ووضع يده على فمها مجدفاً وقال بصوت مخيف: انك بصراخك نبهت كل اهل المنزل وها هم

اتون ولكنك مقتولة قبل ان يدخل احد وبسرعة الخائف استلّ خنجرًا واراد ان يبادرها بطعنة في صدرها ولكنها نهضت مرعوبة وسبقته بلطمة على وجهه اطارت عنه الوجه المستعار واذ ذاك ارتدّ ذلك الطارق الى الوراء مذعورًا وهو يقول بصوت مرتجف انها ليوني — انها ليوني لاك — وبقي اضطرابه يزداد وخوفه يتعاظم حتى صارت رجلاه تصطكان وكاد لا يقوى على الوقوف ولم يكن هذا الرجل الا تشارلي هارت نفسه

سمعت في الدار ضجة قوية من وقع اقدام الناس الآتين الى غرفة ليوني وادرك تشارلي حراجة موقفه فقال لليوني — اياكِ اياكِ ان تفضحي امري وتقولي انني موجود هنا فسأختبئ وراء هذا الستار فقولي لهم انك لم تصرخي · افعلي ذلك وانا راحل عن هذه البلاد في هذه الليلة

فاجابته ليوني · قل انك ما عدت تطلبني زوجة لك وانا افعل

فوعدها تشارلي بذلك واختبأ هناك وكان يسمع الناس يسألون ليوني ويقولون ما بالك يامس لاك فاننا سمعنا صراخًا من غرفتك وهي كانت تقول لهم انني حزينة جدًا لحضوركم من مرسح الرقص بسببي وانا لم اصرخ ابدًا بل ربما كان الصراخ من الاولاد في الشارع وانتم توهمتم انه من غرفتي ·

فانصرف الناس بعد ان اطمأنت خواطرهم وبقي بعض البنات في غرفة ليوني برهة يسألنها بالحاح العودة الى مرسح الرقص ثم انصرفن ايضاً ولم يبقَ مع ليوني الاَّ مسز بارت فانطرحت ليوني ثانية على ذلك المقعد متكئة على وسادة من الحرير الابيض وكان شعرها الذهبي مسترسلاً فوقها فيخال من فوق الحرير حريرًا وجلست مسز بارت بجانبها وقالت انني انا سمعت صراخك ياليوني وتأكدت ان الصوت كان صوتك فاخبريني الحقيقة ألست انت التي صرخت · فاجابتها ليوني بارتباك ظاهر قائلة : ربما حلمت حلماً مخيفاً وصرخت وانا نائمة

فاجابتها مسز بارت انني اراك متغيرة ياليوني فما الذي طرأ عليك الآن هل انت منحرفة المزاج او ما بالك · أتريدين ان أوعز الى السائق باحضار العربة لنرجع الى منزلنا

نعم دعينا نرجع: اجابت ليوني · لانني منهوكة القوى من التعب قالت هذا واسترخت على ذلك المقعد واضعة يدها على قلبها لانها شعرت بألم وضعف خشيت معه ان يغمى عليها ولحظت مسز بارت ذلك منها فتقدمت اليها ووضعت يدها على رأسها قائلة: ياعزيزتي ليوني يظهر لي انك مضناة من التعب لانك رقصت فوق العادة في هذه الليلة فاستريحي هنا قليلاً وانا ذاهبة لأنبه السائق ويمكنك ان تستعدي للذهاب في

هذه الفرصة وانا ارجع بعد قليل

ثم ان مسز بارت خرجت من الغرفة وكانت ليوني تسمع كلامها الاخير وهي على وشك الاغفاء من شدة الاعياء فتمتمت قائلة : نعم انني تعبة — واحب ان استريح قليلاً ثم أمالت رأسها على الوسادة ونامت وهي غافلة عما تعدّه التقادير لانها لو بقيت مستيقظة لكانت تخلصت من عذاب كثير ولكن ما قدّر لا بدّ ان يصير

وحالما اقفل الباب وراء مسز بارت ظهر تشارلي من مخبأه وتقدم نحو ليوني وللحال عرف انها مغفية فتبسم قائلاً : انني ما كنت احسب ان الامر يتمّ على هينة ولكن الحظ مسعفي ومساعدي عليها ثم تناول رداء اسود كان معلقاً هناك وحملها بين ذراعيه وخرج بها من شباك الغرفة الذي لم يكن يعلو عن الارض الا قليلاً وساعده اسراعه في المشي على الوصول بها الى جانب النهر دون ان ينظره احد وكان له هناك زورق صغير فوضعها فيه واخذ يقذّف بسرعة مخافة ان يدركه احد وايجاساً من ان تستفيق ليوني . وحين وصوله الى الضفة الثانية التي كانت مهجورة لا ديار فيها اوقف الزورق وربطه وحمل ليوني بين ذراعيه القويتين متوجهاً به نحو بيت مبني من الحجر الاحمر ومنفردا في حقل من الذرّة وكانت الاشجار الكثيفة حواليه تحجبه عن اعين الناس

ولو لم يكن تشارلي يعرف الطريق جيدًا ، لكان ضلّ عن ذلك البيت المتستر وحين وصوله كانت ابواب البيت وشبابيكه مقفلة مما يوهم الناظر اليه انه مهجور غير آهل فتقدم تشارلي وطرق الباب اولاً وثانيًا وثالثًا وكأن هذه الطرقات الثلاث المتوالية كانت رمزًا متفقًا عليه فقوبل من الداخل بثلاث طرقات ايضًا وعندئذٍ وضع فمه على ثقب الباب وهمس بعض كلمات وللحال انفتح الباب بكل سهولة وظهرت منه عبدة سوداء

— الفصل السادس والثلاثون —

انفتح باب ذلك المنزل ودخل تشارلي وهو يقول لتلك الخادمة : ياهاجر معي فتاة صادفتها بجانب النهر مغمىً عليها واريد منك ان تبذلي كل الوسائط لاجل انعاشها فاتبعيني الى غرفتي الخصوصية وهناك تجرين ما يمكن اجراؤه فتبعته هاجر ولما وصل الى الغرفة ألتي ليوني على مقعد هناك وعول على الخروج معتمدًا على ملاحظة الخادمة ولكن كيت هارتي دخلت الغرفة في هذه الدقيقة وما وقع نظرها على الشخص المطروح على المقعد ورأت ثوبه الحريرى المتدلي على ذلك

السجاد حتى تقدمت نحو تشارلي وقالت باضطراب : من هي هذه الفتاة ؟ ومشت خطوة او خطوتين نحو الشخص لتميزه جيداً وللحال ارتدت الى الوراء مذعورة وهي تردد قائلة: من هي هذه ؟ هل انا في الحلم ام في اليقظة · واخذت تفرك عينيها واهمة انها مخدوعة بماترى ولكن ما نظرته لم يكن الا حقيقة فطفقت كيت ترقص في تلك الغرفة كالمجنونة وتصرخ — لا أصدق · لا أصدق ان هذه ليوني لاك بل ليس هذا الاّ خيالاً أتى ليعذبني ثم وقعت عند قدمي تشارلي هاتفة · خلصني · خلصني · وكانت عيناها محدقتين بليوني المطروحة امامها

* * * * * * *

لا نظن ان القرآء تفوتهم معرفة السبب الذي جعل كيت في هذه الحالة فانها بعد ان طرحت ليوني على الخط الحديدي وشدّتها بالحبل وتركتها ليمرّ عليها القطار كما تقدم الكلام لم تذهب في اليوم الثاني الى عملها بل اختلت في ذلك البيت المنفرد خشية من ان تبدو للناس شبهة عليها ولم تكن تعلم بما جرى لليوني ولا بما حصل لها من الانقلاب ولذلك فانها حينما نظرتها ملقاة على ذلك المقعد تصورت ان خيالها أتى لكي يعذبها وينتقم منها و بوغتت عندما نظرت امامها ذلك

الشخص الذي كانت تعتقد انه مات من عدة اشهر

اما تشارلي فانه انعطف عليها وانهضها قائلاً · ما بالك يا كيت هل فقدت رشدك ام خفّ عقلك انني كنت اعهدك ذات رصانة وقوة فما بالك الآن

فصرخت كيت قائلة ان خيالها أتى ليعذبني ارحمني ياتشارلي — ارحمني اطرد هذا الخيال من هنا · ولكنها ما لبثت ان هدأ روعها ورجع اليها رشدها فالتفتت اليه بغضب شديد قائلة

من أتى بهذه الفتاة الى هنا ومن اين أتت · انا اعلم انك انت الذي جئت بها فأخبرني ما هو شأنك معها وما هي قصتها ولا بدّ لي من معرفة الحقيقة

فاجابها تشارلي ان الحقيقة يا كيت سأوقفك عليها بدون زيادة او نقصان وكان يتكلم و يفتل شاربيه ثم اردف قائلاً :

قد اقيمت في نيويرك حفلة رقص لم يكن فيها الا الاغنياء الكبار وانت تعلمين انني في حاجة شديدة الى المال فدخلت و بقصدي السرقة الى احدى الغرف التي استدللت من ظاهرها انها لاحد الموسرين وبينما انا مشغول في سرقة بعض الحلى تنبهت هذه الفتاة و بالمعاركة بيني و بينها وقع عن وجهي الوجه المستعار وللحال عرفتني واخذت تصرخ باعلى صوتها فعلمت ان اهل البيت لا بد ان يحصروني في الغرفة وانا في تلك

الحالة فتكون العاقبة و بيلة وللحال لففتها بهذا الرداء المرمي هنا وحملتها على ذراعي وخرجت بها من شباك الغرفة الذي لم يكن مرتفعاً واستعجلت نحو النهر فوضعتها في الزورق واتيت بها الى هنا خوفاً من ان ينفضح امري وقد كانت غائبة عن صوابها فلذلك لم ارد ان اتركها في تلك الحالة

فاجابته كيت بغضب لا مزيد عليه قائلة · انني احب ان اصدقك ولكنني لا استطيع الا متى أريتني الحلى التي ذكرتها

فانتشل تشارلي الحلى من جيبه قائلاً ·· انظريها ولعلك بعد هذا تصدقين

فاجابته كيت · انك انت كنت تحب ليوني واعلم جيداً انك لا تزال تحبها فبأي جسارة أتيت بهذه الفتاة الى منزلي وانت تعلم انني ابغضها بغضاً شديداً

لا ريب ان تشارلي كان يعلم كم هي قوية غيرة تلك الفتاة التي تخاطبه فلم يدعها تزيد على ما قدمت من الكلام بل قاطعها قائلاً · ان ما تقولينه ليس صحيحاً لان هذه الفتاة هي ذات شرف وعزّة نفس ولا اكتم انني كنت شعرت بشيء من الحب لها ولكنني حينما اعرضت عني اقسمت يميناً بان انتقم منها والانتقام عندي هو احلى من الحب

فاذاً اجابت كيت اقسم لي يميناً انك لا تحبها وانا اصدق

فاجابها تشارلي والعرق يتصبب من جبينه من شدة الحنق .
اقسم لك بكل القديسين الموجودة اسماؤهم في اللائحة انني
لا احبها — فتعالي يا كيت ودعينا من هذه القصة فانا اهواك
ولا اهوى سواك فراقبي هذه الفتاة واحذري من ان تفوز
بالهرب وانا ذاهب لابيع كل هذا الالماس و بعد ذلك ارجع
واتخذك زوجة لي ونسافر سوية الى اوربا حيث يتوهم الناس
اننا من اغنياء اميركا

فاجابته كيت قائلة . انك طالما كررت هذا الوعد وانا لا
ازال ادعى كيت هارتي فأي متى يجيء ذلك اليوم الذي فيه
ينضم اسمي الى اسمك . انه يكون اسعد يوم في حياتي . آه
ياتشارلي ليتك تعلم مقدار حبي الك فانني اموت لاجلك —
وكانت تتكلم و تشارلي محول لها ظهره ومنحنٍ كأنه مشغول
بربط حذائه وكان يفتكر في حسدها الشديد الذي لا بدّ ان
يكون يوماً سبب موتها ولم يكن لها في قلبه أثر من الحب
وكان مرتبكاً في امره لانه يهوى ليوني ولا يقدر على التظاهر
بحبه امام هذه الفتاة الغيورة ورأى اخيراً ان الاحسن له ان
يعاهدها على الحب . وما هي المعاهدة عنده فانها اوهى من
نسيج العنكبوت فمال اليها بغتة ووضع ذراعه حول خصرها
قائلاً . تعالي يا كيت لا تكوني بهذا المقدار غافلة . حافظي
على هذه الفتاة لئلا تهرب من هنا وانا حالاً بعد ان ابيع هذه

الجواهر ارجع واتمم وعدي واتخذك زوجة لي

فاحنت كيت رأسها على صدره وقالت سامحتي على عدم تصديقي من الاول ياحبيبي · ولكن الويل ثم الويل لك ولها اذا كنت تخدعني بما تقول لانني ان كان كلامك مماراة وخداعا فمحبتي تتحول الى كره وكيد شديد

فخرج تشارلي وكيت من الغرفة معاً تاركين هاجر وحدها تعتني بليوني فاخذت تفرك يديها وقدميها وجربت كل الوسائط الممكنة لانعاشها فلم تفد شيئاً حتى ان الخادمة يئست اخيراً وظنت انها ماتت والتفتت لكي تنادي تشارلي واذ بليوني فتحت عينيها قائلة — اين انا — اين انا · · · · قدهشت هاجر لذلك ومن شدة فرحها خرّت جاثية بجانبه وقالت آه ياملاك الحسن لا تخافي ويامليكة الجمال لا ترتعبي فانا اخلصك من كل ضيقة وكل خطر يتهددك وسأخدمك طول حياتي ومع كوني لم اعرف من انت بعد فانه يظهر لي من كمال طلعتك انك فتاة ذات نبل واصل كريم وسأخبرك سراً اين انت · والتفتت هاجر حواليها خشية ان يكون من يسمع كلامها واذ لم ترَ احداً احنت رأسها الى ليوني وهمست في اذنها بعض كلمات ارعبت قلب الفتاة فصرخت صرخة حادة مريعة

الفصل السابع والثلاثون

كصوت صاعقة هائلة وقعت عبارة هاجر على اذني ليوني فالتفتت اليها برعبة قائلة · هل صحيح هذا ···· انني انا ليوني لاك موجودة في منزل هو مأوى اللصوص والقتلة - آه ياالهي ساعدني · ثم عاد اليها وعيها فتذكرت انها كانت في حفلة الرقص وكيف دخل عليها تشارلي هارت ووقعت مغمى عليها · فسألت هاجر قائلة · هل تشارلي هارت هو الذي اتى بي الى هنا

نعم ياسيدتي · اجابت هاجر

وعندما سمعت ليوني هذا الجواب وقعت على قدمي هاجر صارخة · تبًا لك ايتها الدنيا الغرارة فالإمَ اكون معذبة - ورفعت عينيها الى الخادمة وقالت لها · انت هي صديقتي الوحيدة في هذا المنزل فخلصيني · افتحي لي بابًا لاهرب وانا غنية ونصف مالي يكون لك

فاجابتها هاجر وعيناها مغرورقتان بالدموع قائلة · آه لو كان هذا الامر ممكنًا لفعلته حالاً ولكنك تعلمين تشارلي وما هو عليه من قسوة القلب فاذا اجريت ما تطلبين يقتلني لا محالة

آه يا الهي · آه يا الهي · صرخت ليوني وهي تفرك يديها بتحسر وتمرمر · آه يا هاجر ارحميني فان قلبك لين شفوق فاشفقي عليَّ واقتليني ! هل اذا رأيت عصفورًا مسكينًا اصابته نبلة في صدره فوقع يختبط ويتألم ولا يموت ألا تكونين اشفقت عليه اذا امسكته وذبحته وخلصته من العذاب · ان في ذلك اجر الله وشكر الناس وانا ذلك العصفور فاقتليني بيدك لاستريح من عذابي وبذلك تكونين رحمتني ورأفت بي · اقتليني · اقتليني !

فاخذت هاجر تبكتها وتسليها قائلة · دعي هذا الكلام فان الأهون عليَّ ان اموت انا ولا امس شعرة من شعرك وتأكدي انه لو كان في امكاني انقاذك لفعلت ذلك دون ان تسأليني · وما أتمت هاجر كلامها حتى دخل تشارلي هارت الغرفة والتفت الى الخادمة وامرها بالخروج فخرجت هاجر وقلبها يتفتت تأثرًا لحالة ليوني ولكن يدها قصيرة فما الحيلة وكانت ليوني قد وقفت مواجهة تشارلي بجسارة وقالت بشمخة وغضب · انني أرى نفسي في قبضة يديك مرة ثانية ولكنني لا اخاف منك الآن ولا ازال احتقرك — انني ابغضك — ولا اهتم بك — · اذهب وقل ما تريده الآن فانا لا اكترث لك · اذهب وقدم تلك الورقة التي معك الى الحكومة لتفحصها فانا لا يهمني ما يكون !

فاجابها تشارلي بلطف وابتسام قائلاً · هل انتهيت من كلامك الآن

كلا· اجابت ليوني وعيناها تبرقان دلالة على الانتصار· ان حديثي لم ينتهِ وغداً تعلم الحكومة من انت — لص — قاتل — محتال — لا تشفق على احد

فقهقه تشارلي ضاحكاً وقال · آه ما احلى نباهتك الفريدة يازوجتي الحبيبة ولكن كل هذه التهم التي ترمين زوجك بها تؤخذين انت ايضاً بها والقضاة اذا حكموا عليَّ يحكمون عليك انت ايضاً لانهم يقولون لك لماذا لم تأت من قبل وتخبرينا ما زلت عالمة بان زوجك — سارق — محتال — قاتل

فاجابته ليوني وعلى فمها ابتسامة غضب وحنق قائلة· زوجتك! ان هذا مستحيل · انا اكون روجة لسارق مثلك! كلا وكلا · فانا معروفة بين الناس وانت ايضاً امرك مشهور وسنرى لمن يكون الحق عند المحاكمة

فاجابها تشارلي انا اعلم جيداً انك لو كنت قادرة على قتلي بعينيك الفاترتين لما تأخرت · وكان يتكلم و يتقدم نحوها قليلاً وانتبهت ليوني الى قصده فرفعت يدها واشارت اليه بان يقف مكانه وتناولت خنجراً كان على كرسي بجانبها واشهرته قائلة· إياك ان تدنو مني واعلم انه لو كان في امكاني

ان اقتلك بأي طريقة كانت لفعلتُ وانا متعجبة كيف ان الله ابقاك حياً كل هذه المدة

فاجابها تشارلي وهو يتبسم قائلاً . فاذًا انا بعد ساعة ارجع الى هنا واسافر بك الى اوربا وهناك تكونين زوجتي قولاً وفعلاً وسأوعز الى هاجر بان تجهز لك ثياب السفر لان ثيابك هذه غير صالحة وارجوك ان تنزعي عنك هذا الحرير لتكوني على اهبة السفر وسأرجع بعد ساعة فاستعدي للذهاب ياحبيبتي

. . . .

خرج تشارلي من الغرفة ولم ينتبه الى ذلك الشخص الذي كان متخفياً وراء الباب يسمع ما يجري من الحديث ولم يكن الا العدو الهائل كيت هارتي التي اخذت تفتكر في واسطة للانتقام العاجل وكانت تقول في نفسها . قد غرَّني بقوله انه سيأخذني الى اوربا حال كونه عازماً على الهرب هو واياها وسنرى من يكون الفائز انا او هو . نعم انني كنت عديمة الفطنة عندما صدقت قوله انه يحبني ولا يحبها وبالله اقسم انني لا ادعه يتزوجها بدلاً مني وانتقامي سيقع عليه وعلى تلك التي ظننتها ماتت — انها لم تمت ولكنها ستموت الآن . قد قال انه يرجع بعد ساعة وسيرى عند رجوعه في اي حالة تكون حبيبته ليوني

بعد مضي بضع دقائق رجعت كيت هارتي و بيدها علبة مملوءة بارودًا ودخلت بكل تحذر الى الغرفة التي بجانب غرفة ليوني واخذت تنثر فيها البارود ثم تحولت الى الدهليز ووضعت فيه بعض البارود وخرجت من البيت مهرولة تاركة تلك العلبة في الدهليز بعد ان اشعلتها و بعد قليل اصبح ذلك البيت كأنه قسم من جهنم

— ************** —

الفصل الثامن والثلاثون

بأقل مما يتصور التهب البارود وذلك البيت الحجري اصبح متواريًا في لجج من النار والدخان وكيت هارتي كانت واقفة تراقب عن بعد ذلك المشهد المرعب وتبتسم قائلة في نفسها : الآن من يستطيع ان ينقذك ياليوني لاك · لست انت التي تذهبين مع حبيبي بل انا — انا وحدي — وهذا انتقامي منك فما احلى الانتقام

مضت الساعة التي عينها تشارلي موعدًا لرجوعه والنار كانت امتدت ملتهمة ذلك البيت حتى اصبح داخله رمادًا وخارجه حيطانًا واقفة كالآثار المبنية على القبور

حينئذٍ طرق اذني كيت وقع حوافر خيل وصوت دواليب

عربة كان يرتفع قليلاً قليلاً فأخذت تقول في نفسها : انه قد أتى ليأخذ ليوني وعندئذٍ — وقبل ان تكمل العبارة كان تشارلي وصل الى ذلك المكان وكاد يصيبه جنون مما بوغت به فصرخ صرخة مريعة وهجم محاولاً ان يرمي بنفسه في النار لينتشل ليوني وهو يردد صارخاً — ياليوني — ياليوني آه ياالهي كيف يمكن ان اعيش بعدها!

وكانت كيت واقفة تراقبه عن كثب وتقول في نفسها : انه لا يندبني انا بل يندب ليوني — فلا يجب ان ادعه يثب الى النار لئلا يهلك ولا بد من صده عن الوقوع في الخطر و بسرعة كلية تقدمت اليه وقبضت على ذراعه وعندما تقابل الوجه بالوجه عرف تشارلي انها هي مسببة ذلك الحريق وكانت كيت تبتسم قائلة له : لا يلزم ان تطلب حبيبتك في هذه النار التي اكلتها ولم يعد ممكناً ان تنظر الى وجهها فيما بعد وقد كنت اقسمت يميناً بان افرق بينكما وهذا ابراري بالقسم

فصرخ تشارلي بجنون والدموع طافرة من عينيه : اذهبي عني ايتها الشيطانة المتأنسة والا الحقتك بها ولم يعد بدّ الآن من ايضاح المستور فاعلمي ان حبي لك لم يكن الا تظاهراً وما احببتك في حياتي قط بل كنت احب ليوني لاك الجميلة

وكانت كيت واقفة وقلبها يتمزَّق ووجهها يدل على ثوران الغضب فقالت : هل انت تتجاسر ان تقول لي هذا الكلام

بعد ان أكدت لي محبتك ووعدت باننا سنرحل عن هذه البلاد سوية ويكون ذهابي معك كعروس لك ولكن لليوني لاك كان هذا الوعد وليس لي

فاجابها تشارلي . انك قلت الحقيقة وانا لا انكر

تشارلي — قالت كيت بصوت منخفض . لا تمزح معي هكذا فانك تقتلني بمثل هذا الكلام وتدنيني من الجنون فانا احبك من كل قوتي بل فوق قوتي واحذر من ان يتحول هذا الحب الى كره والويل لك عندئذ لان النملة تقدر ان تفتح فاها وتقرص القدم التي تدوسها فدعنا نذهب معاً ياتشارلي ونكون سعيدين بالاجتماع وجرب ان تنسى تلك الفتاة ليوني . وكانت تتكلم وشعرها المرسل يتموج مع هواء الصباح القارس البرودة ويداها كانتا مضمومتين فوق قلبها ثم انطرحت جاثية على ركبتيها امامه وقالت . آه ياتشارلي . آه ياتشارلي لو كنت تعلم مقدار حبي لك لرحمتني فانا اهواك . ارحمني . باللهارحمني!

وكان تشارلي معرضاً عنها وغير مفتكر الا في تلك النار التي التهمت جسد ليوني . ولكنه عندما ركعت امامه واخذت تعترف بحبها التفت اليها وقال . اذهبي من امامي فانا لم اكن احبك في الماضي والآن صرت ابغضك البغض كله فاذهبي من امامي والا اخذت منك بثأر ليوني الجميلة . ثم وثب الى

عربته وساق الفرس بكل عجلة تاركاً كيت تبكي وتنوح ولا تدري ماذا تصنع • وكانت تتأوه وتتأسف قائلة • انه ذهب — ذهب فما الحيلة • ما الحيلة ! وكل حبها له تحول اذ ذاك الى كره ممزوج بحقد قتال وما اصدق من قال ,, ان ثوران جهنم لا يوازي حنق الامرأة اذا ازدريت بها '' فاقسمت يميناً انها لا بدَّ ان تهلكه وهكذا ذهبت من ذلك المكان تائهة لا تدري الى اين تتوجه

الآن نرجع الى الكلام عن ليوني التي تركناها مستلقية على ذلك المقعد في الغرفة تبكي وتنتحب بعد ان خرج تشارلي وقال انه سيرجع ويأخذها بعد ساعة وكانت تخاطب نفسها بتحسر وتقول • آه ما احلى الموت الآن • حبذا لو وافى وانتشلني من هذا الشقاء • آه ما كان اسعدني لو انني اموت الآن فان الموت عندي لافضل من ان اكون زوجة ذلك اللص الشقي • ان التسليم بذلك مستحيل • نعم يمكنه ان يغصبني على ان اكون زوجة له ولكن ذلك لا يكون الا بالاسم فقط

وبينما ليوني في هذه التصورات المرّة ابصرت بغتة ألسنة النار مندلعة من تحت الباب فوقفت مرتعبة وصرخت يا الهي خلصني • وفي برهة قليلة التفت ألسنة النيران في ارجاء الغرفة وظلت ليوني واقفة مسلوبة الرشد لا تدري كيف يمكنها

الفرار · وكانت تقول في فكرها — نعم انني كنت تمنيت الموت ولكن ليس على هذه الصورة فلو انه جاءني بغير الحريق لكنت استقبلته برغبة وسرور ولكن ليس هكذا · ليس هكذا · واندفعت نحو الباب فوجدته مقفلاً ولا يمكنها فتحه فركعت في وسط تلك الغرفة هاتفة : ياالهي · ياالهي ! وألسنة النار كانت تتلاعب حولها من كل جانب واخذت تبكي وتتفجع ولا من يسمع فيرحم وظنت النار تقترب منها بسرعة حتى كادت تلفح وجهها فصرخت : ياوالدتي ها انا ذاهبة اليك فابسطي ذراعيك واستقبليني لان الله لم يشأ ان اكون زوجة تشارلي هارت ووضعت وجهها بين يديها منتظرة ان تلتهمها النار

— الفصل التاسع و الثلاثون —

نعود الآن الى تفصيل ما جرى في مرسح الرقص حيث كانت ليوني كما تقدم الكلام فحينما رجعت مسز بارت الى الغرفة التي تركت فيها ليوني ولم تجدها حالاً اعلمت صاحبة المحل مسز هارتي وبسرعة كلية انتشر الخبر بين القوم الموجودين فأخذوا يتوافدون افواجاً الى تلك الغرفة ومنهم من

باشروا التفتيش عن المفقودة ومنهم من قالوا انها خرجت مع احد الشبان لتتزوج ومنهم من قدروا انها اختطفت وهكذا تباينت الظنون والاقوال في هذه المسألة الغامضة والخدام تفرقوا في كل جهات الحديقة يبحثون عنها واكثر الشبان ركبوا عرباتهم وذهبوا ليوصلوا رفيقاتهم الى البيوت ويعودوا بعد ذلك لاجل البحث عن ليوني وهكذا فعل كوردن ايضاً فانه ركب العربة هو ودورا وهو في منتهى القلق والانزعاج وكانت دورا تلاحظه وترى كيف ان علامات الاسف والكدر بادية على وجهه الجميل فالتفتت اليه قائلة : لماذا يا كوردن تريد ان تتعب نفسك وتكون في مقدمة المفتشين عن ليوني فلا يبعد ان تكون تلك الفتاة فرّت مع احد الشبان وان تكون الآن متمتعة بالمسرّة والهناء وانت تجهد نفسك لاجلها فلماذا لا تدعها وشأنها

فاجابها كوردن : لا تقولي هكذا يادورا ان كلامك هذا يؤلمني فان قلبي يوحي الي انها محاطة بالخطر وانا لست قريباً منها لانقذها

فاجابته دورا بصوت متقطع : ارجوك ان تعذرني — اذا سألتك هذا السؤال — وهو — وهو — ألا تزال — تحب ليوني — كما احببتها في الماضي

فقال كوردن وعيناه مغرورقتان بالدموع : انني احب

ليوني وسأحبها الى منتهى عمري بل ان هذا الحب الذي في قلبي لا يموت ولو مت انا . آه يادورا لا تنكأي جرحي القديم الآن فانه يؤلمني شديدًا

وعندما وصلت العربة بهما الى امام الدار نزلت دورا قائلة : اي متى اراك ثانية يا كوردن واخذت يده بيدها وضغطت عليها

فاجابها بكل هدوء . لا ترينني الا متى وجدت ليوني او علمت بما جرى لها فابلغي والدتي احترامي وانا ذاهب. ثم تحول بعربته راجعاً الى المكان المعين لملتقى الشبان وعندما تمّ اجتماعهم تفرّقوا ذاهبين كل اثنين وكل ثلاثة الى جهة واما كوردن فانه لم يرضَ بان يرافقه احد بل فضل الانفراد بنفسه وهكذا ذهب ليفتش عن ليوني وما علم بما كان مقدورا

* * * * * * *

عندما انبلج الصباح كان كوردن واقفاً بجانب النهر يتأمل في حذاء امرأة وردي اللون كان هو اول من عثر عليه هناك وللحال عرف انه حذاء ليوني وكان اجتمع حوله في ذلك الوقت عدد من رفاقه الشبان فاخذ كوردن يتمشى ووجهه تغشاه علامات اليأس والاضطراب و يدمدم لنفسه قائلاً . انها اغرقت نفسها . فلماذا ! وكان الشبان يتساءلون عما عساه ان يكون السبب الذي من اجله اغرقت نفسها

وكانوا جميعهم ينظرون الى وجه كوردن الكئيب وهو واقف يتلهف ويقول ٠

اوّاه ياليوني ٠ اوّاه ياليوني ٠ خذيني اليك ٠ وانت ايتها الامواج التي غيبت الحبيب لماذا لا تضميني اليه ٠ انا شهيد الحب والغرام ٠ انا شهيد محبتك ياحبيبتي ٠ فلماذا ٠ لماذا اغرقت نفسك ٠ كيف يمكنك ايتها النجوم وايها القمر ان تنشري انوارك على هذه الامواج وكيف يمكنك ايتها الشمس ان تشرقي وكيف يمكنك ايتها الطيور ان ترددي الا اصوات الحزن والنواح اوّاه واآسفاه عليك ياليوني ٠ ارحميني اشفقي عليّ وخذيني اليك!

وكان بقية الشبان يتقدمون اليه ويسألونه الذهاب معهم وهو يأبي واخيرًا رجعوا جميعهم متأسفين على ليوني الجميلة تاركين كوردن واقفًا على ضفة النهر يتأمل في تلك الامواج و بيده ذلك الحذاء الذي كان يضمه الى صدره يقبله مرارًا و يردّد ندبه المحزن قائلاً ٠ يالك من دنيا غرور كيف انك تعذبينني ٠ فما معنى الحياة وما هي رغبتي فيها فسأموت معك ياحبيبتي ليوني ٠ افتحي ذراعيك واستقبليني فانا ذاهب اليك ثم تحفز للوثوب الى النهر ولكن يدًا قوية قبضت عليه فالتفت مجفلاً فرأى واحدًا من اصدقائه الشبان يقول له ٠ لا تفعل يا كوردن فانا اعرف حبك لليوني ولكن تجلد قليلاً وكن

رجلاً حكيماً وایاك ان تدع الضعف يسوقك الى اغراق نفسك وهكذا صدّه ذلك الصديق عما كان ينويه وجاء به الى عربته مشيرًا الى السائق بان يوصله الى غرفته

وصل كوردن الى غرفته المتقنة ووقف في وسطها ذاهلاً متحيرًا لا يدري ماذا يصنع وظلّ منتصباً كالشبح برهة واخيرًا اخذ يتمشي في تلك الغرفة ويدمدم لنفسه قائلاً ٠ أيوجد حب صادق وفيّ نظير حبي لليوني ٠ وكان يجيب نفسه ٠ كلا ٠ أيوجد حب كانت هذه نهايته — كلا ٠ وبينما هو في تلك الحالة من اليأس كانت ليوني جاثية على ركبتيها في ذلك البيت الحجري والنار تزيد حولها تأججاً وتمتدّ نحوها شيئاً فشيئاً حتى انها لفحت وجهها وكانت متأهبة للقاء الموت برباطة جأش فاخذت تصلي وتبتهل هاتفة ٠ ياالهي خذ روحي اليك وارحمني ٠ وفي تلك الدقيقة الخطرة دفع باب الغرفة بشدة عظيمة ودخلت هاجر وهي تقول برعب ان احد الناس اضرم النار في المنزل وذهب ولم نعلم من هو فانهضي ياليوني ودعينا ننجو بنفوسنا ٠ اسرعي فالمهرب ضيق والخطر قريب

فاجابتها ليوني ٠ اذهبي وانجي بنفسك ياهاجر ودعيني اموت وكانت تتكلم وهي لا تستطيع الثبات على قدميها ولولا ذراعا هاجر القويتان لكانت وقعت على الارض مغمى عليها ٠ اما هاجر فانها علمت ان لا فرصة للكلام وفي الحال انهضت ليوني

بين ذراعيها وخرجت من باب الغرفة الى دهليز سري كانت كيت نسيت ان تقفل بابه وما صارتا خارجاً وتروّح فؤاد ليوني بالهواء المطلق حتى كان البيت اصبح كومة من رماد وحجارة

كانت ليوني قد عاد اليها روعها وانتعش فؤادها من الهواء ولكنها ظلت برهة لا تستطيع التكلم لشدة فرحها بالنجاة ثم انها التفتت الى هاجر وقالت · آه ياهاجر ان لساني قصير عن شكرك · فانا امامك وحياتي لديك فافعلي ما تريدين

فاجابتها هاجر · الشكر لله على خلاصك ياليوني · فلا تخافي فانا اخفرك حتى تصلي الى المدينة ولكن اريد ان اخبرك عن الذي سبب الحريق في البيت وقد عرفت المكيدة الآن · ألم تنظري تلك الفتاة ذات العينين السوداوين التي كانت واقفة هناك ·

فاجابتها ليوني · انني لم انظر احداً بعينين سوداوين ولم أرَ فتاة الاّ انت فقط

فقالت هاجر · ان تلك الفتاة اسمها كيت هارتي ألا تذكرين انك نظرتها ؟

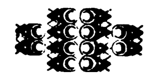
فاخذت ليوني تردد ذلك الاسم ,, كيت هارتي ،، لتتذكر اين سمعته واخيراً عرفت من هي صاحبته فالتفتت الى هاجر قائلة · هل هي هنا ! فلنسرع اذن في الفرار لانها

اذا علمت اننا هربنا تتبعنا بانتقامها وتهلكنا

فوافقتها هاجر قائلة . نعم ان كلامك هو عين الصواب فلنذهب بسرعة واخذتا تمشيان بما يمكن من الجهد وليوني متكئة على ذراعي هاجر ولو امكنها لطارت و بعد قليل سألت قائلة . اين نحن الآن ياهاجر وكم ميلاً نبعد عن المدينة ؟

فلم تجاوب هاجر بل اشارت اليها بالسكوت واطرقت بنظرها في الارض اصغاءً وما لبثت ان رفعت رأسها بارتباك وقالت . انني اسمع وقع حوافر خيل وصوت دواليب عربة مقبلة بسرعة

فتنهدت ليوني اذ ذاك تنهد الخوف واليأس وقالت . ان هذا القادم هو تشارلي هارت فقد قال انه يرجع بعد ساعة وها هو آتٍ الآن ولا يوجد مكان نختبيء فيه . ياالهي دبرني برحمتك . انني تلفت . تلفت . تلفت !



الفصل الاربعون

ظلت العربة تجري بسرعة حتى صارتا تسمعان صوتها قريباً منهما ولا تسل عن خوف ليوني من الوقوع في بلية اخرى بعد ان نجت من شرّ النار اما هاجر فقالت لها: هلمي نختبئ هنا بين الذرة فلعله يتجاوزنا دون ان يرانا وللحال تحولتا الى حقل الذرة الكثيف وتخفتا هناك مضطجعتين على الارض ولحسن الحظمرّ تشارلي في عربته ولم يلتفت لا يميناً ولا شمالا ولو انه ادار عربته الى اليمين قليلاً لكان رأى ليوني نائمة بين الذرة ملتصقة بالارض لشدة خوفها وكان يخيل لها انه يسمع صوت تنفسها ولما بعد عنهما قليلاً نهضتا وقالت هاجر. اننا قبل ان يرجع نكون صرنا في المدينة وانا معي قليل من الدراهم فسنركب القطار ونذهب. وحين وصولهما الى المحطة ركبتا قطاراً ذاهباً الى نيو يرك

* * * * * *

لم يكن احد من الجمع المزدحم في مركبة القطار يعلم او يحلم بان تلك الوارثة الجميلة ليوني لاك موجودة بينهم بعد ان كتبت الجرائد انها اغرقت نفسها. فاشترت ليوني نسخة من جريدة الهرالد وبينما هي تقرأ ما هو مكتوب عنها طرق فكرها

فجأة خاطر استحسنته كثيرًا وصممت النية على اتمامه فعلاً
واخذت تقول في نفسها : انني لا نسيب لي ولا حبيب ولا
صديق فلماذا اشاعت الجرائد هذا الخبر عني ولكن لا بأس
فليبق معارفي القليلون معتقدين انني مت غرقًا وليأخذوا مالي
وورثتي لان المال لم يفدني شيئًا ولا خفف تعاستي بل كنت
الف مرة اسعد حينما كنت ليوني لاك الفقيرة العاملة وحينما
ضمني كوردن الى صدره واعترف لي بحبه اما تشارلي هارت
فلنه يبقى معتقدًا انني فارقت الحياة في ذلك البيت وينساني
وعليه سأتنكر وارجع الى تحصيل معاشي بكدي كما كنت في
الماضي وهكذا صممت النية على اتباع هذه الخطة حين وصولها
الى نيو يرك

ثم ان ليوني انتشلت من جيبها ذلك الرسم الذي رسمته
بيدها رسم كوردن كارليل واخذت تنظر اليه بتوله والدموع
تكاد تطفر من عينيها وكانت تسائل نفسها عما اذا كان
يحسن ان تبقي هذا الرسم معها في معيشتها الجديدة وهل يمكن
ان يروي لقلبها غليلا وافتكرت في ان تطرحه جانبًا ولا تلتفت
اليه ولكن انعطاف القلب منعها عن ذلك لانه رسم حبيبها
الاول الذي لا سبيل الى سلوته وبينما هي في هذه الافكار
وصل القطار الى محطة (كرند سنترال ديبو) في الشارع الثاني
والاربعين فنزلت ليوني وعزمها ثابت على اخراج ما افتكرت

فيه الى حيز الفعل وهناك افترقت هي وهاجر بعد ان ابت هذه مرافقتها فوقفت ليوني متحيرة لا تدري كيف تتوجه ثم انها مشت في الشارع لا تدري ماذا تصنع

وبينما هي تمشي نظرت شخصاً يجتاز الشارع الى جهتها فلهثت بخوف واضطراب قائلة : انني لست غلطانة فهذه القامة وهذه المشية ليستا الا لكوردن كارليل وللحال التفت بردائها لئلا ينظرها وتحولت مجتازة الى جهة اخرى ولكن ذلك الرجل ارتدّ بغتة راجعاً الى الوراء فتقابل هو وليوني وجهاً لوجه — ولكنه لم يكن كوردن كارليل — بل كان استاذها بولس راكسفورد فوقف ينظر اليها بدهشة وتعجب عظيمين وتردد نفسه في صدره كالخائف وقال — لاهثاً — ليوني — مس لاك — هل انا مجنون او انني في المنام او ان احداً يحاول اخذي بمكيدة او ان نظري يخدعني ٠ كلا ٠ هل انت ليوني لاك قال هذا واخذ اطراف اناملها بيده :

فاجابته ليوني وهي تبكي : انك لست في المنام يامستر راكسفورد بل انا هي ليوني لاك وتلك الجرائد كانت كاذبة عندما اشاعت انني اغرقت نفسي فانني ما تركت الرقص وذهبت الى النهر كما زعموا بل اخبرك الحقيقة ٠ انهم — اختطفوني

فاقشعرّ بدن الاستاذ عند سماعه هذه الكلمة — اختطفوني —

وكانا واقفين بجانب قهوة للسيدات فدخل هو واياها وقال لها اجلسي هنا واخبريني كل شيء فاخذت ليوني تخبره قصتها وهي تبكي ولم تكن تنظر الدموع المالئة عيني استاذها المغطاتين بالنظارات ووجهه كان يتلوّن ويتقلب من تأثير الانفعال الباطني فأخبرته كيف انها ذهبت الى الغرفة لاجل الراحة وكيف انها ابصرت ذلك الطارق في نصف الليل عاكفاً على جواهرها وان ذلك السارق كان تشارلي هارت الذي خلصها من يديه الاستاذ ليلة الرقص المتنكر وكان بولس مصغياً لا يتفوّه بكلمة فتابعت حديثها قائلة : ذلك الرجل الذي خلصتني منه في تلك الليلة التي لا انساها عندما وقع الوجه المستعار عنه وعرفته وقعت للحال مغمى عليَّ ولم استفق الا ووجدت نفسي في بيت منفرد ومبني من الحجر الاحمر وحينما كنت ابتهل واصلي لله ملتمسة النجاة واذا بالنار قد لعبت في البيت وكنت على وشك ان اذهب طعمة لها لو لم تأتِ اليَّ عبدة كان خلاصي على يدها وبعد ذلك اتينا الى اقرب محطة وركبنا القطار الى نيو يرك وعندما نظرتك كان اول وصولي الى هنا

* * * * * * *

نعم ان ليوني كانت ذهبت مرة الى ذلك النزل في الافنيو الخامس لترى استاذها بولس وتخبره عن تلك المعاهدة

الغضبية اما الآن فكانت قوة سرية تمنعها عن اطلاعه على الامر وكانت تقول في نفسها : لا يجب ان اخبره عن ذلك السيف المعلق فوق عنقي ولماذا اخبره . لا . لا . لا اقدر ان اتلفظ بهذه الكلمة التي على شفتي . وهكذا كان ولا يزال سكوتها جالباً اليها العناء والشقاء ثم ان ذلك الاستاذ اللطيف اوصلها الى منزلها وذهب ولم ترد ليوني ان تخبره عما كانت عزمت عليه من التنكر والرجوع الى حالتها الاولى ولذلك سلمت بالذهاب الى منزلها دون اقل ممانعة

وفي اليوم التالي ظهرت الجرائد وفي صدرها العنوان والخبر الآتيان

— الحادثة الغريبة التي جرت لتلك الوارثة الجميلة —

— ليوني لاك —

„ ان هذه الفتاة قالت انها ذهبت لزيارة احدى صديقاتها ولم تكن تدري ان اهلها واصحابها لم يعلموا بذلك وقد صدق جميع اصحابها وأتوا ليسلموا عليها وكانت تلك الفتاة الماكرة دورا لانكستر من جملة الزائرين اما كوردن فقد كان بعيداً عنها ولا احد يعرف قصتها الحقيقية الا تلك العبدة هاجر واستاذها بولس راكسفورد "

ذهب الاستاذ بولس تواً الى مسكنه ونار الغيظ تتقد في صدره وعندما وصل الى الغرفة اخذ يتمشى كأنه مختل الشعور

لا يدري ماذا يفعل اخيرًا جلس على كرسي وتناول قلماً وورقة وكتب رسالة طويلة ووضعها في غلاف ودعا احد الصبيان الموجودين في المكان وقال له : خذ هذا الكتاب الى عدد كذا ... في شارع كذا ... وانتظر الجواب ·
وما مضت ساعة حتى رجع الصبي ومعه الجواب فتناوله منه الاستاذ بيد ثابتة وفتحه باستعجال وهذا ما كان فيه :

,, انني ارضى بطلبك المبارزة وسأكون على اتم الاستعداد في الوقت والساعة المعينين وفي المكان المعين ايضاً

ــ الفصل الحادي والاربعون ·

وضع بولس في جيبه الغلاف الذي يتضمن جواب تشارلي هارت وجلس على كرسيه بجانب الشباك يخاطب نفسه قائلاً : غدًا باكرًا عند طلوع الشمس نكون ابتدأنا في التأهب للمبارزة وعندئذٍ اعلم اذا كنت قادرًا على الاخذ بثأر ليوني ام لا وكان يتنهد ويقول : انه ليس لاحد عليّ شيء على الاطلاق فاذا هلكت اروح غير مطالب بشيء · ثم انه اخذ يستعد للتنكر ولما انتهى جلس الى الطاولة وكتب كتاباً طويلا لليوني وعنونه باسم خادمتها ايمي التي كتب اليها ايضاً يفهمها

ان لا تسلم الكتاب الى ليوني الا بعد الساعة الثانية عشرة من نهار اليوم التالي وكان يطوي الاوراق والدموع تتساقط من عينيه على تلك الاسطر المكتوبة بيده ثم انه اخذ يضع بعض اشياء يحتاج اليها في جزدان صغير وبعد نصف ساعة كان جالساً في القطار قاصداً بلدة صغيرة واقعة بين الجبال في ولاية كنكتيكت

* * * * * * *

وصل القطار الى تلك البلدة ونزل بولس وطفق يتمشى على العشب الاخضر غير منتبه الى شيء ثم وقف على قمة الجبل واخذ يخاطب نفسه قائلاً : غداً عند طلوع الشمس وفي تلك الساعة اعلم اذا كنت قادراً على الاخذ بثأر ليوني ام لا فاذا متّ اموت سعيداً واذا حييت احيا تعيساً لانني اكون لوّثت يديّ بدم انسان وخسرت حب ليوني فوقف برهة على ذلك الجبل مفكراً في نفسه وقف بين ذلك العشب الاخضر تحت تلك الاشجار الضخمة غير متيقن ان الشمس تظهر عليه وهو حيّ وكان على قمة ذلك الجبل خيام مضروبة هناك لبعض النور الذين يتنقلون في البلاد وصنعتهم التبصير وفيما هو يتمشي رأى فتاة منهم جالسة على حجر كبير تغني بصوت رخيم وتبتسم بلطف كثير فوقف بولس يصغي الى ذلك الصوت

الذي أثر في عواطفه وأشجى فؤاده الكئيب ويتأمل في محاسن تلك الفتاة التي امامه و بعد قليل انتبهت الى وجوده فوقفت وتقدمت نحوه قائلة : أتريد ان اكشف لك بختك ايها الشاب الجميل فانني اخبرك عن ماضيك وحاضرك وعما سيحدث لك في المستقبل

فوقف بولس دقيقة متحيرًا ولو انه كان في غير هذا الوقت لما كان حفل بالتبصير ولكن ماذا يهمه الآن وحياته وموته متوقفان على ساعة او ساعتين فعلى سبيل التلهي فتح كفه كما اشارت الفتاة المبصرة التي بعد ان نظرت في خطوط راحته بامعان كثير رفعت عينيها اليه وقالت : انك انت عاشق وعشقك كان سبب شقائك .

فتبسم بولس تبسماً يدل على الارتباك والغفول وليس على السرور ومع ذلك رأت تلك الفتاة كيف تغيرت ملامحه وتخضب وجهه بلون العندم وعرفت من ذلك انها اصابت الحقيقة ·

ثم انها بعد اطراق قليل قالت بغتة : انك في خطر عظيم ايها الشاب الجميل فاهرب منه بسرعة كلية · عذاب وموت ينتظرانك على الطريق الآن !

فاخذ بولس يقول في نفسه : دعي الموت يأتي فانا الذي طلبته وانا الذي اجتلبت الى نفسي العذاب — انه حقيقة لم

يكن خائفاً من حلول الاجل مع انه كان يتصور صعوبة الموت عليه وهو في شرخ شبابه ويتصور كم هو مرّ توديع تلك الارض الخضراء وتلك السماء التي تبتسم له برونقها وروائها . كان يشعر ان الموت صعب عليه وهو منبوذ من اهله ومتروك من حبيبته ليوني . ثم انه ترك تلك الفتاة النورية جالسة هناك بعد ان اعطاها ملء قبضته من الفضة . ولو ان بولس حوّل وجهه الى الوراء لكان رأى تلك الفتاة المبصرة تمسح دموعها وتتنهد قائلة : انه اجمل من نجل ملك او امير وصوته الشجي طبع في قلبي اثرًا لا يمحى ولا بد من ان اعرف من هو ثم وضعت الدراهم في جيبها وانسلت وراءه تمشي بكل ترفق على ذلك العشب الاخضر — فهل تبعته لاجل خيره او ضيره . ان ذلك يعرف عن قريب

* * * * * *

الان نرجع الى الكلام عن ليوني التي بعد رجوعها اخذت تختلف الى المحافل وتعاشر الفتيات اللواتي من طبقتها وكانت تتمنى ان تكون دائماً مع رفيقة موءالفة لتتسلى عن ذلك الهم الثقيل على فكرها . وكان اصدقاوءها يلاحظون ذلك التغير الذي حصل لها ودائماً يعجبون بحسنها وجمالها وكانت ايمي الخادمة تراقب سيدتها واجسة خوفاً عليها من جهة تلك الفتاة دورا لانكستر التي تأكدت انها عدوتها اللدودة وفي صباح ذات

يوم افتكرت في نفسها قائلة : لا بأس اذا اعطيتها ذلك الكتاب الذي من استاذها الآن فمدة ساعة او ساعتين لا تكون فرقًا يذكر . وحالاً دخلت غرفة سيدتها فوجدتها نائمة على مقعد من القطيفة الخضراء وشعرها الذهبي محلول على كتفيها ومسترسل على تلك الوسادة الحريرية فوضعت الكتاب بجانبها على الكرسي وخرجت بكل هدوء مخافة ان توقظها وما كادت ايمي تخرج من الغرفة حتى تحركت ليوني وفتحت عينيها فوقعتا على المغلف الموضوع على الكرسي فجلست على المقعد واخذته بيدها وللحال عرفت ان عنوانه مكتوب بخط بولس راكسفورد ولكنها دهشت عندما رأت عليه هذه العبارة ,, لا يسلم الا عند ظهر الاربعاء '' — فماذا يا ترى يحمل اليَّ هذا الكتاب ! فقلبي يدلني انه نذير عذاب وويل. قالت هذا وفضت الغلاف بكل سرعة وانتشلت منه اوراقاً عديدة وابتدأت بالقراءة من الاول وقد رأت ان الكتاب مؤرخ من اليوم الذي تلا ذلك الرقص المتنكر والاوراق كان مطبوعاً عليها عنوان ذلك النزل الفخيم في الافنيو الخامس وهذه صورته :

ليوني .

حينما يصل اليك هذا الكتاب وتكونين ممسكة اياه بيدك البيضاء لتقرأيه اكون انا مقابلاً عدوي — لاضحي

حياتي او لاصرم حياته — اكون واقفاً وجهاً لوجه مع ذلك الرجل الذي تجاسر على اضطهادك في حفلة الرقص المتنكر — ان المبارزة بالرصاص لم اتعوّدها ولا خبرة لي بها بل لا اعرف عنها شيئاً وعلى ما اعلم ان ذلك الرجل تشارلي هارت هو امهر واحد في جهاتنا برمي الرصاص ولهذا ارى قلبي ينبهني انني سأموت . ولكن الموت حلو ولذيذ لديّ ياليوني اذا كان في سبيل المدافعة عن شرفك واسمك الطاهر . انني أتجاسر ان اكتب اليك على الورق ما لا اتجاسر ان اتفوه به بفمي — فانا احبك

انا سنلتقي على مفرق الطرق الواقع على مسافة ميل شمالي نيولندن كنكتيكت . وعندما تلك الساعة التي على قبة محكمة البلدة تعين الساعة الثانية عشرة يطلق كل منا النار على الآخر ولا اعلم المقدر علي

انني اذا بقيت حياً سأنزح الى مكان بعيد حتى لا تنظريني فيما بعد وانا لست من تظنين بل قد اتخذت لنفسي اسماً مستعاراً لاجل ثقتك بي — كنت عائشاً بالحيلة — لانني لست انا بولس راكسفورد

الفصل الثاني والاربعون

اصاب ليوني ارتجاف شديد عندما وصلت الى هذه النقطة من الكتاب واخذت تفرك عينيها لتحقق هل هي في اليقظة ام في المنام ام هي مختلة الشعور لا تدري ماذا تقرأ ثم انها التقطت الاوراق ثانية لتكمل قراءتها ورددت هذه الجملة ,, انا لست من تظنين بل قد اتخذت لنفسي اسماً مستعاراً لاجل ثقتك بي — كنت عائشاً بالحيلة — لانني انا لست بولس راكسفورد ''— بل هذا الاسم هو مستعار وقد كنت موجوداً في النزل في الافنيو الخامس عندما سألت عني تلك الليلة وبما انني لم اكن معروفاً هناك بهذا الاسم لم ارضَ بان اقابلك وسبب تستري تحت ذلك الاسم هو تيقني انك لو عرفت من انا لكنت طردتني من امامك كما يطرد السيد عبده وذلك مما لا اطيق احتماله لانني انا احبك واهواك . أحبك حباً لا يسع القلم ان يصفه ولا لساني ان يعبر عنه

انه احب اليَّ ان اموت لاجلك من ان احيا لامرأة غيرك وتذكري انني اذا عشت بعد هذه المبارزة سأجعل البحر العجاج بيني و بينك حتى لا انظر وجهك الجميل وحتى لا تذكري انني انا ذلك الاستاذ الفقير كنت اتجرأ وا كتب

اليك انني احبك

انني اتجاسر ان اكتب هذه الكلمات هنا — ان اترنم على هذا القرطاس بنغمة حبي لك وسأموت سعيدًا لان عينيك تنظران الى خطي على هذا الورق ولانك تقرأين هذه الكلمات التي لي الجرأة ان اكتبها ولا جرأة لي على لفظها بشفتيّ — انني ابين لك قوة حبي الذي ما كنت تعرفينه

آه ياليوني انا اعلم انني باعترافي لك بحبي جعلت بيني وبينك واديًا لا يجاز وباجترائي على محبتك قد ارتكبت ذنبًا لا يغتفر والآن أتمم ذنبي بتصريحي لك بانني حينما نظرتك اول مرّة احببتك حبًا لا يطيقه رجل في كل هذه الدنيا الواسعة ولا يمكن ان تزيله قوة . فتذكريني بعد موتي في تلك السنين التي ستقضينها سعيدة . تذكري ان ذلك الاستاذ طرح قلبه عند قدميك لتدوسيه

ان الذهب فرّق بيننا وانا حالاً عرفت انني عندما اكون فقيرًا لا تلتفتين اليّ ولكني كنت اعلل نفسي برفقك بي واشفاقك عليّ متى رأيت عظم محبتي وتذللي عند قدميك . حينما كنت منصبًا على تلقينك الدروس كان قلبي ينبهني قائلاً : احرسها . احرسها لانها مالكتي وقد اتبعتك الى ذلك الرقص المتنكر مقودًا بعاطفة قلبي وانا اشكر الله انني كنت هناك لانقذك من ذلك الرجل الذي اهانك وقد طلب المبارزة وانا

اجبته واعلمي انه لو كان لي الف روح لبذلتها محافظة على اسمك الطاهر وشرفك العزيز

انني اسألك باسم حبي لك ان تنسي ذلك الاستاذ الذي طرح حياته تحت قدميك وألتمس ان تذكري شيئاً واحداً اجابة لطلبي هذا الاخير — طلب انسان اعتقد ان اعظم سعادة عنده هي ان يضع حياته تحت قدميك ويموت — ألتمس ان توقفي عينيك ووجهك اللطيف على هذه الورقة التي تقرأينها الآن دقيقة واحدة وعندئذٍ اموت · ان قلبك مملوء شفقة ورحمة وانا متأكد انك تجيبين طلبي ولو على سبيل الرحمة فقط ـ لكي ترحمي ذلك الشاب الذي احبك الى هذا الحد

آه ياليوني يامليكة الحسن والجمال ·آه ما احيلاك جملة· ان الله كان يشاء ان نجتمع ولكن تصاريف الزمان لم تسمح وانا اتجاسر وأتكلم بهذا الكلام لعلمي انه مهما كانت الظروف لا سبيل الى ان نلتقي فيما بعد

ربما تعجبت من عبارتي الاخيرة فارجوك ان لا تتعجبي فانا احببتك حينما كنت تلك الفقيرة العاملة ليوني لالك·احببتك حباً لا مزيد عليه ولكن واأسفاه ان الثروة والغنى فرّقا بيننا وعندئذٍ علمت ان محبتي ذاهبة ضياعاً

الوداع ياحبيبتي · الوداع ! سامحيني واغتفري حبي لك ايتها الحبيبة آه ياليوني ·ودعيني · ودّعيني وارجوك ان لا

تحاولي ان تعرفي من انا ولا ماذا انا‹‹

قرأت ليوني المكتوب حتى اتت على آخره ولم تعلم من هو كاتبه الحقيقي لانه غفل من التوقيع ولكنها كانت تعرف خط استاذها جيداً ولهذا تأكدت ان الكتاب لم يكن مزوّراً ولم تكد تفرغ من قراءته حتى وقفت على قدميها صارخة : ان تلك المبارزة ليتها لم تكن ـ انني لا ادعها تحدث . واعادت النظر الى الكتاب فوجدت ان موعد المبارزة في الساعة الثانية عشرة فالتفتت الى الساعة المعلقة فرأت انها مقاربة العاشرة وكان قلبها يخفق خوفاً من ان يمضي الوقت دون ان تتمكن من اجراء شيء فقرعت الناقوس لخادمتها ايمي التي مثلت امامها مذعورة لما رأت من قوة قرع الناقوس وكانت ليوني واقفة في وسط تلك الغرفة ووجهها ممتقع اللون وعيناها العسليتان يتطاير منهما شرار الحدة والاضطراب وكانت ممسكة الكتاب باحدى يديها واضعة اياه عند قلبها ويدها الثانية ملقاة على كرسي بجانبها وحالما ظهرت ايمي خاطبتها قائلة : يجب ياايمي ان تجهزي لي ثيابي بكل سرعة لانني ذاهبة الآن ولا تدعي احداً يعلم انني لست هنا بل قولي للزائرين انني مصابة بصداع يمنعني عن مقابلة الناس واذا قلت هذا لا تكونين الا صادقة لانني بالحقيقة مريضة مدنفة . وكانت تتكلم وافكارها تمثل لها ذلك المشهد الهائل الذي ستشهده ساعة تقف وجهاً لوجه

مع عدوها تشارلي هارت الذي سيعلن امام ذلك الاستاذ انها زوجته . وكانت تناجي ربها في ضميرها قائلة : كم هي عظيمة خطيئتي حتى تبتليني بهذه المصائب فما هو ذنبي ياترى! أيوجد في كل هذه الدنيا الواسعة فتاة مثلي تجد كيفما توجهت سيفاً قاطعاً معلقاً فوق عنقها تخشى في كل ساعة سقوطه عليها . آه ياالهي ارحمني!

وكانت ايمي تنظر الى سيدتها بخوف شديد اذ ترى وجهها المبرقع بالصفرة وادلة اضطرابها المريبة فخاطبتها بصوت المتأثر قائلة : لا تذهبي ياسيدتي ليوني لا تذهبي . ثم استبقت الدموع من عينيها وقالت . آه لو انني اجسر ان اقول لك!

فاجابتها ليوني بجدة . لا تقفي هكذا وتضيعي الوقت في الكلام اذهبي كما اشرت واحضري لي قبعتي وكفوفي و برقعي الاسود لان على ذهابي تتعلق حياة انسان . اذهبي حالاً والا فاتتني الفرصة

فجاوبت ايمي وهي تبكي قائلة : آه ياسيدتي ارجوك ان لا تذهبي ودعيني انا اذهب عوضاً عنك لانني خائفة من ان تكون في الامر مكيدة نصبتها لك تلك الفتاة دورا لانكستر

فهزّت ليوني رأسها استخفافاً وقالت . ان دورا لا دخل لها في هذا الامر ياايمي فافعلي ما قلته لك حالاً لان هذه الدقائق التي مضت هي اثمن من الذهب لديّ

ولما رأت ايمي ان المعارضة لا تجدي نفعاً ذهبت واحضرت ما طلبته سيدتها فتأهبت ليوني بخفة وسرعة ونزلت على ذلك الدرج باستعجال قائلة لايمي · الوداع ياايمي واعتذري عني للزوّار بما قلته لك · وحينما وصلت الى الرصيف الخارجي رأت عربة اتت ووقفت هناك وخرجت منها دورا لانكستر التي حالما وقع نظرها على ليوني خاطبتها قائلة · أرى انني قد جئت في الوقت فانا ذاهبة لانظر تلك الصورة مرة ثانية فهل تريدين ان ترافقيني

فاجابت ليوني : انني لا اقدر على مرافقتك اليوم وانا ذاهبة الى محطة القطار لأقابل صديقاً لي حياته متعلقة بقدومي فلو كان طلبك في غير هذا الوقت لاجبتك اليه بكل سرور اما الآن فلست بقادرة

فقالت دورا : اذن دعيني اصحبك الى المحطة فان الخيل التي معي هي لكوردن وهي اسرع خيل المدينة جرياً

فركبت ليوني العربة مع دورا التي بعد ان امرت السائق بالجري التفتت الى ليوني قائلة : انني اشرت اليه بان يسير في الاسواق الصغيرة لاختصار المسافة · فاجابتها ليوني حسناً فعلت لانني اريد ان الحق القطار الاول

وبعد قليل التفتت دورا الى ليوني وقالت : لماذا لا تنظرين الى هذه الزهور المشكولة على صدري ألا تريدين

ان تشمي رائحتها · قالت هذا واخذت زهرة وادنتها من انف ليوني قائلة : أليست هذه الزهور ذكية الرائحة · انني مولعة بها لطيب عرفها

لم تكن ليوني تعلم ان تلك الزهور تحتوي رائحة غير رائحتها الطبيعية الا انها عندما شمت الزهرة التي قدمتها لها دورا صرخت قائلة : خذيها خذيها عني يامس لانكستر فانني يكاد يغمى عليّ من رائحتها واخذت تتكلم بغير وعي قائلة : انا — انا — اه انني عرفت الآن كل شيء · انك سممت هذه الزهور والان اقع مغمى عليّ بل — سأموت — سأموت سأموت !

موتي اذًا · صرخت دورا · ان موتك الآن لخير من حياتك لانك بحسنك وجمالك افقدتني حبيبي كوردن وكان ذلك نقمة عليك والآن اقول لك الحقيقة لانك مشرفة على الموت وهي ان كوردن كان يحبك حبًا زائدًا وانا اقسمت يمينًا بان افرقكما وقد ابررت بقسمي فانك موتًا تموتين الآن تحت قدميّ انا ! تموتين تحت قدمي هذه التي كنت تعذبينها ياليوني لاك !

* * * * * * *

الفصل الثالث والاربعون

تلك الرائحة السامة التي كانت تشمها ليوني كان يسري مفعولها في جسمها شيئاً فشيئاً فظلت تسمع كلمات دورا ولا تقوى على الكلام ولكن عينيها كانتا مفتوحتين وكأنها تناجي بهما دورا قائلة : ماذا فعلت انا معك . اما دورا فتابعت كلامها قائلة .

نعم انك انت تحت رحمتي الآن وسأعذبك عذاباً شديداً قبل ان تموتي واذيقك مرارة العقوبة . ولكن لا . لا . فانك لا تموتين لان كوردن يبكي على قبرك اذا مت بل سأنزل عليك انتقاماً اصعب من الموت وهو تشويه وجهك بسائل مجهز معي الآن وسأجعل منظرك سخرة للناظرين ليصير كوردن اذا التفت اليك يحول وجهه عنك اشمئزازاً من هيئتك الشنيعة ومنظرك المخيف وعندئذ اكون بلغت مرامي اكون فرقت بينكما — اكون ارجعت حبيبي اليّ — اكون اخذت بثأري منك

كانت ليوني تتململ وتحاول ان تلفظ كلمة — رحمة — شفقة — ولكنها لم تستطع ومع انها كانت متراوحة بين الموت

والحياة وعارفة ان وقعتها بين يدي مبغضة صارمة فان ذكر حبيبها كان يخطر في خاطرها وكانت تحاول ان تسأل عما اذا كان لا يزال يحبها ولسانها لم يقوَ على التحرّك

فظلت دورا متابعة كلامها قائلة ٠ الآن اقول لك الحقيقة ياليوني لانني اعلم انها آخر النقطات المرّة التي في كأسك ان كوردن كارليل احبك من اول نظرة حينما كنت تلك العاملة الفقيرة٠ احبك انت وفضلك عليّ — انا الوارثة الغنية انا التي ما كنت افتكر الا في انني سأكون زوجة لحبيبي كوردن وكنت دائمًا اغار عليه واخاف ان يرى فتاة جميلة مثلك فيتركني ولهذا حينما رأيتك اول مرة تأكدت ان خوفي كان في موضعه لانه شغف بحبك من اول نظرة وعندئذٍ اقسمت يمينًا انني سأكون عدوتك وعلمت انه لا بدّ ان تقع بيني وبينك حرب عوان اشد وبلاً من حرب السيوف القواطع لان السيف يميت في الحال اما الحب فانه يذيب ٠ وبعد التبصر الطويل وجدت ان احسن واسطة للتخلص منك هي تشويه صورتك بسائل سام لانني علمت ان حب كوردن لم يكن الا لاجل حسنك ومتى فقدته يعرض عنك حالاً ويعود اليّ ولا تحسبي انك قادرة على اشهار فعلي معك اذ لا احد من الناس يصدقك بل يقولون انك غيورة تحاولين ان توقعي الفتنة بيني وبين كوردن واقول لك امرًا ثا —

قبل ان تكمل دورا كلمتها الاخيرة اصطدمت العربة بمركبة كهربائية فانقلبت ودفعت الراكبتان كل واحدة الى جهة فنقلهما الناس الى اقرب صيدلية هناك وعولجت ليوني بالمنعشات التي افسدت مفعول الرائحة السامة و بفرصة قصيرة عاد اليها روعها اما دورا فقد وجد بعد الفحص ان رأسها مشجوج فبذلت لها العناية اللازمة ثم نقلت الى بيتها بعد ان سئلت ليوني عن موقعه وعدده

نهضت ليوني وسارت مسرعة الى محطة القطار وهي تقول في نفسها . ياالله ما اعدل احكامك فان خلاصي اليوم هو اعجوبة سماوية وانا اغفر لهذه العدوة ولا انتقم منها لانها غيورة جدًا وغيرتها دفعتها الى هذا العمل . ولما بلغت المحطة كان القطار القاصد نيولندن على اهبة الجري فركبته ليوني وما كادت تستقرّ على المقعد حتى صفر وخرج من المحطة يهدر كالرعد القاصف

كانت ليوني تعدل وقتها قائلة ـ ان القطار يصل الساعة الحادية عشرة والدقيقة الخامسة والاربعين فيبقى لي فرصة خمسة عشر دقيقة وعند وصولي اركب عربة واكون في ذلك الموقف الهائل في الوقت المعين والناس الجالسون بجانبها كانوا يلاحظون اصفرار وجهها وقلق افكارها وكانت ضامة يديها على حجرها تدمدم لنفسها قائلة : ماذا اصنع اذا تأخر القطار ـــ ماذا

اصنع - والامر الذي خشيته وقع فان القطار تأخر عن ميقاته خمس دقائق بسبب اعتراض بعض المركبات على الخط وكانت ليوني لا تصدق انه يصل الى نيولندن لشدة اضطرابها وكانت مشغولة البال بذلك الاستاذ الذي ضحى حياته لاجلها مفتكرة في ذلك الكتاب وتلك العواطف الحبية التي كشفها لها ؛ان كلامه مسّ قلبها * ياترى هل وجد حب مثل حبه . ان افضل مكافأة له هي انقاذ حياته . انها تضحي حياتها اذا اقتضي الامر لتفديه . لماذا هذا القطار لا يجري بسرعة ولماذا يتمهل هكذا . ان الشمس كانت ترسل اشعتها الذهبية على جبال كنكتيكت فتكسو ذلك العشب الاخضر لوناً ذهبياً فيلوح للناظر كقطعة واحدة من النضار الصافي . واآسفاه كيف انها اذا لم تصل في الوقت المعين يخضب ذلك العشب الاخضر بدم رجل بريء وربما يكون المقتول من الاثنين هو ذاك الذي يحبها . آه ياقطار اسرع . اسرع ! و بينما هي في مثل هذه الحالة من القلق أطلّ القطار على المدينة فنظرت ليوني الى ساعتها فرأت ان قد مضى خمسون دقيقة بعد الحادية عشرة وحين نزولها من القطار صادفت عربة مارّة فاوقفتها وقالت للسائق :

أيمكنك ان توصلني الى مفرق الطرق الذي يبعد من هنا ميلاً بثماني دقائق ؟ وكانت تتكلم وهي مرتبكة خائفة

من فوات الوقت وبدموع غزيرة ولهفة شديدة اردفت كلامها قائلة للسائق : آه قل نعم . قل نعم فعلى جوابك هذا تتوقف حياة انسان . اطلب اجرتك قدر ما تريد فانا غنية لا يهمني المال . خذ ثمن خيلك وعربتك واوصلني الى هناك

فاخذ السائق يهز رأسه قائلاً : بثماني دقائق ! اينها السيدة . ان هذا صعب لان المكان يبعد اكثر من ميل والطريق كلها موحلة ولا يمكن ان اسوق بعجلة كافية ومن برهة عشر دقائق اوصلت بعض الرجال الى هناك وانا —

فقاطعته ليوني قائلة: آه اذا تأخرت . آه اذا تأخرت . . . ابذل جهدك ياسيدي لتصل في الوقت المعين . ألا يهمك المال فانا غنية اعطيك ثمن خيلك . فان الشابين اللذين اوصلتهما قد ذهبا لاجل المبارزة وانا اريد منعهما . آه ياسيدي خذني . خذني !

فتحمس السائق حينما نظر ليوني تبكي كأنها ملاك نزل من السماء لخلاص البشر والتفت قائلاً : ادخلي العربة ياسيدتي وانا ابذل جهدي وبأقل من لمحة كانت العربة غائرة على تلك الطريق الموحلة تسابق الرياح جرياً وبالحقيقة ان ليوني لم تنسَ طول عمرها تلك الركبة في تلك العربة على تلك الطريق . فتصور ايها القارىء ذراعين مفتولتين قابضتين على اسرعة زوج من الخيل العتاق وكأن الحيوانين شعرا بحالة ليوني

فجريا ينهبان الارض نهباً والعربة كانت تتلوّى من جانب الى آخر وليوني داخلها لا يستقرّ بها المقعد

مضت ثلاث واربع وخمس دقائق ومن بين خرير دواليب العربة ووقع حوافر الخيل سمعت ليوني صوت ساعة المدينة تدق الساعة الثانية عشرة فتنهدت بجزع قائلة ٠ آه ياالهي ساعدني ! اذا تأخرت عن الوقت ٠٠٠ !

الفصل الرابع والاربعون

بعد هذه الحادثة بسنين عديدة كانت ليوني كلما افتكرت بتلك الركبة تتعجب كيف انها وصلت سالمة

كانت الخيل تثب وثباً على تلك الطريق الموحلة القديمة والسائق كان منتصباً على قدميه ممسكاً الاسرعة بيد والسوط باليد الاخرى وكلما لهثت الخيل ألهب ظهورها بالضرب لتزيد اسراعًا والعربة تتلوّى وتترجرج ومع كل ذلك كانت ليوني مصغية الى صوت ساعة المدينة وهي تدق الساعة الثانية عشرة

وكانت ليوني تفتكر في تلك الجملة التي كتبها استاذها وهي ,,عندما تلك الساعة التي على قبة محكمة المدينة تنبه الى حلول الساعة الثانية عشرة نطلق النار ولا اعلم المقدّر علي ‘‘

والآن تلك الساعة التي ستكون منذرة بموت رجل بريء

كانت تعين لهما الوقت ليكونا مستعدين للمبارزة . ياترى هل اقدر ان اصل اليهما في الوقت المناسب . آه ياالهي ساعدني !

« المبارزة »

بينما كانت ليوني تتمنى ان تصل الى مكان المبارزة قبل ان تنتهي الساعة من الدق كان ذانك الشابان يتأهبان وكل واحد منهما استوى في مركزه ومسدسه بيده وكان بولس واقفاً بقلب لا يهاب الموت ووجهه ليس عليه شيء من أدلة الاضطرات والقلق وكذلك تشارلي فانه كان ينظر الى خصمه بعين متشوقة الى الانتقام وقلبه مسرور لتأكده انه سيكون المنتصر وكان يميز لحيته وشعره الاسود الذي كان يكلل رأسه ويفتكر اين رأى ذلك الوجه قبلاً وكأنه اخيرًا تذكر شيئاً فصرخ قائلاً .

اه اننا قد تقابلنا مرة من قبل ولي عندك حساب قديم اريد ان اناقشك اياه اليوم وانا اظن انني مصيب ولا اعلم اذا كانت ذاكرتي صادقة هل انت متأهب ومستعد تمام الاستعداد للمبارزة فان الساعة قد دقت

فاحنى الاستاذ رأسه جوابا بالايجاب

وبكل سكون وهدوء وقف الاثنان متقابلين يصغيان الى

صوت تلك الساعة المنذرة بدينونة واحد منهما وعندما أتت على آخر دقة صرخ الاستاذ بصوت مختنق قائلاً · اطلق نارك فانا على أتمّ الاستعداد وفي تلك اللمحة دوى في اذنيهما صراخ امرأة حادّ مرعب ووقفت بينهما عربة يغشاها الوحل وخيلها يتحلب منها العرق وخرجت منها ليوني وهي ترتجف وترتعد واندفعت الى جانب الاستاذ

اما تشارلي فعندما نظر ليوني هناك ازداد تحمسه وهياجه فانتهر ذلك السائق صارخاً · سق هذه الخيل من امامي والا اطلقت النار عليك وعليها فانا رجل حادّ الطباع لا اطيق التلاعب ثم وثب وخطف السوط من يد السائق وضرب به الخيل بعنف فانسحبت تجرّ العربة من ذلك الموقف المخيف

وقفت ليوني وشعرها متدلٍ على كتفها وصرخت بصوت موثر · لا تفعلا · لا تفعلا · فانا اتوسل اليكما بان تتوقفا عما تنويان · انكما تفعلان هذا لاجلي ولاجلي ارجوكما ان تتوقفا

ليوني · قال الاستاذ دعيني ابرز هذا الخبيث فاما ان ادافع عن اسمك الشريف واما ان اموت في محاولة الدفاع

إذن · قالت ليوني · اسأل الثاني ان يمتنع وانطرحت جاثية على ركبتيها امام عدوها القاتل قائلة بصوت تخنقه العبرات اعفُ عنه · اعفُ عنه وقل ماذا تريد · اطلب الجزاء وعليّ

تقديه · ان هذه المبارزة كانت بسببي وانا الآن اطلب منك جاثية على ركبتيَّ ان لا تبارزه اكرامًا لي · وكان تشارلي واقفًا ينظر الى وجهها الشاخص اليه ويزداد تحيرًا في ذلك الجمال الذي لا يحدّ وكان لا يستطيع النظر الى عينيها المغرورقتين بالدموع

اما بولس فتقدم قائلاً · ان المبارزة لا بدّ منها لان الاهانة التي لحقتك من هذا الرجل تستدعي الانتقام

فاعترضته ليوني باشارة منها وقالت لعدوّها · اسمح لي ان اقول كلمة وارجوك ان تكون مصغيًا لي فانا —

فقاطعها تشارلي قائلاً · لا تقدرين على انقاذه الا بشيء واحد وهو ان تصرحي له بانك زوجتي وليس له علاقة معك واذ ذاك اعدل عن المبارزة التي انا متيقن انها تنتهي بوقوعه قتيلاً واعلمي ان امضاءك على تلك المعاهدة هو معي

فصرخت ليوني قائلة · أمن الممكن ان افعل هذا او اقول كلمة مثل هذه

فاحني تشارلي رأسه وهمس في اذنها كلمة جعلت جسمها يقشعرّ بشدّة ثم رفع رأسه قائلاً · لا شك انك تعملين بما قلت لا سيما وقد عرفت الآن انني مطلع على سرّ آخر من حياتك

فارتعشت ليوني عند سماعها هذه العبارة وحاولت النهوض

فخانتها القوى وكادت تقع مغمى عليها لو لم يسرع تشارلي ويمد يديه لمساعدتها · وعندما رأى الاستاذ ذلك تقدم مغضباً وصرخ قائلاً ·

أتتجاسر ان تضع ذراعيك الخبيثتين حول خصر هذه الفتاة الطاهرة النقية أتركها والا بادرتك بلكمة تكون القاضية عليك ·

فلم يعبأ تشارلي بكلام الاستاذ بل انعطف على ليوني وضمها قائلاً · ماذا تقولين؟ قولي له ما طلبته منك فتحصلين على نتيجة سكوتي· فلم تجاوب ليوني بكلمة ولكنها بامتعاض شديد ووجه يحاكي وجه الميت احنت رأسها المجلل بالشعر الذهبي اشارة بالقبول وكأنها تريد ان تقول · قل له انت وانا راضية

ففهم تشارلي ذلك منها وحالاً التفت الى الاستاذ قائلا: انني اتعجب من تطفلك على امور لا تعنيك حتى انك تتداخل بيني وبين زوجتي والحقيقة ابينها لك الآن فان ليوني زوجتي من مدة طويلة

لو ان صاعقة انقضت في تلك الدقيقة على رأس بولس لما كانت اشدّ تأثيرًا عليه من هذه الكلمة التي قالها تشارلي فتراجع الى الوراء كمن فوجئ بضربة قوية على رأسه وصرخ بصوت حادّ ابحّ قائلاً · لا اصدق · لا اصدق ان ليوني

زوجتك أوّاه انا —

فقاطعه تشارلي قائلاً لليوني . قولي له ان ذلك حقيقة — انت زوجتي أليس كذلك — واذكري ان حياته متعلقة على جوابك هذا

عند ذلك ساد سكوت هائل على الثلاثة وكانت ليوني واقفة كأنها في نزع الموت و بعد قليل امالت وجهها الجميل نحو الاستاذ والتفتت اليه التفاتة الشاكي بتنهد عميق كأنها تقول له . اوّاه لا ادري ماذا اصنع

فكرر تشارلي كلامه قائلاً . انت زوجتي أليس هكذا ؟ قولي الحقيقة

وعندئذٍ وقفت ليوني كتمثال منقوش من الرخام الناصع للبياض وقلبها الرقيق متألم معذب ورفعت رأسها مقابلة بوجهها الابيض عينيّ ذلك الاستاذ الذي ضحى حياته لاجلها و بصوت نحيف تخنقه العبرات وكأنه لم يلفظ من فم بشر قالت — نعم انني زوجتك

فالتفت عندئذ تشارلي الى الاستاذ قائلاً . الآن أرأيت كيف انك تداخلت بين رجل وزوجته فانت لئيم وانا شريف . انك طلبت مني المبارزة لانني كنت احاول ان اقبل حبيبتي وزوجتي وانا الآن وعدتها بان لا ابارزك. ولكنني سأنتقم منك بطريقة اخرى ايها الرجل الذي تدعي الشهامة .

وقبل ان يتمكن بولس من الجواب او ابداء حركة وثب تشارلي و بادره بلكمة على جبهته قائلاً · ان الرجل الذي يتداخل بيني و بين حبيبتي ليوني يجب ان يموت

كانت اللكمة قوية بهذا المقدار حتى ان الاستاذ وقع حالاً عند قدمي تشارلي غائباً عن صوابه وفي جبينه جرح يتفجر منه الدم و يصبغ ذلك العشب الاخضر وحينما رأت ليوني ذلك صرخت وهي تتملص من يدي تشارلي قائلة · آه انك قتلته ياباغي · انك قتلته · وترامت على الارض بجانب ذلك الشخص المطروح امامها

فقال تشارلي بغضب · غاية ما ارجو ان يكون قضى نحبه لانه تعرض بيني و بينك مراراً عديدة

فلم تكترث ليوني لكلامه بل صرخت بصوت جسور · انك قتلته ! واذا كان قد مات فاعلم — انني انا تلك الفتاة الضعيفة — انا تلك الفتاة التي خدعت بمكرك ودهائك انا — انا سأنتقم له منك !

وكأن قوة في صوتها جعلت جسم تشارلي يضطرب لان حبه لها كان عظيما حتى انه لم يكن يقوى على رؤيتها في حالة الغضب وقد عظم عليه الامر عندما رآها جاثية تبكي بجانب ذلك الشاب المطروح على الارض ولم يكن يطيق ان يرى منها انعطافاً الى احد غيره فالتفت اليها قائلاً · ليوني ·

حبيبتي · تعالي معي فليس هذا مكانك · فانتصبت ليوني اذ ذاك واقفة وقالت بصوت مرتجف مضطرب · حبيبتك — ها ها — آه ان كلامك هذا يضحكني · انت قد اضطررتني بالقوة على القول — انني زوجتك لافدي حياته اما الآن فانك كاذب · انت الذي كدرت حياتي باتباعك اياي من مكان الى مكان فانا ابغضك كل البغض — ابعد عني ولا تدن مني والا قتلت نفسي فوق هذا الشاب الذي ضحى حياته لاجلي وبذلك استريح منك اذ لا يمكنك ان تتبعني بعد ان يقفل عليّ باب الموت

شوهد في تلك الدقيقة بعض الخيالة قاصدين المكان فعرف تشارلي حالاً انهم من رجال الشرطة وقد عرفوا بالمبارزة فأتوا ليمنعوا حدوثها وعلم انه اذا بقي هناك لا بدّ ان يسوقوه الى السجن ولهذا اركن الى الفرار تاركاً ليوني وحدها بعد ان قال لها انه قبل غروب الشمس يأتي و يطلبها كزوجته وهرب متوغلاً في غابه قريبة · اما ليوني فلم تحفل بكلامه بل ظلت منحنية فوق ذلك الشاب المطروح امامها ذلك الاستاذ الذي ضحى حياته لاجلها وكانت النظارات قد وقعت عن عينيه و بينما ليوني تهتم بالجرح وتحاول منع جريان الدم مرّت يدها على لحيته المستعارة فوقعت ووقع الشعر المستعار ايضاً وانكشف لها وجه حبيبها كوردن

فصرخت ليوني بلهفة شديدة صرخة موثرة قائلة . آه
ياحبيبي . آه ياحبيبي . أصحيح انك كوردن واخذت تناديه
بكل اسم عذب عندها وتسأله ان يفتح عينيه و يخاطبها . نعم
انه كان كوردن نفسه وليس ما تراه حلمًا كما توهمت . ذلك
الشاب الجميل الذي يفوق حسنه حسن الملك اولاف (واحد
من ملوك اسوج كان مشهورا بالجمال) على عرشه ذلك الشاب
الفريد المحاسن الذي ضحى حياته لاجلها هو حبيبها ـ بولس راكسفورد
وكوردن كارليل كانا اسمين لشخص واحد

— ************** —

الفصل الخامس والاربعون

عرفت ليوني الآن السبب الذي من اجله كان قلبها يميل
الى استاذها . عرفت لماذا كان عندما يمس يدها يحدث في
قلبها تأثيرًا قويًا ولماذا صوته الموسيقي كان له في فؤادها
صدى — لانه كان كوردن كارليل حبيبها الاول الذي جعل
قلبها بالحب رقيقًا . غني وثروة اكتسبت بعد مفارقته ولكن
ذلك لم يجدها شيئًا ولم تكن تعدّ نفسها غنية بعد ان خسرت
حبه . ماذا ياترى حمل ذلك الشاب صاحب ملايين الدولارات
على ان يأتي اليها متنكرًا او ما الذي دعاه الى اجراء كل

ذلك و بغتة تذكرت ليوني كلام دورا حين قالت لها ,, انه
احبك من اول نظرة ولا يزال يحبك وقد اقسمت يميناً انني لا
بدّ ان انتقم منك لمناظرتك اياي في حبي له '' وتلك الكلمة
,, لا يزال يحبك '' دوت في اذني ليوني فجاست بجانبه
وانهضت رأسه المجلل بالشعر الذهبي والقته على فخذها تقبله
وتعيد تقبيله تكراراً هاتفة . ياحبيبي . ياحبيبي منادية اياه
بكل اسم محبوب بكل اسم عزيز بكل اسم حلو قائلة .
خاطبني ياحبيبي . ياعزيزي . افتح عينيك وانظر . ها
انني انا ليوني جاثية امامك . آه ياالهي قد اطلت تعذيبي
وانت ياحبيبي أتريد ان تأخذ بثأرك مني الآن بتلويعي .
ألا تفتح عينيك وتنظرني

وكأن كوردن اجاب سؤالها لانه فتح عينيه بغتة فنظر
ذلك الوجه المحنى فوقه . اما ليوني فمن عظم فرحها لم تعد
تعرف ماذا تصنع فانعطفت عليه تقبله بحرارة وتقول ـ انني
ما صبرت الى الوقت المعين لاقرأ كتابك ياحبيبي كوردن
بل قرأته قبل الوقت وكانت تتكلم وتبكي وتقبله في وقت
واحد .

وكان كوردن لا يزال متضعضع الحواس من قوة تلك
الضربة ولم يشأ ان يصدق ان ليوني منحنية عليه تقبله . فتنهد
قائلاً ـ ليوني هل انا في الحلم ام صحيح ان وجهك منعطف

فوق رأسي · فاذا كان هذا تخيلاً اسأل الله ان اموت الان
ووجهك فوق رأسي وهذه هي الميتة التي طالما تمنيتها · آه
ياليوني ما احلاك ·

نعم اجابت ليوني – انا حبيبتك ليوني هنا · هل رأسك
متألم؟ فان الرجل الذي لكمك قد فرّ هارباً

فرفع كوردن يده الى جبينه وشعره وعندئذٍ عرف ان
لحيته وشعره المستعارين قد وقعا وذكر ان ليوني نادته باسمه
كوردن — فتأكد ان ما يراه ليس روءيا وانه منفرد مع
حبيبته ليوني وان ذلك الرجل الذي لكمه قد هرب حقيقة
فنهض مستوياً على قدميه لا يفتكر بشيء الا بحبيبته ليوني
فقط ووقف امامها قائلاً — سامحيني ياحبيبتي على كوني
جئت اليك وانا متنكر فما كنت احسب انك ستعلمين من انا
وقد احببتك حباً زائداً لم اعد معه اطيق فراقك وانت لم
تجعلي لي فرصة لاخبرك بما جرى بيني وبين والدي في
المكتبة بل ذهبت قبل رجوعي وعند نزولي اخبروني انك
انصرفت لانك تفضلين المال علي والآن سأقص عليك ما
حدث لي مع والدي — فعندما اختليت انا واياه خيرني بينك
وبين ثروته فاجبته بدون تردد وبكل جراءة انني افضل ليوني
على ثروتك كلها · فاذاً قال والدي يجب ان تخرج من بيتي
في هذه الليلة وانا اقطع ميراثك من الآن · فرجعت معتقداً

انني اجدك في الغرفة التي تركتك فيها وكنت عازماً على ان آخذك معي واجعلك زوجتي المحبوبة ولكنني حينما رجعت اخبروني انك ذهبت فوقع هذا الخبر عليَّ وقوع الصاعقة وتصوري كيف انني بعد ان ربيت في السعة والرفاه خرجت من بيت ابي مطروداً فقيرا وانا غير متكل الا على نشاطي وعلمي ٠وكانت عزَّة نفسي تمنعني عن ان اطلب عملاً وانا في هيئتي الطبيعية فلجأت الى التنكر حتى لا يعرفني احد وكنت ابحث عنك ليلاً ونهاراً سائلاً الله ان يقدر لي روءيتك الى ان التقينا وانا متنكر وكنت اتوقع منك ان تتعشي محبتي يوماً ما عندما اكون متنكرًا لانك انت في الماضي اعترفت بانك تحبينني ٠ ثم وضع ذراعيه حول خصرها ضاماً اياها الى صدره واردف قائلاً :

انا لست معجباً ياحبيبتي وفي الوقت نفسه لست اعمى فانك تحبينني — ان ذلك الرجل الخبيث ذلك النذل ليس زوجك — انت لي ياليوني أليس هكذا — الفظي الجواب الصحيح من بين شفتيك الباسمتين

فرفعت ليوني رأسها نحو السماء وافتكرت فيما اذا كان يحسن ان تخبره ان الشريعة توجب عليها ان تكون زوجة تشارلي هارت وكان قلبها يوحي اليها ان لا تقولي له الآن بل جربي ان تكوني سعيدة بين ذراعيه ولو دقيقة واحدة٠

هل تعدّ خطيئة عليها اذا ترامت بين ذراعيه وسألته ان يقبلها · ان الله يسامحها لانها تحبه حبًا فائقًا لا يعلم به الا الله وحده فلذلك يغفر لها

فتابع كوردن كلامه قائلاً : انا لست فقيرًا كما تظنين ياحبيبتي فان والدي قد حرمني من الميراث ولكنني بكدّي واجتهادي ومشاركتي احد التجار قد اصبحت صاحب ملايين من الدولارات وثروتي الآن تعادل ثروتك وسأضحيها كلها في سبيل حبك اذا كنت تلفظين هذه الكلمة العذبة هذه الكلمة التي احب سماعها من بين شفتيك وهي — انا احبك

كيف يمكنها ان لا تجيب سؤاله وهي تحبه منتهى الحب وماذا يهمها الناس كلهم ما زال حبيبها معها وما زالت تودّ ان تشتري دقيقة من السعادة ولو كان الثمن حياتها او لو عوضت عنها بالشقاء الدائم والعذاب الملازم فرفعت وجهها نحوه قائلة · آه يا كوردن انني احبك · انني اهواك — انا — انا احبك حبًا زائدًا — ان حبي لك هو اضعاف حبك لي

فطار قلب كوردن فرحًا وابتهاجًا عندما سمع هذا البثّ فضمها الى صدره واخذ يقبلها · يقبلها و يقول — آه ياحبيبتي يامليكتي ان المثل السائر يصحّ بعض الاحيان فقد قيل لا تكره شيئًا لعل عاقبته الخير وقلما كنت احسب ان هذه المبارزة ستكون سببًا لاجتماع شملنا ولم اكن احلم انك تعلمين من انا

والآن دعينا نطرح الماضي في زوايا النسيان ونعيش كل واحد للآخر في مقبل الزمان وتعالي نذهب الى تلك الكنيسة الصغيرة في هذه المدينة حيث يعقد اكليلنا وحينما تصبحين زوجتي انا —

فقاطعته ليوني قائلة٠ آه يا كوردن دعني اكون سعيدة هذه الدقيقة الواحدة فقط ولربما تكون اخر دقيقة من حياتنا ومن الصعب عليّ الان ان اقول لك الحقيقة ولكن لا بد من التصريح بشيء فانا — انا — لا يمكن ان اتزوجك ولا اقدر ان اكون امرأتك فسامحني ولا تغضب عليّ

ما لفظت ليوني هذه العبارة حتى علا وجه كوردن الاصفرار وصرخ قائلاً ٠ لا تقدرين ان تتزوجيني ! انني لا افهم ما تقصدين وانا متأكد انك غير رائمة امتحان حبي بمثل هذا الكلام لانك تعرفينه دون زيادة امتحان فاخبريني لماذا لا تقدرين ان تتزوجيني

فلم تفه ليوني بشيء ولا اجابت بكلمة ولكنها تملصت من بين ذراعيه ووجهها يحاكي بصفرته الزعفران ولبثت تنظر اليه كالغزال المروَّع وعندما رأى كوردن سكوتها اردف قائلا ألا تريدين ان تخبريني لماذا ! واخذ يحاول ضمها ثانية بين ذراعيه القويتين متابعاً ٠ اننا ياليوني نحب بعضنا حباً ليس بعده حب وقلبانا مرتبطان بعلاقة متينة بعلاقة قوية لا يمكن

قطعها ألا وهي علاقة الحب . أتريدين انت ان تقطعيها فما
الداعي الى ذلك ؟ انا لا اصدق انك تخدعين رجلاً مثلي
بتبسمك وكلامك ومتى طرح قلبه تحت قدميك تدوسينه
غير مبالية . ليوني ليوني ! لماذا تحولين وجهك عني . فانك
تخوفينني ياحبيبتي . أليس عندك كلمة جواب على سؤالي

فاجابته ليوني والزفرات تتصعد من صدرها قائلة : آه لا
اقدر ان اجاوبك يا كوردن بل اسأل السماء مساعدتنا على
مصيبتنا هذه فاننا متفرقان يبعد الواحد منا عن الآخر بعداً شاسعاً
كما لو كان احدنا مرمياً هنا ميتاً والآخر حياً . آه اوّاه !
لا تنظر اليّ بعينيك هكذا فانك تعذبني بل تقتلني بنظرك .
آه يا كوردن ما اصعب الفراق الذي يجب ان ندعه لحمه
اذ من المحتوم ان نفترق الآن افتراقاً صعباً مرًا عليّ . افتراقاً
يميتني . فان القدر يا كوردن كتب لنا التفرّق كما فعل بمن
سبقنا من المحبين المذكورين في اسفار الغرام . ان القدر
يا كوردن جعل نصيبنا العذاب والتفرّق وهل مع القدر من
حيلة . وكانت تتكلم والدمع يتحدر على خديها الرطبين
وكوردن ينظر اليها وقلبه يتفطر لوعة واسفاً اخيرًا قال بصوت
مؤثر حنون . هل ان حبك لا يزال صحيحاً ياليوني او
انك زاهدة فيّ فانني لا اقوى على احتمال فراقك لان حبي
وحياتي قرينان متصلان فان مات احدهما يتبعه الآخر

آه يا كوردن · اجابت ليوني : انني اهواك· انني احبك آه لا تعذبني هكذا · ان القدر عدوٌ لنا وليس نصيرا وفراقنا محتوم لانني لا اقدر ان اتزوجك

فظهرت علامات الغيظ عندئذٍ على وجه كوردن وقال بصوت مضطرب : انني لا اعرف قصدك ياليوني فمن جهة تعترفين بالحب الشديد ومن اخرى تقولين ان زواجنا غير ممكن فلماذا · لماذا !

— وقفت ليوني امامه محنية الرأس و يداها النقيتان معقودتان على صدرها وكانت على وجهها علائم امتعاض شديد آه كيف تستطيع ان تخبره عن مصيبتها وتكشف له ذلك السر الذي يكون سببا لتفريقهما مدى العمر · فوقفت برهة لا تبدي حراكاً ولا تتفوه بكلمة ولم يكن يسمع الاَّ تغريد العصافير على افنان تلك الاشجار الباسقة في تلك الغابة القريبة منهما ثم ان ليوني رفعت عينيها نحو السماء كأنها تستمدّ المعونة من الله والتفتت نحو حبيبها قائلة :انني سأخبرك يا كوردن لماذا لا يمكن ان اتزوجك · انا اهواك — انا — احبك — آه يا كوردن انني احبك حبًا شديدًا حتى ليحق لي ان اقول انه لا يوجد امرأة احبت رجلاً كما احبك ولكن اواه واأسفاه ان التفرق محتوم علينا · انه يصعب عليّ التلفظ بتلك الكلمة · آه ياحبيبي · آه ياحبيبي · انني اخبرك لماذا

لا اقدر ان اتزوجك · انني مقيدة برجل غيرك · والشريعة تدعوني زوجته · آه ان الشريعة — الشريعة — الشريعة — تدعوني — تدعوني — اوّاه لا اقدر ان الفظ الكلمة يا الله ساعدني ان الشريعة تدعوني زوجة تشارلي هارت

— الفصل السادس والاربعون ·

كان كوردن واقفاً ينظر اليها كأنه لم يفهم ما قالت وكان ضاماً ذراعيه الى صدره وجامداً كالميت حتى ان ليوني خافت من هيئته هذه فصرخت قائلة : ارحمني يا كوردن فانني اقول الحقيقة · انني مرتبطة مع ذلك الرجل الذي لكمك وهرب

فاذاً · قال كوردن وهو يتمرمر ويتأوّه ووجهه الجميل يزداد اصفراراً · فاذاً اسأل الرب من سمائه ان يغفر لك اما انا فلا يمكن ان اغفر · انت تعلمين انك مقيدة بذلك الرجل ومع ذلك فقد اغريتني بمحبتك : انت تعلمين ان لا طاقة لي على مقاومة او معارضة حبك ومع ذلك لم تنبهيني بكلمة من شفتيك الى كونك متزوجة · انك استدعيت تصريحي لك بالحب مرّة ثانية ومع ذلك لم تقولي ابعد عني فانني امرأة غيرك · آه يا لعظم المصيبة فانكِ قتلتني · اهلكتني · وتكراراً

اقول انني لا اقدر ان اغفر لك اغواءك اياي وتعذيبي فانني كنت احسبك طاهرة نقية صادقة كالملائكة الذين في السماء

فقاطعته ليوني بصوت مختنق قائلة : مهلاً . مهلاً يا كوردن فانك تعذبني بل تقتلني . ارحمني — ارحمني — اشفق عليّ فانا الجانية على نفسي وانت القاضي . الا ترى كيف انك تفتت كبدي — فانني لا احبه انا —

فقاطعها كوردن بصوت متأثر وهو يحوّل وجهه عنها قائلاً: ان كلامك مما يجسم ذنبك فانا رجل شريف وعندي ان افظع جريمة يمكن ان يرتكبها رجل على الارض هي ما أرى نفسي فيه الآن — هي ان يغوي الرجل امرأة غيره . ان الله وحده يعلم مقدار اعزازي لك ولكنني الآن ارى الموت اهون من تقبيل شفتيك او لمس يدك فانك ارتكبت اعظم جريمة تستطيع المرأة ان ترتكبها ضد الرجل . انك اوقعتني في حبك و بعد ذلك خنتني وانا اقسم يميناً انني ما عدت انظر الى النساء ابداً الان لا مواثيق لهنّ ولا عهود خصوصاً هولاء الجميلات منهن فاذهبي الان الى زوجك فهناك مقامك ويجب ان تكوني بجانبه وليس بجانبي ثم قهقه ضاحكاً ضحكة ازدراء واستخفاف بها واردف قائلاً : انني اتعجب منه كيف تركك هنا ولم يأخذك معه و بالحقيقة ان هذه الحوادث التي تحصل لي على غير انتظار هي اعجب واغرب من اي قصة او

حكاية كانت . فيالفضيحة ويالعار . انني استدعيت رجلا الى المبارزة دفاعاً عن اسم تلك الامرأة التي احبها — تلك التي كنت اظن انها ملاك من السماء وكانت النتيجة انني استدعيته لانتقم منه لامرأته وادافع عنها فيالعار . وفوق كل ذلك ولكي تعظم المصيبة فهي لا تزال تقول انها تحبني — فهي كاذبة محتالة على الاثنين — انني اسأل الله ان يغفر لك ياليوني لاك

* * * * * * *

ان القدر بالحقيقة كان يعاند هذين المحبين اذ لو ان كوردن سأل ليوني ان تخبره عن كيفية حصول الزواج لكانا دون ريب تخلصا من محن كثيرة او لو انه فهم المقصود من كلامها او لو انها جثت امامه واخبرته عن حادثة تلك الورقة المزوَّرة وعن قول المحامي لها ان الشريعة تقضي بان تكون زوجته بموجب تلك الورقة لكان الاثنان تخلصا من الخطر المحدق بهما . وكانت ليوني تقول في نفسها : انه يحكم عليَّ قبل ان يسمع قصتي . آه ما اقساه وما اصلب قلبه

لو ان كوردن قال لها كلمة واحدة تجبر خاطرها في تلك الدقيقة المرَّة ربما كان حدث ما يزيد القلبين تقرباً واتحاداً ولكنه التفت اليها وقال بصوت مختنق :

الوداع الوداع ياليوني . فانني ذاهب بعيداً عنك كي لا

تنظري وجهي فيما بعد — ذاهب بعيدًا — الى احد الجبال او القفار الخالية من الناس حتى لا ارى بعيني امرأة

ما لفظ هذه العبارة ,, ذاهب بعيدًا '' حتى تقدمت ليوني وقبضت على ذراعيه بكلتا يديها صارخة : آه لا تذهب يا كوردن · لا تذهب فانني لا اقدر ان احيا بعيدة عنك

فاجابها كوردن قائلاً : كان يجب ان تفتكري في هذا الامر قبل ان حدث ما حدث · وكانت تسمع كلامه وهي تبكي بكاءً مرًا ومن شدة تأثره لحالتها حاول ان يفلت من بين يديها و يبتعد عنها ولكنها شدَّدت تمسكها به قائلة :

يجب ان تسمع لي يا كوردن — لا تعاقبني قبل ان — قبل ان — آه قبل ان —

فقاطعها كوردن قائلاً : لا تحاولي ان تغويني ياليوني فانا لست ملاكاً طاهرًا بل انسان من لحم ودم فاذا كنت تعتبرينني دعيني ابعد عنك لان تبسمك وغنجك ودلالك هي ليست لي فانا رجل ذو قلب جريح · انك استملت قلبي واسترقته من بين ضلوعي والآن أسألك ان لا تحاولي تجريبي واذكري انني لست الا بشرًا واذا وجد رجل يحرق قلبه الحب فانا ذلك الرجل · لا توقفيني دعيني اذهب · قهقهي ضحكًا مني ياحبيبتي لتزيدي حرقتي · عيريني بشفتيك المحمرتين الكاذبتين · افعلي ما يروق لك واطلبي مني ما تريدين الا

شيئاً واحداً وهو بقائي هنا . قال هذا وحوّل وجهه بسرعة يريد الانصراف ولو انه التفت اليها مرة اخرى ورأى عينيها العسليتين المملوءتين دموعاً لما بقي له عزم على مقاومتها

الوداع . قال كوردن . الوداع ياحبيبتي الخادعة . الوداع الوداع .

ولكن ليوني كانت كأنها لم تسمع فشددت التمسك بذراعه وصرخت متوسلة . آه يا كوردن - آه انني لا اقدر ان احيا دونك فخذني معك خذني معك وكان وجهها المرفوع نحو وجهه يدله على تألمها ولوعتها

فاجفل كوردن عند سماعه هذا الكلام وارتدّ الى الوراء لانه لم يكن يتوقع ان تطلب منه هذا الامر وكانت دموع عينيها المترقرقة على خدها ومنظرها المؤثر تؤكد له انها تعترف بحب شديد وهيام اكيد - آه ما اصعب هذا الموقف كيف ان حبيبين مثل هذين يكون حبهما مجلبة عذاب وتعاسة

لا يعرف الحب الا من يكابده

ولا الصبابة الا من يعانيها

وكأن ليوني من شدة هياج عواطفها لم تدرِ ماذا قالت لانها كانت تفتكر كيف يمكن ان تفارقه وهي تحبه هذا الحب

فاجابها كوردن بصوت مختنق قائلاً . ان زوجة مثلك يجب ان تكون قرب زوجها وانا ذاهب لاخذك الى زوجك

واعتذر اليه على تعرضي له ٠ آه ما اصعب هذا الامر ٠ ياسماء ساعديني فانني ما كنت احلم انك امرأته ٠ فتعالي ياليوني او بالحري يامسز هارت

آه ٠ لا ٠ صرخت ليوني : الموت ولا ذهابي من هنا الا معك انك لا تعلم ما في السرائر ٠ تعالَ قبلني مرة واحدة فقط وهذا مما يقويني على ان اصرّح لك بكل شيء ٠ قبلني مرة واحدة وهي الاخيرة

لم يكن كوردن الا رجلاً ذا طبيعة بشرية وفوق ذلك فانه كان يحبها وهذا الملتقى هو الاخير فكيف يستطيع ان يرفض طلبها فضمها بين ذراعيه واخذ يقبلها بوجد وهيام وهو يسأل نفسه كيف يمكن ان يفارقها وكيف تكون حياته وهو بعيد عنها فاعادت ليوني سؤالها له قائلة ـ خذني معك يا كوردن

في تلك الآونة ظهر تشارلي هارت بغتة من وراء تلك الاشجار وتقدم نحوهما قائلاً ـ لي كلام لا بدّ من قوله ـ فانت امرأتي وانت كيف يجوز لك ان تضع يدك عليها او تقبلها ٠

فلم يتفوّه كوردن بكلمة بل حينما رأى تشارلي ارجع ذراعيه عن ليوني فالتفت اليه تشارلي قائلاً ـ لا بدّ لنا من المبارزة ثانية لاوقع عليك العقاب لانك كنت سبب عذابي

اما ليوني فانها كانت وقعت عند قدمي كوردن مغمى عليها ولكن كوردن لم يتقدم لمساعدتها لان ليس له حق بذلك ـ ليضم رأسها الجميل على صدره ـ ليفديها بحياته ـ اذ عرف انها امرأة غيره فالتفت الى تشارلي قائلا ـ خذ امرأتك الى احد نزل المدينة وارجع فانا انتظرك هنا للمبارزة · اذهب الان من امامي

فحمل تشارلي ليونى بين ذراعيه ولحسن الحظ صادف عربة مارّة من هناك فاوقفها ووضع ليوني فيها واشار الى السائق بان يذهب بهما الى واحد من اقرب نزل المدينة واحسنها و بقي كوردن هناك ينتظر رجوعه الدقيقة بالدقيقة

الفصل السابع والاربعون

كانت تلك الليلة ليلة صيف هادئة والهلال الصغير كان طلع كجوهرة وغاب وراء ذلك الجلد الصافي من الغيوم والنجوم كانت تصعد على ذلك الدرج الجوهري بترتيب الواحدة بعد الاخرى وتضيء السماء والارض وكان جمال وهدوء تلك الليلة منتشرين على البسيطة

* * * * * *

وجهه ٠

فاردف البوليس قائلاً ٠ كوردن كارليل ! ذلك الشاب الذي طرده والده من مدة قريبة وقطع عنه ميراثه ابن جون كارليل أليس هكذا !

فاحنت مسز بارت رأسها جوابًا بالايجاب

فاخذ ذلك البوليس يفتكر في نفسه قائلا ـ ان هذه المسألة لا تقتضي وقتًا طويلاً لانني عرفت السارق من الان ودليلي ان كوردن كارليل مع كون والده قد طرده وقطع عنه الميراث فهو يقيم في احسن نزل في المدينة ويلبس احسن الاثواب فمن اين يأتيه المال اذا لم يكن سارقًا ٠ ان ليوني تحبه وعندما دخل ليسرق تلك الجواهر لم تعرفه في اول الامر وبعد ذلك عرفته وارادت ان تكتم امره لانها تحبه ولهذا لم تخبر الناس عنه وليس عليّ الآن الا التفتيش عن اشارة تدلني على السرقة ثم انه ترك مسز بارت واقفة تفتكر فيما عساه ان يصنع هذا البوليس الفطين

* * * * * * *

في تلك الليلة عند الساعة الثانية عشرة بينما كان الناس نيامًا دخل رجل و بيده مصباح صغير الى غرفة ليوني ليفتش فيها عن اشارة تثبت ما كان يجول في ظنه قائلاً في نفسه —

أن هذه الفتاة تريد ان تحمي الشاب الذي تحبه وبينما هو مهتم بالتفتيش عثر على علبة صغيرة مرصعة بالحجارة الكريمة وموضوعة فوق مكتب بديع الاتقان فاخذ العلبة وفتحها فوجد فيها صورة شاب جميل عليها اثار الدموع وقد تبسم مستبشراً عندما رأى هذه العبارة مكتوبة عليها „ كوردن كارليل حبيبي المفقود "

— ✻✻✻✻✻✻✻✻✻✻✻✻✻✻ —

الفصل الثامن والاربعون

كرجل انتصر على عدوه فاخذ يفتخر بنفسه · هكذا كان صاحبنا دلك البوليس السري عندما وضع ذلك الرسم في جيبه

وفي اليوم التالي زار كل مخازن الرهون فعثر على الماسة واحدة استلفتت نظره وبعد الفحص عرف الرجل المشتراة منه والرجل الذي صقلها واصلحها · فسئل صاحب المخزن من اين حصل عليها فاجاب ان الذي جاءه بها هو امرأة لا يمكن ان يعرفها لانها كانت واضعة على وجهها برقعاً اسود سميكاً وقد رضيت ان ترهنها عنده بعوض زهيد ثم اضاف قائلاً · ان تلك المرأة ليست من ذوات اليسار والرفاه على ما اظن وقد استدللت من هيئتها ومشيتها ان سلوكها مريب فأخذ

البوليس تلك الالماسة بعد ان دفع الى الرجل قيمة الرهن ومشى الهوينا متوجهاً نحو الافنيو الخامس وهو يفتكر قائلاً · أرى ان القضية تزداد غموضاً كل يوم فمن اين اتت هذه المرأة وما هي علاقتها مع كوردن كارليل فسأذهب الى النزل الذي فيه كوردن لعلي اراه هناك واقدر على اكتشاف شيء

وعندما وصل الى النزل افاده الكاتب ان الشاب غادر النزل من يوم واحد وقد اخذ كل ما معه فخاب امل البوليس في هذه المرة وعاد وفي عزمه الذهاب الى احدى المدن الصغيرة القريبة لاراحة فكره مدة من قلاقل الناس واراحة جسمه ايضاً و بعد ذلك يعود الى استئناف العمل بنشاط واجتهاد وعلى هذا العزم توجه توًا الى محطة القطار وعند وصوله سأل بائع التذاكر قائلاً · الى اين يسافر القطار الاول

فاجابه الرجل · ان القطار الاول ذاهب الى نيولندن

فاذًا قال البوليس · اعطني تذكرة الى نيولندن لانني اعرف هذه المدينة جيدًا وقد كنت فيها سابقاً

* * * * * * *

وصل القطار الى نيولندن فنزل صاحبنا يتمشى على مهل لانه لم يكن يقصد من مجيئه الى تلك المدينة الا اراحة جسمه

وفكره وظل يمشي طالعاً جبلاً بقرب المدينة ويتأمل في ذلك البساط الاخضر الذي تتنعم به الطبيعة على الارض وفيما هو غارق في بحر التأملات اذا بصوت من جانبه يقول له — أتريد ان تعرف حظك · فبغت اولاً من الصوت ولكنه عندما التفت ورأى فتاة نورية مبصرة قهقه ضاحكا لعدم اكتراثه بمثل هذه الامور

فاردفت تلك الفتاة كلامها قائلة ـ أتريد ان اخبرك عما فعلته في الماضي وعما سيحدث لك في المستقبل · وكانت تتكلم وصاحبنا يتبسم باستخفاف ولكنه اخيرا مدّ يده اليها قائلا · انظري لعلك ترين شيئاً

— بعد ان تأملت الفتاة في كفه ملياً التفتت اليه قائلة ـ ان مهمتك عظيمة والرموز التي رأيتها في يدك تدلني على انك ذاهب في طلب شاب وفتاة عاشقين · الفتاة سمراء اللون والشاب ابيض

فقاطعها صاحبنا قائلا ـ انني لو كنت اعتقد بالسحر لقلت انك ساحرة لانني بالحقيقة متتبع آثار اثنين فهل تقدرين ان تخبريني اين هما الآن

ـ اذهب الى مفرق الطريق الذي يبعد من هنا ميلا واول رجل تنظره اسأله عنهما وهو يفيدك ثم انها تركته بعد ان دفع لها الرسم المعين وزيادة والغريب ان الرجل مشى

متوجهاً نحو مفرق الطرق وهو لا يدري وفيما هو يمشي على مهل مفكرا في نفسه طرق اذنيه وقع حوافر خيل آتية وراءه فالتفت فرأى اثنين من رجال الشرطة كل واحد على فرس وهما يجريان بسرعة وحينما نظراه وقفا ليتكلما معه لانهما كانا يعرفانه فسألهما قائلا ـ ما هو سبب اسراعكما فهل يوجد شيء جديد يدفعكما الى السباق ؟ انا متأسف كثيرا لان ليس معي فرس لأركبه واذهب معكما

فاجابه احدهما قائلا ـ اننا لسنا في رهان ايها الصديق بل نحن ذاهبان لكي نمنع حصول مبارزة على مفرق الطرق الذي يبعد ثلاثه ارباع الميل من هنا ويمكنك ان تتبعنا مشياً لان المسافة قريبة وهكذا تركاه يمشي على اثرهما باستعجال وبعد قليل مرّت بجانبه تلك العربة التي كانت تحمل ليوني وتشارلي هارت وعندما وقع نظره على من في داخلها وقف مندهلا متحيرا واقشعرّ جسمه حينما رأى ليوني فيها واخذ يخاطب نفسه قائلا ـ ليوني لاك !! ما هو غرضها هنا ياترى وما الذي أتى بها الى نيولندن بوجه كوجه الاموات . ان ذلك مما يحيرني . ومن هو هذا الرجل الذي معها ياترى هل هو كوردن انني بالحقيقة سعيد الطالع اذ تأمل كيف ان حلقات الوقائع التي انا ساع بوصلها تتصل هي من تلقاء نفسها فبعد ساعات قليلة اعرف السارق وألقي عليه القبض ليعاقب

على ما ارتكبه

****

لم يمشِ ذلك البوليس السري الا قليلاً حتى رأى ذينك الشرطيين قد ترجلا عن جواديهما ووقفا يتكلمان مع شاب كان هناك مستنداً الى جذع شجرة فقال صاحبنا في نفسه : ان هذا الرجل هو احد الخصمين على ما يظهر فهل لليوني لاك علاقة بهذه المبارزة يا ترى وعندما اقترب من المكان لم يرَ عربة هناك ولكنه عرف من اثر الدواليب الباقي ان العربة وصلت ورجعت وكان الشرطيان يسألان الشاب عن رفيقه وهو يجيبهما انه لم يأتِ بعد وكان واقفاً يتكلم معهما وظهره محول نحو ذلك البوليس السري وعند سماعه وقع اقدام وراءه التفت واذا بذلك البوليس وثب الى جانبه صارخاً صرخة انذهال واستبشار ووضع يده على كتفه وقال بكل رصانة .

انك اسيري يامستر كارليل ! فارتد كوردن الى الوراء مذعوراً وقال بصوت مزدرٍ ما هي الشكوى ؟

— شكوى السرقة ـ لانك متهم بسرقة الماس من وارثة غنية في نيو يرك اظن انك تعرفها — مس ليوني لاك

الفصل التاسع والاربعون

نرجع الآن الى تفصيل ما جرى لدورا لانكستر التي كنا ذكرنا في ما تقدم انها اصيبت بجرح بليغ في خدها فحينما نقلت الى المنزل استدعي لها المستر كارليل امهر اطباء المدينة لاجل معالجتها وكل وسائل التطبيب والادوية ذهبت دون جدوى لان الجرح أبقى في خدها آثارًا قبيحة — هي اثار ذلك السائل السام الذي ارادت ان تشوه وجه ليوني به

وعندما طلبت دورا المرآة من مسز ستورت اخذت هذه تماطلها لعلمها انها اذا نظرت اليها ستخاف من نفسها ولما رأت دورا هذه المماطلة انتهرت مسز ستورت قائلة ـ لماذا تمانعين هكذا اعطني المرآة قلت لك وحينما اخذتها ونظرت الى وجهها رمتها من يدها صارخة ـ ياالهي ساعدني ! ماذا فعلتم بوجهي حتى اصبح هكذا واذ ذاك تذكرت كيف انها كانت هي وليوني ووقعتا من العربة وعرفت ان السائل الذي كانت تريد ان تستعمله لليوني اصابها هي نفسها فالتفتت نحو مسز ستورت قائلة ـ ماذا جرى لتلك الفتاة التي كانت معي في العربة فهل ماتت اعني مس ليوني لاك

انها لا تزال حية اجابت مسزستورت ـ ولم يحصل لها اقل ضرر ٠

فسألتها دورا ٠ هل ارسلتم علماً الى كوردن ؟

فاجابتها ـ نعم ياسيدتي وقد اخبرونا انه ذهب الى نيولندن ولا احد يعلم اي متى يعود ولكن والده ارسل اليه نبأً برقياً يستقدمه فيه وهو الآن في انتظاره

فاذًا قالت دورا ـ اعطني قليلاً من البودرة واعطني ثوبي الحريري الازرق واعتني بترتيبي ما قدرت لان كوردن سيراني وهات لي المرآة ثانية لانني ما نظرت وجهي جيداً لشدة الألم في راسي وحينما قدمت اليها المرآة تناولتها بلهفة وتشوق الى روئية وجهها ولكنه لم يكن الا كما رأته في المرة الاولى فرمت المرآة وصرخت ـ اسفي ماذا صنعتم بوجهي هل هذه مكيدة لتجعلوا كوردن يكرهني ! ولكنها عادت وتذكرت تلك الحادثة التي جرت لها

وكانت دورا تتأسف وتتأوه قائلة في نفسها ـ آه ياالهي لقد صدق من قال ,, ان على الباغي تدور الدوائر '' فان الذي كنت انويه لليوني وقع عليّ — كنت اتمنى ان اراها قبيحة المنظر شوهاء وما تمنيته حصل لي ـ اواه واآسفاه على جمالي وحسني فماذا يقول كوردن حينما يراني في هذه الصورة ٠

ثم التفتت الى مسز ستورت قائلة: اين مسز كارليل ولماذا لا

تأتي اليّ ؟

فاجابتها مسز ستورت انها مع زوجها في المكتبة وستأتي الى هنا بعد قليل ثم انها خرجت من الغرفة بعد ان التقطت كسر المرآة وحينما رأت دورا نفسها وحدها استجمعت قواها ونهضت وتقدمت نحو المرآة الكبيرة لتنظر الى نفسها ايضاً . فوقفت تجاه المرآة كتمثال من الرخام الابيض وظلت تتأمل في نفسها مدة طويلة ولم تكن في هذا الوقت تتأسف وتندب حالتها بل انقلبت الى شيطان في صورة انسان واخذت تخاطب نفسها قائلة : انه الان سيبغضني بغضاً شديداً ومحبتي له قد بلغت حدّها ايضاً — تلك المحبة التي لازمت قلبي في الماضي قد ذهبت كأنها لم تكن ولكنني اقسم يميناً الآن ان لا ادعه يتزوّج ليوني لالك . انني اقسمت هذا القسم قبلاً والان اعيده واثبته وانا واقفة امام هذه المرآة — اعيده وقلبي مملوء بغضاً وظمأً الى الانتقام . ان المستر كارليل كان يرغب ان اكون زوجة لولده ولكنه ماذا يقول الآن ياترى عندما يرى وجهي مملوءاً بالآثار المشوهة فلا ريب انه يبذل وسعه لمنع هذا الزواج وربما كان هو وامرأته في المكتبة يتحدثان الان بشأني . قالت هذا وانسلت نحو المكتبة لتتنصت عليهما

☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆

كان باب المكتبة مفتوحاً قليلاً والمستر كارليل جالساً

على كرسيه وزوجته كانت واقفة امام النار بهيئة تدلّ على اضطراب وقلق عظيمين والذي قدّرته دورا كان حقيقة الواقع لان الزوجين كانا في قصتها وكانت مسز كارليل تقول لزوجها : لا يمكن ان ارضى بما تقول لانني لا اريد ان ولدي ووحيدي يتزوّج فتاة وجهها في هذه الحالة من التشويه فماذا يقول الناس عنا ٠ان ذلك لا يحتمل!

فاجابها جون كارليل قائلاً : لا بدّ ان يتمّ هذا الزواج لان لي فيه غاية مهمة

فاجابته زوجته قائلة ـ انني سأفرغ وسعي لمنع هذا الزواج اذا استطعت لان كوردن هو وحيدي ولا بد من ان يرث ثروتنا يوماً ما واذ ذاك يصير غنياً وقادراً ان يتخذ من يريدها زوجة له

فاذاً اسمعي قال المستر كارليل منتصباً على قدميه ومتقدماً نحوها ـــ اذا كان كوردن لا يتزوّج دورا فاننا لا محالة نهلك وقد حان الوقتّ يااليسيا لاطلعك على كل شيء واخبرك عن الامور التي كنت احاول ان ابقيها مخفية عنك وعن ولدنا كوردن وانا اعلم انك ستنقمين عليّ بعد ان تسمعي كلامي ولكن لا حيلة لي فانا بين يديك فاصنعي ما تريدين و يمكنك ان تأخذي ولدك وتهجريني لانني استحق بما فعلته الهجر ٠ انا لا اطلب رحمة ولا عفواً لانني لا استحقهما

لماذا . لماذا !—صرخت مسز كارليل انني لا افهم ما تقول ولا ادري ما هي علاقة كلامك هذا بزواج كوردن

فاجابها المستر كارليل وهو منحني الرأس ووجهه مكمود قائلاً: ان دوام عزّنا متوقف على زواج كوردن ولا بد من اظهار السبب الذي من اجله يجب على كوردن ان يتزوج دورا وليس غيرها . فاسمعي يا اليسيا ان دورا لانكستر كما تعلمين كانت وارثة ثروة طائلة وحينما عينت انا وكيلا على املاكها سحبت كل مالها وضاربت به في البورصة فخسرت والآن اذا انفضح هذا الامر فاننا نسقط لا محالة اذ لا بدّ ان تقوم دورا يوماً وتطلب الحساب وهناك المصيبة العمياء ولكنها اذا تزوجت كوردن تبقى الامور على مجراها

فاذًا قالت مسز كارليل بغيظ وازدراء زائد : أتبيع ولدك الوحيد بالذهب . ألا تعرف انه يوجد وجه يمكنك ان تتخلص به من هذه الورطة وهو ان تعطي دورا مالها الى آخر ريال ولو اصبحنا نحن فقراء فنكون بذلك حافظنا على شرفنا وتحاشينا كل مسؤولية ولدينا من المال ما يكفي لان نعطي دورا مالها ويفيض منه مبلغ وافر ولكنك دائمًا تغلط في حسابك على ما أرى فانت الذي طردت تلك الفتاة الجميلة ذات العينين العسليتين . اخرجتها طريدة في الشوارع في تلك الليلة القارسة البرد . وتلك الفتاة ليوني لاك التي طردتها اصبحت الآن اغنى

كفى . كفى . صرخ المستر كارليل . قفي عند هذا الحد ولا تذكريني بتلك الفتاة ولا تعيدي ذكر اسمها في هذا البيت الا اذا كنت تريدين ان اصاب بالجنون . انني اقتل نفسي لان عذابي كان فوق ما يمكن ان احتمل

فظهرت عند ذلك ملامح الغضب على وجه مسز كارليل وصرخت قائلة والعرق يندي وجهها . من هي هذه الفتاة وما الذي تعرفه عنها

فتراخى المستر كارليل على كرسيه من شدة انزعاجه وامتقع لونه واضطربت مفاصله وعظامه واجاب قائلاً : انك الآن عرفت قصة دورا وبقي عليّ ان اطلعك على السرّ المتعلق بالثانية وهو انه من مدة سنين عديدة جاء والد ليوني الى هنا واشترى هذا البيت الذي نحن فيه الآن وكتبه باسم ابنته الوحيدة ليوني وكان سائحاً ينتقل من مكان الى آخر ومن بلاد الى بلاد ويتظاهر بانه فقير لا يملك شروى نقير وكان قد جعل ماله وديعة عندي ومن ذلك الوقت لم يطلب منه ولا ريالاً واحداً وسبب تظاهره بالفقر هو اعتقاده بان الشبان اذا عرفوا بغنى ابنته يأتون ويطلبون يدها لاجل مالها وليس محبة بجمالها الامر الذي لا يرضاه والمال الذي سلمني اياه استجلب غيره حتى اصبح اكثر من مالي الآن وقد وسوس

شيطان الطمع بعقلي فاستأثرت بالمال الذي اؤتمنت عليه معتقداً ان آلن لاك يأتي ليسترده ومن بضعة اسابيع سمعت انه مات في هذه المدينة وكان الجميع يعرفونه فقيرًا الا انا ولهذا سهل لي الطمع جعل المال غنيمة لنفسي وقد كان ضميري يوبخني على هذا الامر ولكن محبتي للذهب تغلبت على كل عاطفة شريفة وقد اقسمت ان لا ادع ابنة آلن لاك تعرف شيئاً عن ثروة ابيها وكنت لاجل ذلك ابغضها واخاف ان تأتي يوماً وتجردني من ثروتي واعلمي ياأليسيا ان وجه تلك الفتاة كان دائماً ممثلاً امام عينيّ وعيناها العسليتان كانتا تتبعانني من مكان الى مكان وانا احسب نفسي الان فقيرًا في اخر حياتي وكذلك انت — و — وكوردن وعندما تعلم ليوني لاك بما هو مكتوم نضطر الى ان نبيت في الليلة التالية خارج هذا النزل

فاذاً . قالت مسز كارليل : دعني اقول لك انك ركبت متن الشطط وارتكبت غلطاً ليس اعظم منه فلماذا حينما كنت تعلم كل هذا لم تدع ولدنا كوردن يتخذ تلك الفتاة التي يحبها زوجة له عوضاً عن ان تطردها من هذا البيت

فتنهد المستر كارليل قائلاً : انني اتمنى ان اكون فعلت اما الان فقد سبق السيف العذل ويجب ان تبقي هذا الامر سرًا بيني وبينك ولا تدعي ولدنا كوردن يطلع على شيء وابذلي الجهد في تيسير زواجه بدورا وعندئذٍ يبقى كل شيء

على حاله لان ليوني لاك من المستحيل ان تعرف شيئاً واعلمي ان الكرة اذا اخذت تتدحرج لا تقف الا في قعر الهوّة وهكذا نحن فاذا عرفت واحدة من الاثنتين لا شك اننا نسقط سقطة هائلة ٠ وانا الآن شيخ هرم ولا طاقة لي على مقابلة مثل هذه المصائب والطريقة الوحيدة لضمانة مركزنا هي ان يتمّ زواج كوردن ودورا

الفصل الخمسون

انسحبت دورا من موقفها بجانب باب المكتبة كالخيال وحينما وصلت الى غرفتها اغلقت الباب وراءها ولم تتفوّه بكلمة واحدة ولا تأوهت لانها تأكدت ان غضب الله قد حلّ عليها

هي تلك التي ابعدت كوردن كارليل عن ليوني وهي التي بدهائها دبرت تلك الحيلة الخبيثة وقيدت ليوني بتلك المعاهدة وهي ايضاً التي افرغت كنانة حيلتها لتشوّه وجه ليوني والآن اخذت تلقى جزاء ما جنت يداها

انها فقدت حسنها وجمالها وفقدت معهما ثروتها ايضاً ٠ ان تلك الساعة كانت اشأم ساعة في حياة دورا

وبينما هي واقفة تلتفت يميناً وشمالا بانزعاج وقع نظرها على نبأ برقي كانت مسز ستورت جاءت ووضعته على الطاولة في غيابها

ـــ انه من كوردن كانت تقول في نفسها وهي تفض الغلاف ولكنه لسوء الحظ لم يكن من كوردن بل من تشارلي هارت وهو مرسل من نيولندن وهذه صورته :

,,كوردن كارليل هو هنا وكذلك ليوني لاك . لا اقدر ان اصرّح لك عن كل شيء تلغرافياً فهل يمكنك ان تقدمي في اول قطار ولزيادة النحس رأيت ان الورقة الموقعة باسم ليوني قد احترقت البارحة : المنزل كله احترق ولم يتمكن الناس من تخليص شيء وسلاحي قدالوحيدجرّدت منه فامديني بالرأي او اقبلي،،
تشارلي هارت

فبدت على ثغر دورا ضحكة خبيثة وقالت : حقيقة ان المصائب لا تأتي الا دفعة واحدة . وكانت هيئتها في تلك الساعة كهيئة وحش ضار بعينين تقدحان شرارا وكانت تتنفس الصعداء بتألم شديد ـــ هل صدفة واتفاقاً كان وجود كوردن وليوني في نيولندن .كنكتيكت. في وقت واحد وهل تقابلا وكشف كل واحد محبته للاخر . وهل الحقيقة ظهرت لهما ـــ انني سأذهب الى نيولندن في اول قطار . صرخت مزبدة مرعدة وهي تمزق ورقة النبأ وترميها في السلة بجانب مكتبها .

ان كوردن كارليل لا يمكنه ان يتزوّج ليوني لاك ابدا وقسمي لا بد من القيام به ! انني اقتلها قبل ان يتم ذلك وعندئذ — وقبل ان تتم العباره مشت نحو غرفتها المخصوصة باللبس وتناولت من احد الجوارير علبة صغيرة واستفت نصف ما كان فيها وقد رأت من الضروري ان تتناول من ذلك الدواء لانها كانت معتادة ان تتناوله كلما احتاجت الى تنبيه قواها العقلية ثم انها قرعت الناقوس بعنف شديد وبعد قليل جاءت اليها مسز ستورت مسرعة . فقابلتها دورا قائلة : انني مسافرة الآن الى مدينة قريبة . انا ذاهبة في اول قطار الى نيولندن . كنكتيكت . واريد ان ترافقيني ولا تدعي احدًا يعلم بذهابنا ولا اظن ان احدًا يتفقدنا وسنرجع في قطار الليل

ولكن قالت مسز ستورت ان رأسك مشجوج ووجهك لا يحسن ان تعرضيه للهواء فضلاً عن انك ضعيفة

فقاطعتها دورا باشارة من يدها المزدانة بالحلي والجواهر قائلة : انني افعل ما يروق لي فلا تحاولي ان تقولي لي ماذا افعل وماذا لا افعل

وكانت تخاطب مسز ستورت وهي محوّلة ظهرها نحوها ولكن على صفحات تلك المرأة المعلقة تجاهها كانت مسز ستورت ترى كل حركاتها وقد رأتها انتشلت خنجرًا من الجرار ووضعته بين الثياب عند صدرها فارتعبت مسز ستورت مما

رأت وجمد الدم في عروقها — فماذا تريد هذه الفتاة ان تفعل . وتذكرت عندئذٍ ان كوردن كارليل هو في نيولندن ودورا ذاهبة الى هناك ولعلها تنوي اغتياله ولكن لا — فانه حبيبها واعزّ لديها من ان تضمر له شراً فهل تريد ان تقتل نفسها ياترى ! ثم قالت مسز ستورت في نفسها انني سأدخل معها في الممازحة فمتى رأيتها غير محترسة انتزع منها سلاحها بسهولة .

كانت دورا تلبس ثيابها بكل تأنٍّ وتستعد للسفر ووجهها المبقع القت عليه برقعاً من التفتاء الناعمة حتى لم يعد يمكن للناظر اليها ان يشتبه بها وكانت دلائل هياجها ظاهرة على خديها اللامعين وشفتيها المحمرتين وعينيها المبرقتين

وكان تأثير ذلك الدواء الذي تناولته يزداد شيئاً فشيئاً حتى انها صارت تضحك من كل كلمة تقولها مسز ستورت ولو كانت لا تستدعي الضحك وبينما مسز ستورت مارّة بجانب المكتب لحظت ورقة النبأ البرقي الممزقة والمرمية في السلة فاخذت السلة حالاً بداعي انها تريد افراغ ما فيها وخرجت من الغرفة وكانت دورا واقفة تتأمل في رسم محفور على صفيحة من الفولاذ معلقة فوق الرف وكان مأخوذاً عن امهر المصورين يمثل والداً قابضاً على ابنة له عذراء وبيده خنجر مشهر يريد ان يغمده في صدرها مفضلا ان يقتلها بيده على ان يسبيها

الاعداء

و بعد قليل رجعت مسز ستورت وكانت فهمت اهمّ ما
هو جارٍ من الامور لانها نظرت قطع الرسالة البرقية وقرأتها
فاخذت تخاطب نفسها قائلة : الآن علمت لماذا تريد الذهاب
الى نيولندن فان كوردن وليوني هناك ولكنني لا اعلم ما
الذي اوصل تشارلي الى هناك وما هي العلائق التي بينه
و بين دورا ثم ارجعت السلة الى مكانها وكانت تزداد ارتياباً
في امر دورا عندما تراها تعدل الخنجر الموجود عند صدرها
وقد حاولت ان تخاطبها بشأنه ولكنها كانت تعلم ان لا احد
يقدر ان يقنع دورا بالكلام الا رجل واحد هو كوردن
كارليل واخذت مسز ستورت تفتكر قائلة : انني سأطلع
كوردن على كل شيء واذ ذاك يكون التدبير عنده لانني اذا
قلت للمستر جون وامرأته فهما لا يسمعان لي اما كوردن
فانه يعرف كيف يهتمّ بكلامي وسأقول له ان دسائسها
هي التي ابعدت ليوني عنه واؤكد ذلك له بالأدلة الواضحة
وسأسأله ايضاً ان يترفق بابن اختي الذي ارى انه داخل في
هذه القضية ولم تكن تحلم بتلك الرواية المرعبة التي في ذلك
الوقت نفسه كان تمثيلها جارياً و بطلها تشارلي هارت

— ✲✲✲✲✲✲✲✲✲✲✲✲✲✲ —

الفصل الحادي والخمسون

,, السرقة '' هذه الكلمة كان يخالها كوردن هبطت على اذنيه من الهواء وليس من فم انسان وبينما هو ماشٍ مع البوليس السري التفت اليه هذا قائلاً : انني حزين جداً يامستر كارليل ولكن عليّ واجب لا بد من قضائه وهو القاء القبض عليك

انني لست مذنباً قال كوردن بانفة ومع ذلك سأذهب معك وهكذا ذهب صحبة البوليس السرّي الى المدينة وهو كأنه سابح في بحور الاحلام

وفي اليوم التالي كانت الجرائد الصباحية مالئة اعمدتها بهذا الخبر واكثرها كانت مبرئة كوردن من تهمة كهذه وبالنظر الى اهمية الدعوى وحسن منزلة المتهم ابتدأت المحاكمة حالاً

=« المحاكمة »=

في صباح اليوم الثاني كانت المحكمه غاصة بالجماهير التي كان اكثرها من البنات والشبان والبنات كنّ يتقدمن نحو الشاب المتهم لكي ينظرنه وكلهن كنّ من الطبقة العالية ومسز بارت كانت تقول لزوجها وهي مضطربة : ليتني ما سألت عن

ذلك الالماس ولا طلبت البحث عنه فانا حزينة جداً على ما فعلت . فاجابها المستر بارت قائلا : كان يجب ان تفتكري في هذا الامر قبل ان تلعبي بالنار لان الذي يلعب بالنار و يقول احترقت يدي يلون هو الجاني على نفسه وانا ذاهب الآن لارى ماذا يجري للمستر كارليل . ثم انه وضع قبعته على رأسه وذهب وهو مسرور لان ليوني لم تكن هناك لتشاهد ذلك المنظر الذي يزعجها وخادمتها ايمي كانت قد ذهبت فجأة دون ان يعلم بها احد

المحاكمة كانت قد ابتدأت وكوردن كان جالساً بجانب محاميه ووجهه اصفر كالزعفران تلوح عليه امارات الغيظ كلما افتكر في منزلته السابقة وحالته الحاضرة وكان الناظر اليه يحكم ببراءته لما يراه في وجهه الجميل من ادلة الشهامة وعزة النفس

فاعترف كوردن انه تكلم مع ليوني بالحديقة وافترقا وهو مغتاظ منها

وحينما كان المحامي الخصم يتكلم كنت ترى البراهين القوية والادلة الراهنة تتجمع وتسقط بقوة على رأس بطلنا الجميل مثبتة ان هو السارق

وعندما انتهت المحاكمة ساد السكوت في المحكمة بالرغم عن ازدحام الناس الذين كانوا ينتظرون صدور حكم ذلك القاضي الشيخ

وفي تلك الآونة حصلت ضجة قوية عند الباب وظهرت امرأة كانت تدفع الناس من حواليها بكل جسارة وتتقدم نحو القاضي قائلة : لا تحكم ايها القاضي لانك اذا حكمت على هذا الشاب الجالس امامك يكون حكمك غير عادل لانه بريء من التهمة وانا اخبرك عن الذي سرق جواهر ليوني لاك

فحصل عندئذ في المحكمة هياج عظيم والبنات والنساء انتصبن واقفات ورفعن بايديهن المناديل مظهرات الرضى والاندهاش وصارخات فليعش الحق فليعش العدل ! ووجه كوردن اخذت تلوح عليه علائم الاستبشار وكان متلعاً نحو الباب ليرى من هي هذه الداخله وشديدا كان اندهاشه عندما رأى انها كيت هارتي التي كانت عاملة في محله سابقاً وكان وجهها ابيض كالرخام وعيناها تتقدان بنار غريبة

فوقفت كيت امام القاضي قائلة : ان قصتي قصيرة جدا ياحضرة القاضي وارجوك ان تسمع كلامي دون ان تقاطعني . فاحنى القاضي رأسه دلالة على الرضى والقبول وقال . يجب ان لا يخرج كلامك عن الموضوع الذي نحن فيه اي السرقة المتهم بها هذا الشاب

فقالت كيت ـ انني انا كنت احدى العاملات في معمل لنكولن وكارليل وحدث انني التقيت هناك لاول مرة بمدير المعمل تشارلي هارت الذي سرق جواهر ليوني لاك ــ

السكوت كان عندئذٍ سائدًا في المحكمة كما كان عند انتهاء المحاكمة فتابعت كيت كلامها قائلة : انني كنت احب تشارلي حبًا لا يستطيع كاتب ان يصفه ولا لساني ان يعبر عنه وكان زواجنا قريب الوقوع لولا مجيء يوم تغير فيه كل شيء٠٠ ذلك اليوم جاءت فيه فتاة تطلب عملاً اجابة لاعلان من اصحاب المعمل وحينما دخلت محل العمل ووقع نظري عليها وقع لها في قلبي كره شديد لان كل جوانحي امتلأت غيرة منها لجمالها الفتان فقد كان وجهها الجميل كأنه من رسم امهر المصورين وزيادة على ذلك كان اسمها كبيت شعر لطيف آه ما احلاه انه كان ليوني لاك

عندئذٍ سمع همس بين الجمهور ولكن كيت واصلت حديثها بكل تروٍ قائلة :وكلما كان يقع نظري على وجهها كان يزيد كرهي لها وذلك لخوفي من ان يراها حبيبي فيتركني وهكذا صار لان تشارلي وقع في شرك هواها من اول مرة رآها وكان دائمًا يثقل عليها ويزعجها بكلامه حتى انها تركت العمل ومن ذلك الوقت ابتدأت محبة تشارلي لي تفتر وتبرد وكنت عارفة السبب وهو انه كان دائمًا يفتكر فيها وعندما أتى اليوم المعين لعقد زواجنا اخذ يماطلني من يوم الى آخر — لماذا — آه انا اعلم لماذا — فانه لم يكن يقدر ان ينسى ذلك الوجه الجميل — ذلك الوجه الذي كان كزهرة بين الاشواك — وجه

ليوني لاك

و بعد ان عرف تشارلي تلك الفتاة بمدة قصيرة طرد من المعمل واذ ذاك اقسم يميناً انه لا بد ان ينتقم من هذا الشاب الجالس امامك ياحضرة القاضي وقد قال لي مراراً عديدة انه يريد ان يطعن قلبه بخنجر لمزاحمته اياه في حب ليوني لاك الجميلة ٠

— كل البنات الموجودات في المحكمة تدافعن الى الامام بارتياح الى استماع القصة جيداً وكنّ ينظرن الى كوردن مبتسمات مسرورات بما جرى

فتابعت كيت قائلة — كان تشارلي بعض الاحيان يقول لي انه لا يعلم اين هي ليوني لاك ولكنني لم اكن اصدقه بل كنت اراقبه فاعرف انه يتتبع آثار ليوني كيفما توجهت

وقد كان لي بيت مبني من الحجر قرب شاطئ نهر الهدسن كنت اسكنه وفي تلك الليلة التي جرت فيها حفلة الرقص في لكسنتون افنيو جاء تشارلي الى بيتي حاملاً ليوني بين ذراعيه وهي غائبة عن صوابها وقد قال لي انه كان يحاول الدخول الى منتدى الرقص لكي يراها واذ لم يكن بيده تذكرة دعوة اضطر الى الدخول من الشباك وحينما دخل رأى تلك الحلى ملقاة على طاولة هناك فتناولها ووضعها في جيبه ولم يكد يتم عمله حتى وقعت عيناه على فتاة نائمة فهمّ

اذ ذاك بالفرار ولكن الفتاة استفاقت وصرخت باعلى صوتها فوثب لكي يسكتها و بينما هما في المعاركة وقع الوجه المستعار عنه ولما رأى انها عرفته حملها بين ذراعيه بعد ان بنجها وأتى بها الى منزلي خوفاً من انفضاح امره ولكي اوُكد لكم قولي هاكم الحلى المسروقة · قالت هذا وانتشلت قطع الحلى من جيبها ووضعتها على الطاولة امام القاضي واردفت كلامها قائلة — ان قطعة واحدة مفقودة منها ياحضرة القاضي وقد بعتها عندما عزمت اناواياه على السفر من الولايات المتحدة وانا الآن لاألتمس رحمة ولا يهمني ما تحكمون عليَّ به وحسبي انني باعترافي قد برأت شاباً جميلاً من تهمة السرقة وصنت سمعة المستر جون كارليل

— الفصل الثاني والخمسون ·

انكم تستغربون كشفي لكم هذا السرّ اردفت كيت — هذا السرّ الذي سيطرح حبيب قلبي في السجن طول عمره ولكن دعوني اكمل قصتي · انني قد تأكدت اخيراً ان وعوده لي لم تكن صادقة وان حبه لليوني لاك كان عظيماً الى حدّ انه لم يكن يقدر ان يتكلم الا عنها · وقد عرفت ايضاً

انه عول على مزايلة الولايات المتحدة و بدلاً من ان اكون انا رفيقته صمم النية على ان يأخذ ليوني بالرغم عن تمنعها وهذه هي الاسباب التي صيرتني عدوة له بعد ان كنت حبيبته وعندئذٍ اقسمت يميناً انني سأنتقم منه وهذا هو انتقامي فلتكن قصتي مثل زاجر للشبان عن ان يدوسوا قلب فتاة مملوء حباً وهياماً لاجل فتاة اخرى اكثر جمالاً واحدث سناً وما اكملت كيت الكلمة الاخيرة حتى صارت تتمايل من جهة الى اخرى واندفعت نحو كوردن مترامية على قدميه

— تلك هي الكلمات الاخيرة التي لفظتها كيت هارتي وفي تلك الدقيقة انتقلت نفسها الى موقف الدينونة امام قاضٍ اعدل من قضاة الارض

الالماس الموضوع على الطاولة امام القاضي كان شهادة كافية ببراءة كوردن واصدقاء الشاب الكثيرون الذين كانوا يعتقدون ببراءته قبل المحاكمة اجتمعوا حوله يهنئونه ولم يكن احد يعرف لماذا كان كوردن واقفاً بثبات لا يتكلم و بعد قليل ركب عربته متوجهاً الى النزل الذي في الافنيو الخامس قائلاً في نفسه . يجب ان ارجع في اول قطار الى نيولندن واذا لم ارجع يظن ذلك الشاب انني هربت منه خوفاً على نفسي ذلك اذا كان لم يسمع بما جرى لي وفي الوقت نفسه كانت قوة من البوليس السري ذهبت للتفتيش عن تشارلي

هارت وكلمة واحدة من فم كوردن كانت تغني البوليس عن عناء التفتيش ولكنه لم يقل تلك الكلمة بل كانت عزة نفسه تدفعه الى ان ينتقم بيده من عدوه الشقي

— وصل القطار الى نيولندن كنكتيكت ونزل كوردن ومشى قاصداً اقرب واحسن نزل في المدينة ولم يكن يحلم بما كان جارياً هناك

* * * * * * *

في خلال اليومين اللذين جرت فيهما محاكمة كوردن كانت ليوني نائحة نادبة نفسها ليلا ونهارا وكان منظرها مما يرثى له ويستدعي الشفقة حتى ان صاحبة النزل وابنتيها كنّ ملازمات لها دائماً لا يفارقنها ولا طرفة عين وكن يتأثرن عندما يرين شدة حزنها وكآبتها وعندما ينظرنها بعض الاحيان تبسط ذراعيها وتضمهما الى صدرها كأنها تطلب شيئاً ولا تجده وتصرخ بدون وعي قائلة — آه يا كوردن حبيبي . لا تتركني . ان الحياة باردة ومرة دونك . اين انت . آه ان القدر هو معاندي ياحبيبي . آه قبلني ولو مرة واحدة قبل موتي .

وكان اصحاب النزل قد حظروا على تشارلي دخول الغرفة لانهم رأوا ان وجوده يزيد على ليوني المصاب لانها كانت كلما ذكر اسمه تمسك يد من يكون بجانبها بارتعاد وخوف

وتهتف صارخة — خلصوني منه · خلصوني منه

ومع ان تشارلي كان لئيما شريرا فانه لم يجسر ان يقول ان ليوني لاك هي زوجته لان تلك الورقة التي كانت معه احترقت من مدة غير طويلة كما اخبر دورا تلغرافياً وكان يدبر في فكره قائلا — عندما تعي ليوني سأذهب بها الى بوسطن ومن هناك اركب الباخرة الى ليفربول وكذلك لم يرجع الى مفرق الطرق كما عاهد كوردن بل ظن ان كوردن يكون رجع الى نيويرك بعد ان فارقه ولم يكن عرف شيئاً عما حدث لكوردن لانه لم يكن يقرأ الجرائد ولا كانت تهمه وعندما سألوه في النزل عن علاقته مع تلك الفتاة قال انها شقيقته وهو يريد ان يزايل معها الولايات المتحدة ويسافر بها الى اوربا حيث تتنقل في العواصم الكبيرة لاجل ترويح نفسها وقد قضى ذينك اليومين دون ان يرى ليوني اذ لم يكن يسمح له برؤيتها

وبينما كانت صاحبة النزل مرة جالسة هي وابنتاها قالت احداهما — الظاهر ان هذا الشاب هو كاذب بقوله انه مسافر الى اوربا والذي اراه ان هذه الفتاة تحب شاباً يسمى كوردن وهو يريد ان يبعدها عنه الا ترون كيف انها دائماً تنادي ,, كوردن كوردن خذني معك " قائلة دعنا نهرب الى مكان بعيد حيث لا يعلم بنا احد وهذا مما يدلني على انها عاشقة وانا

عازمة على ان اذهب اليه واسأله ان يرحمها ويردها الى حبيبها فانتهرتها والدتها قائلة : لا تتداخلي في امر لا يعنيك فما لنا ولهذه المسائل ٠

اما تشارلي فانه كان مختلياً في غرفته يفتكر في ما يجب ان يصنع وقد خطرت في باله كيت هارتي فنوى ان يكتب اليها كتاباً وقال في نفسه : انني اتعجب من سكوتها الطويل – ولكن ما هذا — فانني ارى جسمي يقشعرّ وكرجفة برد اصابتني كأن القدر ينذرني بخطر ما مقبل اليّ — ولكن لا ٠ ها — ها — من اين يأتيني الخطر وانا في هذه المدة الاخيرة عائش كأمير او مثل ريكاردوس الثالث لا اخاف الله ولا اهاب الناس وحظي وسعدي يبسمان لي وبهما انال كل ما اطلبه فما الذي يخيفني وفي تلك الدقيقة سمعت طرقة خفيفة على الباب فدمدم قائلاً : من هذا ؟ وبسرعة كلية تقدم نحو الباب وفتحه فرأى خادماً خاطبه قائلاً — ان شقيقتك ياسيدي تريد ان تقابلك بضع دقائق في القاعة الكبرى

— اذهب وقل لها انني اكون عندها بعد قليل٠ فذهب الخادم وبقي تشارلي في الغرفة مسروراً يقول في نفسه : ها انني انتصرت عليها في النهاية وقد ارسلت تستدعيني ليتم زواجنا وتستريح من عذابها فسأرجع اليها حليها وحينما ترى

انني لم امسها تتأكد محبتي لها وعندئذٍ ترضي بان تتزوجني وعند هذا الفكر تقدم نحو جزدان صغير واخذ منه علبة من المخمل وعندما فتحها رجع الى الوراء مذعورًا وصرخ . ياالهي اين الحلي . انها سرقت ! فوقعت العلبة من يده وارتمى هو على كرسي بجانبه ثم ردد قائلاً : ياالهي ياالهي اين هي . اين هي ! انه لم يكن احد يعلم بها غير انا وكيت هارتي وعندئذٍ انتصب على قدميه بغضب شديد قائلاً : الآن عرفت كل شيء هي التي سرقتها مني وهي التي ساعدت ليوني على الهرب من بيتها وهي التي احرقت بيتها بيدها لتجعلني اظن ان ليوني احترقت في البيت ولكن لا تهمني الحلي الآن ما زالت صاحبتها موجودة عندي وسيأتي يوم فيه انتقم من كيت هارتي لاجل عملها هذا ثم انه تقدم نحو المرآة ورتب شعره ونزل على السلم بكل استعجال ليقابل ليوني في القاعة الكبرى

* * * * * *

الشمس الذهبية كانت غابت عن الابصار وراء الجلد الاقصى والليل كان قد اخذ يرخي سدوله على تلك المدينة الصغيرة وعندما كان تشارلي نازلاً على الدرج باستعجال كان كوردن في تلك الدقيقة نفسها متوجهاً الى ذلك النزل ذاته

وبينما كوردن سائر مرّت بجانبه عربة تجري بسرعة غير اعتيادية — هل خيال ما يراه ام حقيقة ! ان راكبة تلك

العربة كانت دورا لانكستر وكانت جالسة ووجهها يخال ابيض لشدة اصفراره ولكن كوردن بقي مرتاباً في ذلك اذ ما الذي يأتي بدورا الى ذلك المكان

عندما دخل تشارلي الى القاعة الكبرى وقفت ليوني ثم ارتمت على المقعد ثانية فخاطبها تشارلي قائلاً بلهجة لطيفة رقيقة : انني اتيت اجابة لطلبك ياليوني . ثم جلس على جانب من المقعد ولم يتجاسر على الدنو منها وكان احد الخدام قد أتى لينير القاعة فاشار اليه تشارلي بان لا يفعل وقال له - انني احب ان يكون النور قليلاً والنار التي هنا ضوءها يكفي وعند انصراف الخادم التفت الى ليوني قائلاً - ها انني قد اتيت حسب امرك فماذا تريدين مني

انني استدعيتك يامستر هارت لاطلب منك شيئاً واحداً .

قالت هذا ومشت متقدمة نحوه ووقعت جاثية امامه ضامة يديها الى صدرها وعيناها العسليتان شاخصتان في وجهه

قولي ماذا تريدين - اجاب تشارلي

انني اريد منك شيئاً واحداً اجابت ليوني — وهو ان تذهب وتتركني لأتمتع بالحياة مع الرجل الذي احبه فانا غنية اهبك مالي كله . كل ريال وكل شيء لي اكتبه باسمك على ورق لدى من تريد اذا رضيت ان تتركني وتذهب

فاجابها تشارلي وهو يهز رأسه قائلاً — لا تحاولي ان

تخبريني هكذا وتغريني بمالك · فانا احبك انت وليس الذهب الذي معك

فاجابته ليوني والدمع يملأ عينيها قائلة — ان الرجال اذا كانوا يحبون احدًا يشفقون ويرحمون ويخلصون من يحبونه من العذاب · وكانت تتكلم وهي رافعة عينيها الى وجهه ثم اردفت قائلة — وانا اسألك بحق هذا الحب الذي تحبني اياه ان تدعني اعيش حرّة واذا دفعني اليأس الى قتل نفسي فخطيئتي على رأسك وستجاوب عنها يوم الحشر

فاجابها تشارلي والدمع يملأ عينيه قائلاً — اعلمي ياليوني ان حبي لك هو الذي يحكم عليَّ بابقائك معي · حبي لك هو الذي يقوّيني بمناجاته قائلاً — كيف تتركها وهي حبيبتك · ان هذا لا يكون · فانت ياليوني لا تعلمين مقدار حبي لك · انني بذلت وسعي لكي احصل عليك والآن تطلبين مني ان ادعك تذهبين · ان هذا لا يكون · انه احب لديَّ ان اراك تقعين مائتة امامي ثم اموت بجانبك من ان اسلم بذهابك · انه افضل عندي ان اراك مائتة تحت قدميَّ من ان اراك عروسة كوردن · ليوني · ألا تعلمين ان حبي لك هو مبني على اساس متين لا يتزعزع · ثم احنى رأسه فوق وجهها الابيض المغطى بيديها وطوقها بذراعيه وبالرغم عنها اخذ يقبلها قائلاً — آه ياحبيبتي · ياحبيبتي · انت لي ياليوني وانا سأذهب

بك الى مكان بعيد واعلمي ياحبيبتي ان ورقة المعاهدة قد احترقت وجرّدت منها الآن فسلاحي الوحيد ضدك قد فقدته ولكن عندي سلاح آخر هو حبي لك

عندما سمعت ليوني منه هذه العبارة وعرفت ان تلك الورقة قد احترقت شعرت بنسيم امل روّح قلبها واراحه من شقائه فاخذت عندئذٍ تحاول بكل قوتها ان تتماص من بين يديه فلم تقدر وفي تلك الدقيقة دفع باب الغرفة بيد امرأة مملوءة بالخواتم والالماس

الفاتحة كانت دورا لانكستر التي بقيت برهة واقفة بجانب الباب تسمع تلك الكلمات كلمات الحب والهيام وقد زاد غضبها وهاج حنقها عندما سمعت تشارلي يقول · ليوني انني احبك حبًا لا يقدر احد ان يعبر لك عنه ولااقدر ان اصفه بلساني فاثارت هذه الكلمات جنون دورا لانها حسبت ان المتكلم هو كوردن كارليل

كان تشارلي هارت منحنيًا على ليوني وظهره محول نحو ذلك الشخص الواقف بالباب وكان النور ضئيلاً ولكن دورا كانت تلحظ وجه ليوني ورأسها الملقى على وسادة من الحرير الاحمر فوق ذلك المتعد وكالطيف الطارق مشت دورا نحو المتعد والظلام يسترها حتى وصلت الى جانب ليوني وعندئذٍ سمعت صرخة هائلة مرعبة ولمع في تلك الظلمة خنجر مرهف

وفي تلك الصرخة كانت دورا فعلت ما تريد



ـ الفصل الثالث والخمسون ـ

تلك الصرخة المرعبة تردّدت وتردّد دويها وتشارلي هارت وقع عن المقعد والخنجر الذي كان معدًا لقلب ليوني مغمد في صدره لانه كان لمح دورا هاجمة على ليوني والخنجر بيدها وعرف ماذا تريد وفي تلك الدقيقة كفر عن كل ذنوبه نحو ليوني لانه دفعها الى جانب واستقبل الضربة بصدره

وعندئذٍ صرخت دورا صرخة هائلة مريعة لانها ظنت انها قتلت كوردن فهرع الناس الموجودون في النزل عند سماع الصراخ ورفع احدهم النور فأنيرت القاعة وانجلى لهم ذلك المشهد المخيف ـ ليوني كانت منطرحة عند قدمي دورا وتشارلي كان قابضاً على يد دورا بقوة انسان تمثل له الموت وهو خائف ان تفلت من يده وتعيد طعنتها في قلب ليوني مزاحمتها الجميلة وكانت ليوني غائبة عن الصواب فحملوها من تلك القاعة ووضعوها في قاعة اخرى

ـ دعوني اذهب كانت دورا تصرخ قائلة : وهي تحشر

نفسها بين ذلك الجمهور تقاتل هذا وتدفع تلك ولكن عبثاً
كان هياجها لان المخارج سدّت في وجهها لاحتشاد الناس
وبمزاحمتها الجمهور وقع برقعها فظهر للناس وجهها الملطخ بالادهنة
والمبقع بآثار الجروح وحينما تأ كدت ان لا مناص لها التفتت
الى الجمهور قائلة :

انني لم اكن اقصد قتله بل كنت اريد ان اهوّل على
ليوني لاك فانا غلطت — وغلطتي عظيمة — ولا اطلب منكم
لا رحمة ولا شفقة فانا كنت ابغض هـذه الفتاة التي افقدتني
حياتي · هذه الفتاة التي انتزعت حبيبي مني · فحكايتي قصيرة
وهي انني احب كوردن كارليل وليوني لاك هذه كانت
تزاحمني عليه وحينما اتيت الليلة ظننت ان ذلك الرجل الذي
كان منعطفاً عليها هو كوردن فتقدمت نحوهما والخنجر بيدي
قاصدة ان اهول عليها لعلها تكفّ عن مزاحمتي وقد جرى
الآن ما جرى وانا لا التمس منكم رحمة ولا شفقة.

وكان بعض الموجودين يقولون انه يجب ان يحجر عليها
ريثما نعلم اهمية جرح الرجل وحالته فحملها اربعة رجال ووضعوها
في احدى الغرف واوقفوا واحداً منهم ليحرسها خوفاً من ان
تنتحر

وفي القاعة الكبرى كانت مسز ستورت جاثية بجانب
ابن اختها تقبله صارخة : ياحبيبي · ياحبيبي · وكان الطبيب

قد أتى و بعد اجراء الفحص قال ان حالة الجريح خطرة وسيجود بروحه بعد وقت قصير

ارسلوا من يستدعي كوردن كارليل ٠ قال تشارلي بصوت ضعيف فانا لي معه كلام ولا اريد ان اذهب الى القبر و يدفن هذا الكلام معي.

* * * * * * *

كان كوردن كارليل في تلك الآونة قد وصل الى النزل و بكل سكون وهدوء ادخلوه الى القاعة الموجود فيها تشارلي هارت وكان الطبيب بجانبه من جهة وخالته من الجهة الاخرى تبكي وتنتحب وعندما وقع نظر تشارلي على كوردن اومأ اليه بان يجلس بجانبه وفي هذه الساعة اعترف بكل ما فعله من الاول الى الآخر و بين له كيف ان ليوني كانت دائمًا تهرب منه ولا تريد ان تراه واخبره عما صنعته عندما وقعت على تلك المعاهدة وسرد له كل ما جرى دون اقل تنقيص ثم انه اي تشارلي قال ٠ والآن انا ذاهب واسأل الله ان تتمتعا بالسعادة والتوفيق وقل لليوني انني قد كفرت عن ذنوبي بتخليصي اياها من القتل واسألها ان تغفر لي

ذهبت مسز ستورت في طلب ليوني وهي تخاطب نفسها قائلة ـ آه ما اخطر الحب فانه يقتل صاحبه والشاهد على ذلك

ما وصل اليه ابن اختي ولكن لا لوم عليه فانه كان يحبها وحينما وصلت الى القاعة التي كانت ليوني فيها دهشت عندما رأت المكان خالياً

وعندئذ حدثت جلبة شديدة في النزل لان الناس طلبوا ليوني فلم يجدوها ولم يكن احد رآها خرجت من النزل ففتشت كل الغرف ولكن ليوني لم تظهر و بينما هم في حيرة من الامر قال واحد يوجد غرفة واحدة لم نفتحها بعد وهي غرفة دورا فدعونا نفتحها وهكذا فعلوا ففتحوا الباب بكل هدوء لئلا يزعجوا دورا وعندئذٍ شاهدوا منظراً كان تأثيره عظيماً فيهم وظل رسمه مطبوعاً في افكارهم طول اعمارهم

الرجال الذين كانوا يحرسون الغرفة كانوا واقفين هناك يبكون من شدة التأثر

ليوني لاك كانت في الغرفة ودورا كانت منطرحة على سرير تغشاه الغلائل الناصعة البياض ورأسها مسند الى صدر ليوني

بعد تلك الحادثة بسنين عديدة كانت ليوني تخبر كيف انها وجدت في تلك الغرفة فقالت ان الهيجان الذي حصل لها كان شديداً حتى انها تركت غرفتها وعلى سبيل السهو دخلت الغرفة التي كانت فيها دورا وحينما ظهرت من الباب ظنت دورا انها آتية لكي تعذبها فصرخت قائلة — ارحميني ياليوني

فانا على شفير الموت ولم تكمل كلمتها حتى صارت ليوني بجانبها وانهضت رأسها ووضعته على جنبها متأملة في وجهها الذي كانت ظاهرة عليه علامات الموت وكانت دورا تتململ على السرير وتبتعد عنها خائفة منها ولكن ليوني خاطبتها قائلة — لا تخافي يادورا فانني اغفر لك

فاجابتها دورا — انك لا تقدرين ان تغفري لي لان خطيئتي اليك اعظم من ان تغفر

فقالت ليوني — انني اقدر وقد فعلت ولا يهمني كل ما صنعته ثم انها جثت بجانبها ووضعت رأسها على صدرها واخذت تقبلها قائلة — انني اغفر لك يادورا كل ما اسأت اليَّ به .

فاجابتها دورا بصوت تخنقه العبرات — انني انا وحدي التي فرقت بينك وبين كوردن وسيعاقبني الله على هذه الخطيئة والآن اخبرك عن الوسائط التي استعملتها للتفريق بينكما ولك بعد ذلك ان تفعلي ما تريدين ويمكنك ان تنتقمي مني بهذا الخنجر الملقى امامك ولكن روحي ستفارق جسدي قبل ان اكمل قصتي وهكذا اعترفت دورا بكل ما فعلته وفي النهاية قالت — الان صرت تعلمين كل شيء . ولكن ليوني كان من طبعها ان تغفر لكل من يسيء اليها وقلبها النقي كان كقلب ملاك سماوي وقد عرفت ان ما

فعلته دورا كان يدفعها اليه حبها الشديد لكوردن فقبلتها قائلة : انني اغفر لك من صميم قلبي يادورا واسأل الله ان يغفر لك كما غفرت انا

— وكوردن — هل هو — يغفر لي ايضاً

نعم . اجابت ليوني : دورا ! حبيبتي . نعم ان كوردن يغفر لك . وعندئذٍ دخل كوردن الى الغرفة لان مسز ستورت كانت اخبرته عن ذلك المشهد المحزن وقد سمع هذه العبارة ,, وهل هو يغفر لي ايضاً '' فتقدم نحوها بانعطاف وعيناه الزرقاوان تجودان بالدمع السخين لانه كان يعلم ! حب دورا له وخاطبها قائلاً : ان تشارلي هارت سيعيش فلا تنزعجي من شيء .

فاذًا : قالت دورا سأنشر تنبيهاً للبنات فيه احذر كل فتاة من ان تعشق من لا يبادلها الحب ولا يعشقها لان الحب تتعلق عليه حياتها وآمالها واصعب شيء على الفتاة العاشقة ان ترى ان حبها غير مقبول عند من تحبه ولتكن قصتي نصيحة لكل فتاة تسمعها وليحذر البنات من ان يدعن الغيرة تتأصل في قلوبهنّ . وبعد ان لفظت هذه الكلمة الاخيرة اخذت يدي المحبين وضمتهما الى بعضهما قائلة : كوني شفوقة عليه ياليوني . واريد منه بعض الاوقات عندما تكون الشمس مرسلة اشعتها على سطح الارض والعصافير تغرد على الاشجار

ان يأتي و يركع على قبري وعندئذٍ اكون راضية و بعد قليل اصبحت هذه الفتاة التي قتلها حبها بغير وعي

الفصل الرابع والخمسون

دورا المسكينة ! قالت ليوني نادبة · آه يا كوردن انها ماتت · آه يا كوردن انها ماتت

ولكن دورا لم تكن ماتت بل كان ملاك الموت يرف فوقها ولم يكن ختم على جبينها ختم الموت بعد واجفانها كانت تختلج قليلاً · وكانت تتبسم تبسم المحتضر وحينما نظرت وجه كوردن فوق رأسها وهو جاثٍ بجانبها بسطت ذراعيها كالطفل الصغير الضعيف و بغتة انتعشت على السرير صارخة: خذني بين ذراعيك مرة واحدة يا كوردن · دعني اموت بين ذراعيك ناظرة الى وجهك · خذني آه خذني

فاحجم كوردن عن اجابة طلب دورا متردداً وعندئذٍ اخذت ليوني ذراعيه وألقتهما حول دورا قائلة ـ كن شفوقاً عليها ثم ضمت رأس دورا الى صدرها قائلة ـ قبلها فانها كانت تحبك · فتأملوا ايها القرآء في هذه الفتاة التي نغصت دورا حياتها ما اعظم رحمتها وحنوها وكانت ليوني تتكلم وعيناها

تجودان بدموع غزيرة دموع شفقة ورحمة دموع حنوّ ورأفة

****

ان الله استجاب صلاتي كانت دورا تتمتم قائلة ـ لانني كنت اطلب منه ان لا يميتني الا وانا بين ذراعيك وان يكون وجهك آخر وجه انظره · انك تدعني ألمسك قليلاً فان وجهك يتمايل امامي · آه ما احلاه! انني مائتة يا كوردن والآن وانا على حافه القبر اقول لك ان خطيئتي الوحيدة كانت محبتي العظيمة لك · انا اعطيتك الحب الذي كان يجب ان اعطيه لله · فانا حييت لاجلك والآن اموت لاجلك ولكن مهما كانت خطيئتي فان العذاب الذي قاسيته كاف ليكون كفارة عن ذنوبي

بقلب مملوء رحمة وانعطافاً ضمّ كوردن دورا الى صدره واخذ يقبلها تكراراً قائلاً ـ انني اغفر لك من صميم فؤادي يادورا ـــ اغفر لك واسأل الله ان يغفر لك ايضاً مثلي

فاذاً اجابت دورا بصوت يكاد لا يسمع ـ عاهدني بانك لا تنساني حينما اتوارى عنك الآن واعلم انه لا يوجد احد يقدر ان يحبك بمقدار ما احببتك انا والآن رغبتي الوحيدة هي ان تتزوّج ليوني بعد ان اموت · انه كان خطيئة مني ان احبك اكثر من الله · آه خطيئة خطيئة عظيمة · آه لو انني استطيع ان اكتب شيئاً عن

الغيرة ليكون زاجرًا للفتيات اللواتي هن مثلي — ذلك الصوت صوت الغيرة يدوي في قلبي وقد كان سببًا لهلاكي · آه يا كوردن ها انني واقفة ياحبيبي فمنطقني بذراعيك · آه انني واقفة على جزيرة في وسط البحر جزيرة كلها خضراء والماء حوالي · خلصني · خلصني فانني سأغرق · آه انني حديثة السن والموت جاءني قبل الأوان والحب يحرق قلبي — ها ان المياه تغطي الجزيرة وبعد قليل تغمرني · انظر يا كوردن · انظر فان الامواج ترتفع فوقي خلصني خلصني — انظر كيف ترتفع المياه انظر!

ان المشهد كان بالحقيقة موثرًا للغاية لان دورا كانت واضعة ذراعيها حول عنقه تضمه نحو صدرها ونظرة الى وجهها كانت تفسر للناظر حبها · اما ليوني فانها في تلك الآونة انسلت من الغرفة بهدوء لئلا تزعجهما تاركة اياهما مختليتين كما طلبت دورا

كوردن · كانت تقول دورا · كوردن! حينما يتكلم عني الناس دافع انت عني لانك تعلم حبي الشديد لك · انني باسم هذا الحب اطلب منك ان تغفر خطيئتي واطلب منك شيئًا آخر وهو انه يوجد عندي في البيت واحد من رسومك فضعه معي في القبر ليهديني شعاعه الى طريق السماء كما كان نور وجهك يرشدني في الحياة · في حياتي كلها كنت انت الكوكب الوحيد

الذي يضيء امامي فدع رسمك الان يكون القمر الذي يهديني
وانا قد تعلمت الان ان احب ليوني من كل قلبي وسأعطيها
اياك بكل رضى فانها تستحقك اكثر مني اعطيها اياك
تكفيرًا عن اساءتي اليها · قبلني يا كوردن فان الماء يغمرني
ان البحر يجذبني من بين ذراعيك · آه يا كوردن ! كوردن !
حبيبي المفقود ! ياحبيبي ان المياه تواري وجهك عني · اسرع
اليّ وقبلني لان الامواج حجبت نور وجهك عني

فاحنى كوردن رأسه بسرعة وقبلها فولولت عندئذٍ قائلة:
الوداع يا كوردن فان المياه حجبت وجهك عني

وبغتة انحلّ ذراعاها عن عنقه وكانت دورا المسكينة
قد فارقتْ الحياة وحينما وضع كوردن رأسها على تلك الوسادة
الحريريه واخذ يقبلها مرارًا خيل له انها تبتسم وهي
مائتة لانه قبلها ولكن لم يكن ذلك تبسماً بل ظهر وجهها باسما
من اشعة الشمس التي كانت مرسلة عليه تغشيه بنور ذهبي ·
هذه آخرة تلك الفتاة التعيسة التي ذهبت شهيدة الحب —
دورا لانكستر

هو الحب فاسلم بالحشا ما الهوى سهل
فما اختاره مضنى به وله عقل
وعش خاليًا فالحب راحته عنا
واوله سقم وآخره قتل

الفصل الاخير

— الملتقى —

بعد مضي اسبوع على تلك الحادثة وزعت اوراق الدعوة على الاصدقاء تدعوهم الى ذلك القصر الفخيم في لكسنتون افنيو وذلك العريس الذي لم يكن نظر ليوني من يوم تلك الحادثة وقف هو واياها امام مذبح الله ليعقد اكليلهما وكانت الزهور تتوارد من كل مكان والرقص كان متواصلاً في القصرين (اي في لكسنتون افنيو وفي منزل كوردن في بروكلن) وكان العريس لا يكاد يصدق ان تلك الليلة قدمضت فأخذ يضم ليوني بين ذراعيه و يقبلها قبلة حب وشغف قائلاً : ان حبنا لم اقرأ عن حب مثله في زماني كله ياحبيبتي ولا يوجد حبيبان تفرقا مثلنا ثم التقيا فنحن سنحيا لبعضنا ياحبيبتي

فلم تجاوبه ليوني بشيء غير انها طبعت على شفتيه قبلة لطيفة واخذت تلقي وجهها على صدره وتشبك ذراعيها حول عنقه .

وكوردن كان يقبلها بلهفة وانعطاف لان حبه كان شديداً يضمها الى صدره و يقبلها قبلات متواصلة قائلاً : آه ياحبيبتي

لو تعلمين ما اسعدني

— ************** —

في اليوم الثاني كتبت الجرائد تهنئ العروسين وتدعو لهما بالتوفيق وبعضها كانت ناشرة صورة العروسين وراوية قصتهما التي كان الناس يقرأونها و يتعجبون لانهم لم يسمعوا مثلها قبلاً

ولم يعرف احد شيئاً عن سيرة جون كارليل ولا عن خسارة دورا

—{******************}—

طفلة صغيرة لا تتجاوز السنتين من العمر كانت الان تلعب في ذلك القصر الفخيم في لكسنتون افنيو وشعرها الذهبي الجعد وجمالها الذي كان يشبه جمال والدتها كانا موضوعاً لاعجاب كل من يراها وعندما كان يسألها احد عن اسمها كانت تجيب : ان والدي يناديني ,, يامدللة ‘‘ ووالدتي تناديني دورا

* * * * * *

في تلك المقبرة بجانب كنيسة ترينيتي اي الثالوث كان قبر دورا وكان المارّ من هناك ينظر اليه ويتأمل قائلاً في نفسه : آه ما امرّ الحب لاناس وما احلاه لاخرين وكان كوردن قد اشترى القبر وغرس فوقه شجرة

عالية ذات اغصان متدلية تظلل القبر من الشمس، وتمنع المطر من ان يسقط عليه ويبلله والعصافير كانت تأتي وتغرّد فوقه وتسأل الله ان يرحم الثاوية فيه

اما تشارلي هارت فلم يعد لنا عنه الا القليل من الكلام لانه هجر الولايات المتحدة وذهب ولم يعلم احد بما جرى له

وكوردن وليوني كانا موتلفين عائشين على اتم الهناء والرغد

* * * * * * *

في مساء ذات يوم بينما كان الزوجان السعيدان واقفين امام صورة معلقة على الحائط ضمّ كوردن زوجته المحبوبة الى صدره بانعطاف شديد واخذ يقبلها قائلا — اي ليوني . انظري الى هذا الرسم فانه رسمك عندما كنت ليوني لاك الفقيرة وها انت الان ترفلين بالحرير والذهب والجواهر تزين معصميك ولكن حبي لك كان في الماضي كما هو الان وبالحقيقة ان قصتنا يحق ان تجمع في كتاب وتودع في خزانة كل قارئ . وسأكتب على هذا الرسم ايتها الحبيبة هذه الكلمات بماء الذهب لتكون عبرة لكل من ينظر اليها وهي

❊ ان على الباغي تدور الدوائر ❊

— انتهت —

تحية وسلام

وبعده · نقول بان محل دانيال يوسف فاعور واخوانه في نيو يرك المؤسس من سنة ١٨٩١ هو الآن من اكبر المحلات السورية فان تجارتهم ممتدّة بين ابناء الوطن في كل العالم — يتاجرون بجميع انواع البضائع مثل ملبوسات (للذكور والاناث) واقمشة وخروجة وتخريم وخردي ومجوهرات · وعطورات زكية الرائحة جدًا (منها كالون فاعور المثلث الذي تدوم رائحته طويلاً من الزمن لانه مستقطر من اطايب الازهار من ورد و بنفسج الخ · ويتبع ذلك كالون يوسف بك كرم ماركة فاعور ايضاً · وكالون سيريان بل · وسويت سكستين · والصابون المعطر من احسن الاجناس) وساعات وعوينات · وقواطع نخص منها بالذكر بواليد فاعور — ويوسف بك كرم · وقيصر ويليم · وماكنلي · ومقصات · وماكينات · وغيره · مما يمكنهم تصريفه باسعار متهاودة ولا يمكن لسواهم ان يجاريهم بها

ثم هم اصحاب البنك السوري الوحيد الذي يسلف دراهم تحت رهينة او امضاوات مقبولة ويسحبون بوالس على اوربا وجميع الممالك العثمانية تقبض بحال الاطلاع · ويبدلون دراهم · ويصرفون تشيكات ·ووكلاء اكبر شركات فابورات تقطع

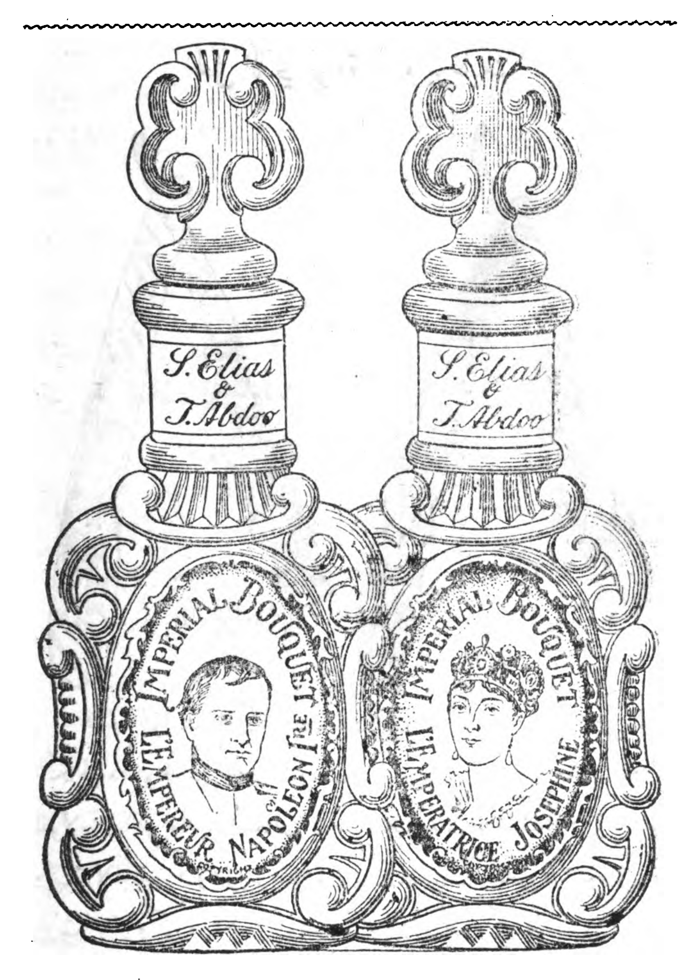
اوراق سفر من سوريا الى نيويرك ومن نيويرك لسوريا ولكافة الجهات . ويقبلون كلما يرد لهم من المحصولات برسم التصريف تحت كومسيون مرضي ويسلفون عليها وبنجاحهم يتأكد لهم حسن ثمارهم وهذا عنوانهم

* * * * * * *

المحل الذي يوافقك ويرضيك



هذه البواليد ماركة اسعد بك كرم وصورة الجمل على تعداد اشكالها مصنوعة على حسابنا ومسجلة باسمنا وهي من احسن اجناس الفولاذ الماضي ولدينا اصناف غيرها مصنوعة لاسمنا ايضاً بواليد صورة ملك الانكليز . وصورة نابوليون وواشنطون . وصورة ستوسل بطل بورت ارثر وكورو بتكين . وصورة او ياما وكوروكي اليابانيين ونكفل جودتها جميعاً ولما كان صدق القول لا يتبين الا بالتجربة فاننا نرسل دزينة من كل صنف الى من يشاء لاجل الاختبار ونرضى باسترجاعها بعد مرور سنة اذا لم تنفق



كذلك لدينا كالون نابوليون وجوزفين وفكتوريا واسعد بك كرم وغيرها من الانواع المسجلة لاسمنا والتي صادفت رواجاً وشهرة عظيمين هذا فضلاً عن جميع اصناف الاقمشة والبضائع التي يتاجر بها ابناء الوطن مثل طقومه رجاليه وتنانير نسوانيه حرير وجوخ ومقصور



Max Klaas

298 Broadway

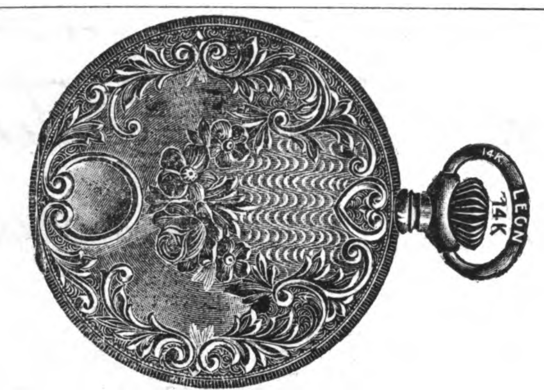
New York City





نصطنع جميع انواع البواليد والمقصات والسكاكين
من احسن جنس والتي منها تكون مختومة بماركتنا الخاصة
الظاهرة اعلاه تكون مكفولة منا بنوع خاص · وهذه الاجناس
الخصوصية التي نصطنعها لحسابنا نراعي فيها مراعاة خصوصية
المشتري · هذا فضلاً عن اننا نحفر ونرسم على البواليد
بنظافة ومهارة فائقتين جميع الرسمات المرغوبة

— ************* —

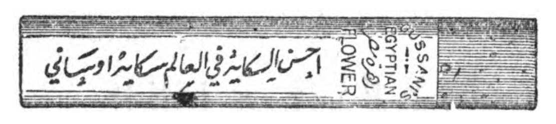

14K
LEON
14K



DAVIDS HARP
TRADE MARK
CH MESSNER & CIE

---

* * * * * * *



E. T. Hillyer

349 Broadway

New York City.

نتعاطى شغل الكومسيون باغطية الفرشات

EDLISON & SHAPIRO

38 Lispenard St.

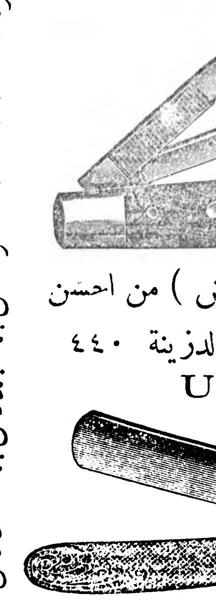
New York City

جاكاتات نسوانية وولادية



J. ULERY

9 Warren St. New York City

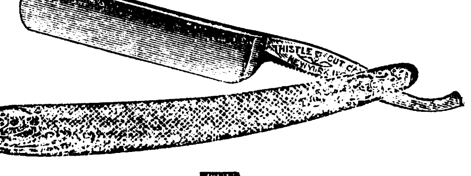


نمره ٥٧٨٥ هذه الطسة مصنوعة من جهة جلد ومن جهة كتان وثمن الدزينة ١٧٥

سكين جيبة المسماة (نابانوش) من احسن

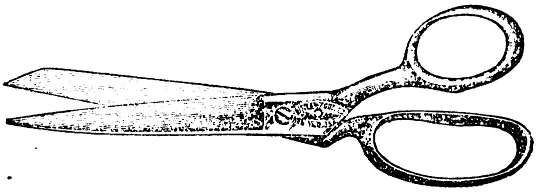
جنس فولاذ مصنوع وثمن الدزينة ٤٤٠

U. S. A.



نمره R ٧١٠٢

البولاد المعروف بالسبشل براند ثمن الدزينة ٤٤٥



نمره ٢١٧٧ — هذا المقص من الفولاذ ومسكته سودا ثمن

الكروس ٩ انش ١١,٠٠ ٨ انش ١٠,٠٠ ٧ انش ٨,٦٥

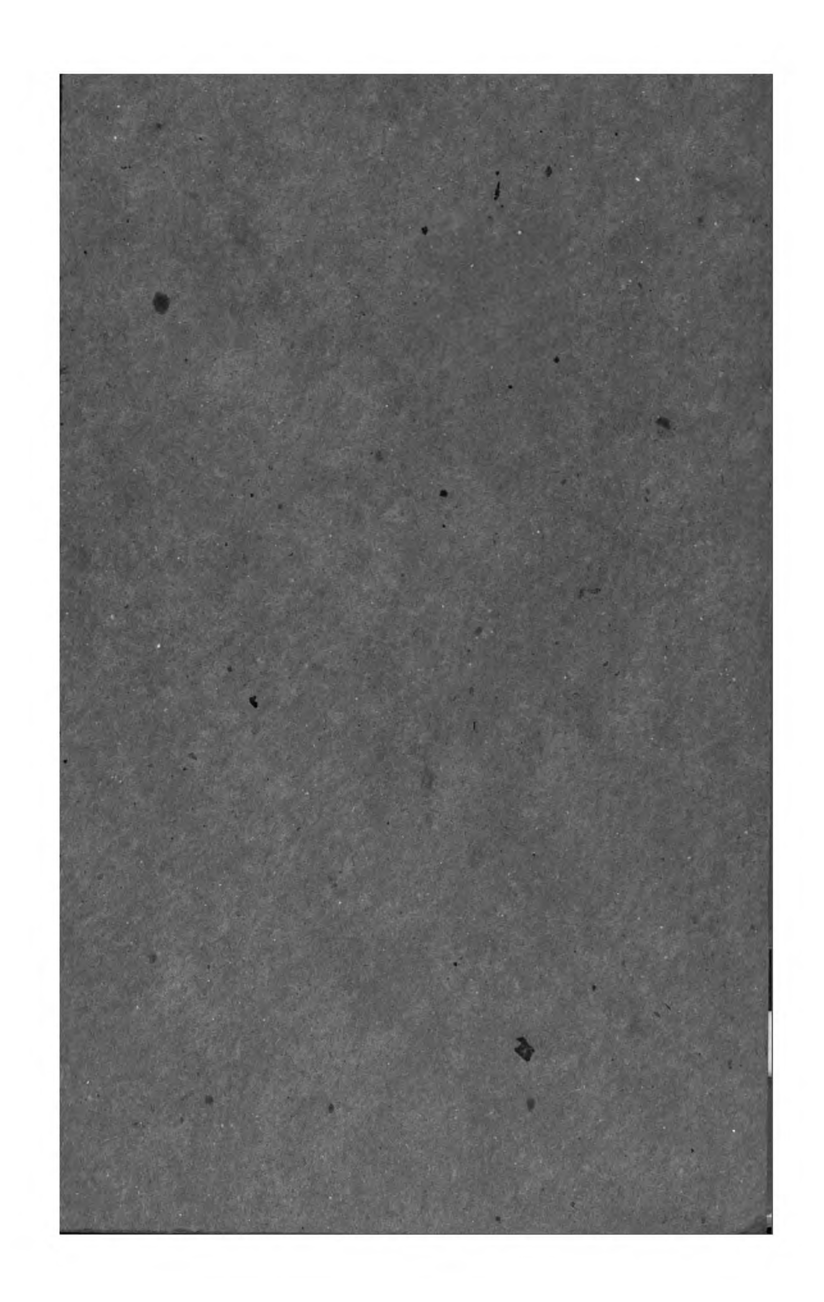
THE

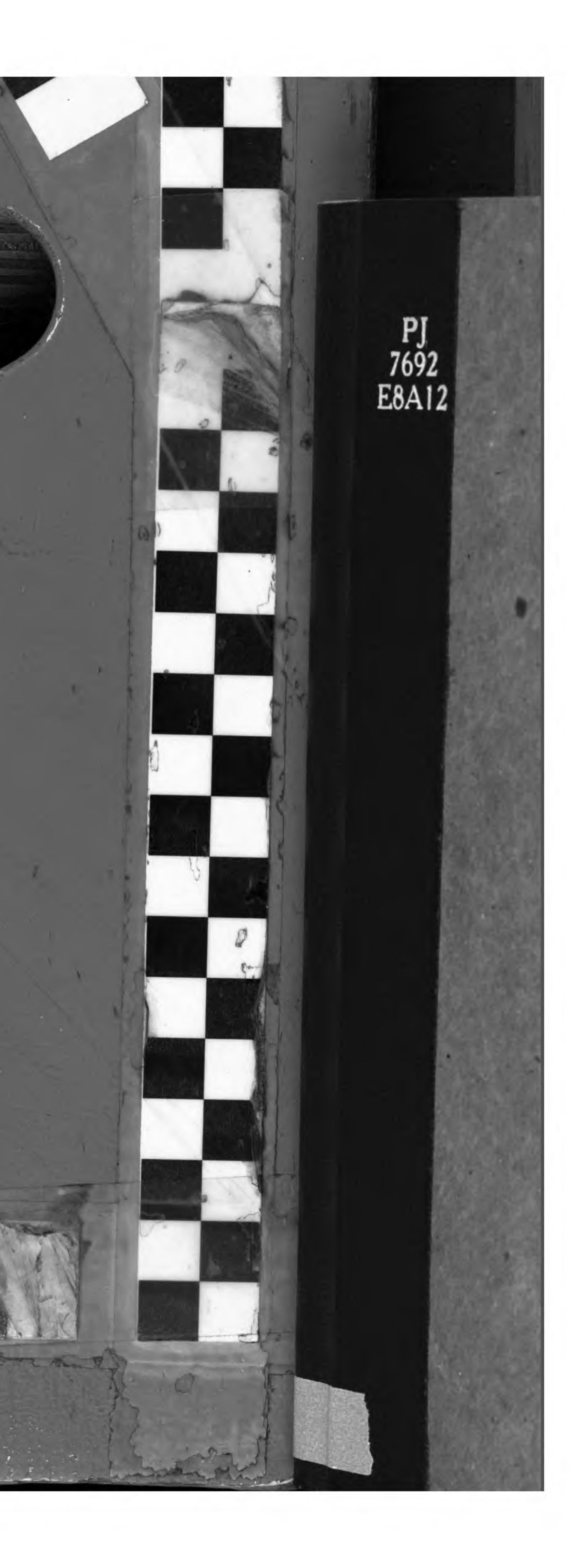
Belle of New York

Translated by

CHAS. GEORGE






PJ
7692
E8A12

